التاريخ الحقيقي لليهود

منذ نشأتهم الاولى وحتى الآن

نجيب زبيب

دار الهادي

التاريخ الحقيقي لليهود

منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن



نجيب زبيب

التاريخ الحقيقي لليهود

منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن



الطبعة الثالثة
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
978-9953-490-86-1

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

كلمة لا بد منها

لا بدَّ لي أخي الكريم من اعطائك لمحة عامة موجزة عن حياة اليهود وتاريخهم وعن كيفية استيطانهم في الأراضي الفلسطينية واقتلاعهم لأهلها بصورة وحشية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية كلها لتعرف جيداً من هم هؤلاء اليهود الذين ابتلانا الله بهم. وسأضع بين يديك حقائق استقيتها من أدق المصادر وأوثقها وأعرضها بكل صدق وأمانة مبتعداً كل البعد عن جموح العاطفة وشرود الخيال، وعن أية عصبية دينية أو قومية لأني ادرك تماماً أن مسؤوليَّة من يكتب التاريخ ليست أقل أهمية من مسؤولية الأب الذي يُمسك بزمام عائلته، فإذا أرادها أن تكون سليمة قويمة كان عليه أن يبنيها على الأسس والقواعد السليمة القويمة ليشب الأولاد مثالاً لمكارم الأخلاق وقدوة صالحة للفضيلة.

وكما تتطلب العائلة عملاً وجهداً مستمرين فكذلك كتابة التاريخ الصحيح فإنها تتطلب عملاً متواصلاً ووعياً وثقافة لإخراج التاريخ في نطاق حقائقه ووقائعه دون زيادة أو نقصان ودون هوى أو عاطفة، ودون

السماح للمؤثرات السياسية والقوميَّة والعرقية والدينية أن تتدخل وتلعب دورها في تشويه الحقائق وتزييفها وكتابتها على غير حقيقتها وتمويهها بالأكاذيب المضللة والاختلاقات المشوهة.

إن المؤرخ الذي يشتط في التشويه والتحريف ويتمادى في تزييف الحقائق لا يلبث أن يسقط في ميزان النقد الصحيح ويتحطم في أعين الكتَّاب والقراء معاً تصديقاً للقول المأثور «إنك تستطيع أن تكذب مرة ولكنك لا تستطيع أن تكذب في كل مرة».

إن انسان اليوم أصبح مثقفاً واعياً مدركاً للأمور وملماً بالحقائق.

زد على ذلك أن ما خلَّفه الأقدمون من آثار منقوشة أو مكتوبة أو مرسومة تطالعنا بها الحفائر والتنقيبات في كل يوم تلقي بأضوائها على الكثير الكثير مما كان مجهولاً؛ فتدحض بحقائقها زيف المزيفين وتدفع بجلائها أقاويل المتقولين.

لذلك فإن القارىء الواعي لا تنطلي عليه اليوم أكاذيب مشوهي التاريخ كما كان بالأمس، ولم يعد يقف باحترام أمام ما يكتبه المغرضون وما يحرفه المحرفون من الكتاب والمؤرخين الغربيين الذين يلبسون الباطل ثوب الحق ويضعون ما بين السطور اختلاقات لا أساس لها من الصحة لاخراج التاريخ من نطاقه الحقيقي إلى نطاق آخر لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

إن العرب اليوم ـ كما كانوا بالأمس ـ مقصرون في كتابة تاريخهم لابتعادهم من معرفة العلوم التاريخية وعلوم الآثار وعلوم اللغات القديمة. وقد اتكلوا على الغربيين لينقبوا لهم عن آثارهم ويكتبوا لهم

تاريخهم بالشكل الذي يريدونه وعلى الصورة التي يرتضونها لهم. من هنا كان التشويه ومن هنا كان التزييف والتحريف.

إن كل أمة من الأمم تعتز بتاريخها وتفاخر به. ولا يوجد أمة بلا تاريخ حتى الصغيرة منها، وحتى لو كانت مجزأة مفتَّتة مقسمة على نفسها.

فالتاريخ هو الذي يضم الفروع إلى الأصول ويرسمها بالحروف والكلمات ويسجلها بالجمل الناطقة وليس بالخطوط والأشكال الصامته. والتاريخ مثله كمثل شجرة الحياة لا يهرم أبداً ولا يتأثر بالكبر ولا تنتابه الشيخوخة، وكلما عمّر ازداد شباباً وفتوةً مع ما يعقب ذلك من تجدد وقوة لأنه يتجدد بالأجيال كما يتجدد الزمان بالعصور، وهو يمر بالأدوار الأربعة كما تمر الفصول؛ يتجدّد في الربيع ويُكمل نُموَّه في الصيف وعندما تنتهي دورة الجيل القائم يكون قد دخل ليحيا من جديد في فصل الشتاء وذلك ايذاناً بميلاد جيل جديد يبدأ ظهوره مع فصل الربيع الآخر وهكذا...

إن عظمة التاريخ تتجلى بمآثر الأمة ونشاطها الحضاري، فلكل جيل مآثره وحضارته ومواكبه ورجالاته الذين يزينون التاريخ بفعالهم وعبقرياتهم وبما يضيفون إلى جيل الآباء والأجداد من فنون وآداب وتقدم في مختلف مجالات الرقي والحضارة.

والتاريخ هو الذي يحفظ بين أوراقه مآثر الأمة وهو الحارس الأمين لها شرط ألا تسمح الأمة للأيدي الأجنبية بأن تلعب بها.

أوردت كل ذلك وأنا أحاول أن أقدم إليك أيها القارىء الكريم

تعريفاً لهؤلاء اليهود الذين ابتلانا الله بهم، وإنّ أخشى ما أخشاه هو أن يكون قد غضب الله تعالى علينا فابتلانا بشر خلقه.

ولنبدأ بالتوراة وأسفار الأنبياء التي تسمى اليوم بالعهد القديم. ولا تتوهمنَّ أبداً أيها القارىء الكريم أنها الألواح المقدسة نفسها التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى الكليم، فتلك لم يؤمنوا بها قط حتى وهم في عصر النبوة ونبيهم بينهم يأمرهم فلا يأتمرون وينهاهم فلا ينتهون حتى قال تعالى فيهم ﴿**فما آمن لموسى إلا ذريَّة من قومه على خوف من فرعون**﴾[1] وتلك الألواح قال الله تعالى فيها: «وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفَّارة له ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾[2]. فهم لم يحكموا بما أنزل الله إلاَّ في زمن النبوَّة، والنبي هو الذي كان يطبق الأحكام والشرائع السماوية وينفذها على كرهٍ منهم وهم بين مكذب ومستهزىء، حتى عمَّ أذاهم جميع النبيين والمرسلين الذين ارسلهم الله إليهم فقال تعالى:

﴿**أفكلَّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذَّبتم وفريقاً تقتلون**﴾[3]. والتابوت[4]الذي كان ﴿**فيه سكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة**﴾[5] رفعه الله تعالى إليه بعد أن

---

(١) سورة يونس المباركة الآية الكريمة ٨٣.

(٢) سورة المائدة المباركة الآية الكريمة ٤٥.

(٣) سورة البقرة المباركة الآية الكريمة رقم٨٧.

(٤) التابوت هو الصندوق قال تعالى: ﴿**إنا أوحينا إلى أمك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم**﴾ (طه/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٥) سورة البقرة المباركة الآية الكريمة رقم ٢٤٨.

كفر بنو إسرائيل وعملوا المعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمره تعالى[١] لأن اليهود تحلَّلوا من أي ارتباط لهم بالآخرة. فهم يعيشون لدنياهم فقط وديانتهم ليست ديانة سماويّة بل هي أرضية مخترعة مبتدعة لم يكتبها الله تعالى وإنما كتبها اليهود بأيديهم وبلغات مختلفة وبعصور متباعدة وعلى مدى يربو على تسعة قرون[٢].

والدِّين الذي دُونت شرائعه فيها[٣] ليس هو الدين الذي أنزل على نبي الله موسى، ولا الذي دعا إليه يوسف ويعقوب واسحاق واسماعيل وابراهيم من قبل ولا الذي بشر به الأنبياء من بعد. وإنما هو دين موضوع من صنع اليهود أنفسهم اقتبسوه من ديانات أخرى التي كانت عليها الأقوام العربية التي سكنوا بينها في هذه المنطقة. فجاء هذا الدين خليطاً غريباً عجيباً حوى ما هب ودب من معتقداتٍ ما أنزل الله بها من سلطان. فأنت تجد فيه أساطير السومريّن وخرافاتهم وتجد فيه حكايا البابليِّن وتخيُّلاتهم، وتجد فيه معتقدات الكنعانيين والفينيقيين والآراميين والاشوريين وعباداتهم. كما تجد فيه بعضاً من شرائع حمورابي وتعاليم أخناتون وكونفوشيوس ومعتقدات زرادشت، وتجد فيه الكثير من عادات الاسرائيليين وأخلاقهم وطباعهم وتخيلاتهم وأوهامهم وتهيؤآتهم التي كانت وليدة القصور العقلي وسذاجة الفكر البدائي الذي كان يستسيغ ويتقبل مثل تلك المعتقدات... وهذه الجماعات التي اعتادت على المجازر وقتل الناس بعد قتل الأنبياء قلبت المقاييس رأساً

(١) اقتباس من الآية الكريمة ٤٤ من سورة الذاريات.

(٢) الدكتور موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(٣) التوراة.

على عقب فحولت الوصايا العشر إلى طغيان وفساد عشائري وحوّلت المحبة والتسامح إلى عصبية وعنصرية وعرقية حاقدة وحولت الحق إلى أضاليل وأباطيل. . . إن هؤلاء اليهود الذين فقدوا قديماً روح الإيمان وفقدوا الاطاعة والسمع والثقة بأنبيائهم واستقرت فيهم ملكة التمرّد والعتوّ والعدوان والاستكبار. . وفقدوا حديثاً كل عاطفة انسانية وكل إحساسٍ بها وفكوا ارتباطهم بكل ما أنزلته الديانات السماوية من نظم ومثل وقيم وبكل ما أطلعته الهيئات الأرضية من أنظمة وشرائع ودساتير وقوانين وقرارات.

هؤلاء الأشرار المتمردون على من في السماء ومن في الأرض علينا نحن العرب، جميع العرب، ونحن المسلمين، جميع المسلمين، أن نتصدّى لطغيانهم وجبروتهم وكلنا إيمان بالله ربّ السموات والأرض والعاقبة للمتقين[1].

نجيب زبيب

---

(١) جزء من الآية الكريمة ٤٩ من سورة هود المباركة.

الفصل الأول

شعب بلا هوية

لم يأت العبرانيون من جزيرة العرب

مما لا شك فيه أنه لا توجد إشارات تاريخيَّة دقيقة وصحيحة عن العبرانيين. ولا يوجد كتاب تاريخي واحد يثبت علميّاً أن العبرانيين هاجروا من جزيرة العرب على اعتبار أنهم قوم واحد ذو صفة جنسيَّة واحدة. ولكنهم جماعات مختلفة آمنت بديانةٍ واحدة هي ديانه (يهوه) وجمعتهم ظروف واحدة[1] وعبثاً تفتش في زوايا التاريخ عن وجودٍ لهؤلاء اليهود أو أثرٍ يدل عليهم فلا تجد سوى نُتف أدخلها مؤرِّخوهم زوراً وبهتاناً في توراتهم.

منها أنهم نسبوا أنفسهم إلى نبي الله إبراهيم ثم إلى ابنه يعقوب وراحوا يمهدون لبدء ظهور تاريخ السلالة المختارة فجاء في سفر التكوين.

«تارح ولد ابرام وناحور وهاران وهاران ولد لوطاً ومات هاران قبل ابيه تارح في مسقط رأسه أور الكلدانيين. وأخذ تارح ابرام إبنه

(١) محاضرات في التاريخ القديم: ص٣٦٠.

ولوط بن هاران وساراي كنته امرأة ابرام إبنه فخرج بهم من أورالكدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فجاءوا إلى حاران وأقاموا هناك»[١].

ابراهيم في بلاد الكنعانيين

بعد ذلك يأتي دور دعوة ابرام فيهاجر إلى بلد مجهول مع امرأته العاقر لأن الله وعده بذرية. «قال الرب لأبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك وأنا اجعلك أمةً كبيرة وأباركك وأبارك مباركيك؛ فانطلق ابرام كما قال الرب فاجتاز في الأرض إلى موضع شكيم إلى بلوطة مورة؛ والكنعانيون حينئذٍ في الأرض فتراءى الرب لأبرام وقال: لنسلِك أعطي هذه الأرض»[٢].

ثم ينتقل مؤلفو هذا السفر إلى مواعد الله وعهده «ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع سبات عميق على إبرام فقال الرب لابرام اعلم يقيناً ان نسلك سيكونون نزلاء في أرض ليست لهم[٣]، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات القينيِّين والقنزيّن والقدمونيّن والحثيين والفريزيّن والرفائيّن والأموريّن والكنعانيين والجرجاشيّن واليبوسيين[٤].

ثم يعودون إلى ترديد ما قالوه ليغرسوا في أذهان الناس أنها أوامر ملحَّة من الله وعهد مقدس منه بوجوب استيطان الأرض «وخاطبه الله قائلاً: ها أنا أجعل عهدي معك فتصير أبا عددٍ كبيرٍ من الأمم ولا يكون

---

(١) سفر الخروج الاصحاح ١١/٢٨ ـ ٣١.
(٢) راجع سفر التكوين الاصحاح ١/١٢ ـ ٧.
(٣) إعتراف واضح من التوراة بأن أرض فلسطين ليست لليهود.
(٤) سفر التكوين الاصحاح ١٥/ ١٢ ـ ٢١.

اسمك ابرام بعد اليوم بل يكون اسمك ابراهيم وسأنمِّيك جداً جداً وأجعلك أمماً؛ وملوكٌ منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم عهداً أبدياً وأعطيك الأرض التي أنت نازل فيها؛ لك ولنسلك من بعدك كل أرض كنعان ملكاً مؤبداً وأكون لهم إلّهاً»[١].

شعب بلا تاريخ

ويمضي سفر التكوين في سرد مراحل استيطان اليهود في أرض كنعان حتى يصل إلى نهاية حياة نبي الله يوسف بن يعقوب فينتهي عندها. ولا يمرّ حتى في إشارة واحدة إلى علاقة نبي الله موسى به مع أن الخروج من مصر كان على يديه[٢].

إن الأمر الغريب العجيب الذي يسترعي انتباهنا هو؛ أين تاريخ هؤلاء اليهود قبل إبراهيم؟ فيما لو افترضنا خطأً انهم ينتسبون إليه. أين تاريخهم وأين حضارتهم وأين لغتهم التي دونوا فيها مآثرهم وأمجادهم؟.. علماً بأن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»[٣] كذلك فإن نبي الله إبراهيم وابنه اسماعيل رفعا القواعد لله في مكة المكرمة وطلبا الأمن لأهلها وليس في الأرض التي اغتصبوها واستوطنوها في فلسطين.

وفي مكة المكرمة طلب إبراهيم وعند البيت الحرام دعا أن يجعله

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٧/ ٤ ـ ٨.
(٢) تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ـ محمد عزت دروزة ص١٦.
(٣) الآية ٦٧ من سورة آل عمران المباركة.

الله وابنه اسماعيل مُسْلِمَين ومن ذريتهما أمةً مسلمة: قال تعالى: ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾[1].

ونحن نعرف مع ذلك أن قبائل مضر وربيعة ابني نزار ومن تناسل من إياد ومن عك وقبائل قضاعة؛ ومن تَناسَل منها أيضاً ومختلف قبائل العرب فإنهم صرحاء ولد اسماعيل عليه السلام ولا يصح ذلك لغيرهم البتة[2].

وبهذا يكون إبراهيم أبا الأنبياء والجد الأعلى لرسول الله (ص) وجد العرب جميعاً.

ولا يغيب عن أذهاننا أن سيدنا إبراهيم وُلد بين قومه في أور الواقعة بين دجلة والفرات في قلب الجزيرة العربية في حدود العام ١٩٤٠ق.م. على أصدق تقدير[3].

إبراهيم يسفِّه آراء قومه

من أور انتقل إبراهيم إلى حاران. وهناك راح يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد ويحاجج أباه كما ذكر القرآن الكريم[4]. ثم انتقل إلى الملك نمرود بن كنعان. وقومه الكلدانيين الذين هم فرع من الأقوام الآرامية العربية القديمة التي نزحت أصلاً من شبه الجزيرة العربية[5]

(١) الآية ١٢٨ من سورة البقرة المباركة.

(٢) جمهرة انساب العرب لابن حزم الاندلسي ص١٠.

(٣) محمد بيومي مهران دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص٢/ ١٢٧.

(٤) انظر محاجّة ابراهيم في السور التالية: الأنعام ٧٤ ـ مريم ٤٢ ـ الأنبياء ٥٢ ـ الشعراء ٧٠ الصافات (٨٥ ـ ٨٦) ـ الزخرف ٢٦. والآية٢٥٨ من سورة البقرة المباركة.

(٥) محاضرات في التاريخ القديم ـ سليمان ـ الفتيان ص١٩٩.

والذين كانوا يسكنون في القسم الجنوبي من وادي دجلة والفرات ويشمل منطقة بابل كلها.

لقد حفل القرآن الكريم بالآيات الكثيرة التي تتضمن الحوار الجريء بين إبراهيم وقومه وأكثر ما جاء ذلك في سورة الأنبياء المباركة[1] وهكذا راح نبي الله إبراهيم يسفه معتقدات قومه الوثنيين المتخلفين وآراءهم التي كانوا يدينون بها ويبطلها ويدعوهم لترك الأوثان ودخل معهم في معركة سافرة مكشوفة حتى ضاقوا به ذرعاً وقالوا: **﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾**[2]. ويشتد عليه الأذى ويغادر ابراهيم بلاد الرافدين ويهاجر إلى أرض فلسطين أو أرض كنعان كما هو معروف ثم أرض مصر ويصحبه في هجرته زوجه سارة[3] وابن اخيه لوط وبعض الذين آمنوا بدعوته.

الأقوام العربية في بلاد الشام ووادي النيل

كانت أرض فلسطين مليئة بالأقوام العربية التي هاجرت إليها قبله واستوطنتها منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد. من هذه الأقوام الأموريون والكنعانيون والآراميون الذين كانوا يؤلفون مجموعة عربية منحدرة من أصل واحد ومنطقة واحدة هي الجزيرة العربية المهد الأول لهم. وكانوا يتكلمون لغة واحدة ويؤلفون مجتمعاً واحداً ويسكنون في منطقة واحدة. ثم بعد أن قصَّرت الأرض عن مدّ هؤلاء الأقوام بالقوت

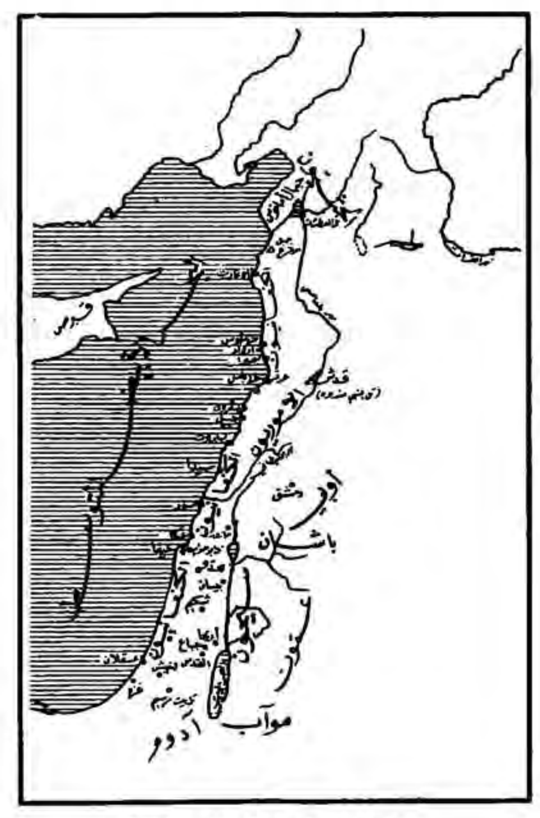
(١) الآيات ٥١ ـ ٧٠ من سورة الأنبياء المباركة.

(٢) سورة الأنبياء المباركة الآيتان ٦٨/ ٦٩.

(٣) سارة هي في نفس الوقت ابنة خالة ابراهيم.

الكامل أخذوا يخرجون منها على شكل موجات متتابعة إلى وادي الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل[1].

سكن إبراهيم حبرون[2]. ولم يحدثنا التاريخ أبداً أن هناك هجرة يهودية منظمة قامت في ذلك الوقت لأنه لم يكن هناك يهود أصلاً. ومن أرض كنعان ذهب إلى مصر ثم عاد ثانية إلى أرض كنعان ومن هناك توجه إلى مكة المكرمة وأقام فيها القواعد لله كما ذكرنا.



بلاد كنعان قبل إسرائيل

(١) محاضرات في التاريخ القديم ص٣٣٥.
(٢) حبرون هي مدينة الخليل اليوم.

اليهود والدجل التاريخي

من كل ذلك يتبين لنا زيف الإدعاء الذي حاول اليهود به ربط نسبهم بنبي الله إبراهيم وبُطلانه؛ فهو لم يكن إلا كما قال الله تعالى حنيفاً مسلماً.

قبل أن يذهب إبراهيم إلى جوار ربه ويدفن في حبرون ودائماً حسبما تورده التوراة حصر إرثه بابنه اسحق (دون اسماعيل الذي يكبره بحوالي ١٥ سنة) وآثره على أخيه اسماعيل وخصه بكل عطفه وحنانه «وأعطى إبراهيم كل ما له لاسحٰق»[١]، ثم أوصى كبير خدمه بقوله: ضع يدك تحت فخذي فأستحلفك بالرب إلٓه السماء وإلٓه الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا مقيم في وسطهم بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق»[٢].

هنا نجد أنفسنا أمام حقيقتين أراد كاتب التوراة وعن غير قصد منه أن يعطينا دليلاً جديداً على زيف أداء اليهود وحقّهم بأرض فلسطين وبطلان حججهم فيها عندما أعلن على لسان ابراهٰيم بأنه مقيم في وسط الكنعانيين وطلب من كبير خدامه أن يذهب إلى أرضه وعشيرته في (فدان آرام)[٣] ليأخذ زوجة لإبنه. إذن فلا أرض فلسطين أرضه ولا شعبها شعبه وتكون دعواهم فيها باطلة لا تستند على أي شيء من الحقيقة والشرعية، ويكون تاريخهم مزيفاً وهم عندما يعوزهم المنطق

(١) سفر التكوين الاصحاح ٢٥/٦.
(٢) سفر التكوين الاصحاح ٢٤/٣ ـ ٤.
(٣) فدان آرام. تقع على الفرات بين مدينتي حاران وقر قميش.

الصحيح والبرهان الأكيد يحيلون الأمر على الرب الذي هو في خدمتهم دائماً يحارب معهم ويخوض معاركهم ويقودها قيادة مباشرة. وهم عندما يريدون الاستيلاء على أي شيء نراهم يعمدون إلى الاتيان بهذه الجملة «تراءى ملاك الرب وقال كذا...» وهذا وحده كاف لاعطائهم الحق بما يطلبون. أليس من الغباء أن يصدق البعض كلاماً كهذا ويعتمدون عليه في كتابة تاريخنا. ؟...

عيسو ويعقوب

ويتزوج اسحق من رفقة ابنة بتوئيل الآرامي إبن عمه ناحور (من فدان آرام) وكانت عاقراً فدعا اسحق ربه فاستجاب دعوته وحملت بولدين تزاحما في جوفها ومضت تستشير الرب فقال لها: «في جوفك أمتان وفي أحشائك يتفرع شعبان شعب يقوى على شعب والكبير يخدم الصغير. ولما حان وقت الولادة وضعت الأول وكان أصهب اللون فسموه عيسو ثم خرج أخوه وكان قابضاً على عقب عيسو فدعي باسم يعقوب».

وأحب اسحق عيسو بينما أحبت رفقة يعقوب»[1].

رفقة ترفق بيعقوب وتكيد لعيسو

وكما أزاح مؤلفو التوراة اسماعيل عن طريق اسحق أزاحو كذلك عيسو عن طريق يعقوب وذلك بعد أن حاكت أمه رفقة مكيدة عجيبة ظهرت فيها الأنانية والكراهية والخداع تقول التوراة: «وحدث لما شاخ اسحق وكلّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: يا بني ها

(١) سفر التكوين الاصحاح ٢٥/ ٢٠ ـ ٢٦.

أنذا قد شخت ولا أعلم يوم موتي والآن خذ عُدَّتك وجعبتك وقوسك واخرج إلى الحقل وصد لي صيداً وأعدد لي ألواناً طيبة كما أحب، واتني به فآكل لكي تباركك نفسي قبل أن أموت. وكانت رفقة سامعة حين كلم اسحق عيسو ابنه فمضى عيسو إلى الحقل ليصيد صيداً ويأتي به. فكلمت رفقة يعقوب ابنها قائلةً: «إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك ويطلب منه صيداً ليأكله ويباركه قبل موته. والآن يا بني اسمع لقولي وامضِ إلى الغنم وخذ لي من هناك جَدْيَيْن من المعز جيدين فتأتي بهما أباك ويأكل لكي يبارك قبل موته». فقال يعقوب لأمه: أخي رجل أشْعَر وأنا رجل أملس فلعل أبي يجسُّني فأكون في عينيه كالساخر منه واجلب على نفسي لعنة لا بركة».

قالت له أمه: عليَّ لعنتك يا بني إنما اسمع لقولي وامضِ وخذ لي ذلك».

فمضى وأخذ ذلك وأتى به أمه فأعدَّته طعاماً طيباً وأخذت ثياب عيسو فألبستها ابنها يعقوب وكست يديه وملامسة عنقه بجلد المعز وأعطته الطعام فدخل على أبيه وقال: يا أبتِ! قال لبّيك من أنت؟ قال أنا عيسو قد صنعت كما أمرتني؛ قم وكل وباركني. قال اسحق لابنه ما أسرع ما أصبت يا بني تقدم حتى أجسّك يا بني لأعلم هل أنت ابني عيسو أم لا». فتقدم يعقوب إلى أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه فباركه وقال: هل أنت ابني عيسو؟ قال: أنا هو. فقال قدم لي حتى آكل لكي تباركك نفسي فقدم له فأكل وأتاه بخمر فشرب ثم قبله وباركه. ولما عاد عيسو وقدم صيده لأبيه قال له من أنت قال أنا ابنك عيسو فارتعش اسحق ارتعاشاً شديداً وقال فمن إذن ذاك

الذي صاد صيداً فقد أكلت وباركته فصرخ عيسو صرخة عظيمة وقال لأبيه باركني قال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك وحقد عيسو على يعقوب وأراد أن يقتله فهرب إلى لابان عمه في حاران[1].

مكر النساء في التشريع اليهودي

وهكذا تظهر التوراة نبي الله اسحق بمنتهى الغباء فهو لم يعرف ابنه وباع بركته بأكلة طيبة. وتظهر نبي الله يعقوب مخادعاً مدلساً كذوباً، وتظهر رفقة امرأة ماكرة ذات خبث ودهاء وفتنة؛ وتظهر عيسو رجلاً مخدوعاً حاقداً ناقماً على أخيه يسعى للأخذ بثأره منه. وحاشا لله أن يكون أنبياؤه على هذه الصورة التي رسمها اليهود وارتضوها لهم.

أوردت هذه القصة كما جاءت في سفر التكوين تحت عنوان (يعقوب يختلس بركة اسحق) لتدرك أيها القارىء العزيز مدى الانحطاط الخلقي عند هذا الشعب الذي دفعه جنون العظمة إلى السقوط في مهاوي الفساد والرذيلة وراح يقدس الأنانية والاثرة والغش والخداع والوشاية والنميمة والاعتماد على مكر النساء وكيدهن في تغيير الأمور وتبديل الأوضاع حتى أصبحت هذه الصفات سمات مميزة لهم ولمن اعتنق دينهم من الشعوب الأخرى، وانطبعت في أخلاقهم وانسحبت على جميع تصرفاتهم ومعاملاتهم يتباهون بها ويفاخرون. وإلا فكيف يصل الغباء باسحق (حاشا لنبي الله أن يكون كذلك) لدرجة لا يعرف معها أولاده ولا يُميِّز بينهم ويعطي ميراثه ليعقوب ويخص نسله بالبركة والتمييز، بهذه الطريقة الشائنة لقاء أكلة طيبة يأكلها قبل أن يموت؟

(١) سفر التكوين الاصحاح ٢٧/ ١ ـ ٤٥.

أليس في ذلك تبرير للرشوة وتقديس لها؟ . . .

وكيف يخدع يعقوب أباه بهذه الطريقة الوقحة (حاشا لنبي الله أن يفعل ذلك) ويستخف به إلى هذا الحد؟ أليس في ذلك تبرير للغش والخداع واستحلال لحقوق الآخرين. . . ؟

وكيف تحيك أمٌّ مؤامرةً بهذا الشكل مع أحد أبنائها ضد الابن الآخر وتحرمه من الميراث والبركة وتستحل حقوقه وتغتصبها منه؟ أليس في ذلك تبرير لاغتصاب حقوق الآخرين وتقديس للدسيسة والفتنة والوشاية والأنانية وتبرير لها؟ . .

وكيف يحقد أخ على أخيه بهذه الصورة الفظة الغليظة التي قدمتها التوراة ويسعى ليثأر لنفسه منه وبأية وسيلة أليس في ذلك تقديس لروح الشر والكراهية والغدر المتأصلة في نفوسهم والراسخة في أعماقهم بما يتبع ذلك من تفسخ العائلة الواحدة وتمزقها؟

وإذا كان كل ذلك يحدث في بيت النبوّة ومهبط الرسالة (حاشا لله) فكيف يكون الحال في غيره من البيوت. أليس في كل ما تقدم أدلة واضحة على ما يتفرد به اليهود من انحطاط خلقي وإيمان مطلق بالغدر وسلب حقوق الآخرين؟

اليهود يربطون تاريخهم الخاص بتاريخ الشرق العام

بعد اسحق يربط اليهود نسبهم بولده يعقوب (إسرائيل الله) ويتسمون منذ ذلك الوقت بالاسرائيليين ـ ويحاولون بذلك ربط تاريخهم الخاص بالتاريخ العام في منطقة الشرق العربي كله. فتمضي

التوراة في تبرير الاستيطان اليهودي القديم في فلسطين وأرض كنعان، وتأتي بروايات غامضة متفرقة ومختلفة وبشكل أقرب إلى الخرافة والاسطورة كما جاء في سفر التكوين حين أرادت أن تعطي أصلاً لاسم إسرائيل كي تضفي عليها معنى دينياً وتعطيها صفة شرعية في المنطقة العربية. فيتصارع يعقوب مع الله ويغلبه في النهاية بعد عراك طويل ويغتصب منه بركة سماوية تكون واجباً على الله نحو جميع أولئك الذين سيحملون إسم إسرائيل فيما بعد.

تقول التورة تحت عنوان (مصارعة الله): فصارعه رجل إلى طلوع الفجر ورأى انه لا يقدر عليه. فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له وقال إصرفني لأنه قد طلع الفجر فقال يعقوب (لا أصرفك وتباركني) فقال له ما اسمك قال (يعقوب) قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسرائيل لأنك صارعت الله والناس وغلبت ثم باركه هناك»[١].

ولا يغيب عن بالنا أبداً أن يعقوب وُلد في فدان آرام من أبوين آراميين وعاش وتزوج وأنجب كل أولاده هناك ثم هرب كما يقول كتبة التوراة إلى جبل جلعاد في فلسطين بعد أن خدع لابان الآرامي ولم يخبره بفراره وهرب بكل ماله[٢]. وهناك تراءى له ملاك الرب وقال له: «الأرض التي أعطيتها لإبراهيم واسحق لك أعطيها ولنسلك من بعدك ثم ارتفع عنه الله في المكان الذي خاطبه فيه»[٣].

(١) سفر التكوين الاصحاح ٣٢/٢٦ ـ ٣٠.
(٢) سفر التكوين الاصحاح ٣١/٢٠ ـ ٢٧.
(٣) سفر التكوين الاصحاح ٣٥/٩ ـ ١٣.

التاريخ المفترض

هذا بعض من ترّهات وسفاسف ما كتبه كتبة التوراة عن تاريخهم المفترض افتراضاً حسب رواياتهم علماً بأن نبي الله يعقوب هو آرامي ابن آرامي ابن آرامي وأن الآراميين كما أسلفنا؛ هم فرع من الأقوام العربية القديمة كانوا قبائل رحل في بادية شمالي الجزيرة العربية. ثم انساحوا إلى العراق الجنوبي في حدود القرن العشرين قبل الميلاد كما يقرّر بعض الباحثين استناداً الى الآثار المكتشفة[1] ثم أنشأوا الدول والامارات فيها، حيث استوطنوا كافة أنحاء المنطقة العربية الممتدة من وادي الفرات ودجلة حتى شمال ووسط سورية ثم بلاد الشام. فكيف يكون جد العبرانيين آرامياً من أبوين آراميين في أرض آرامية ويتكلم لغة آرامية ـ سريانية[2] ومتزوجاً من امرأة آرامية إنها إحدى السقطات التي وقع فيها مؤلفو التوراة وما أكثرها. . .

أسباط بني إسرائيل

من يعقوب ينحدر أسباط بني اسرائيل الاثنا عشر. والسِّبط لغةً هو إبن الابن. وعلى هذا فإن أبناء يعقوب الاثنا عشر: رأوبين ـ شمعون ـ لاوي ـ يهوذا ـ يساكر ـ زبولون ـ يوسف ـ بنيامين ـ دان ـ نفتالي ـ جاد وأشير، ليسوا هم الأسباط لأنهم الأبناء، وإنما الأسباط هم أبناء هؤلاء الأبناء. والسبط عند بني إسرائيل يعني القوم، وهو بمثابة القبيلة عندنا،

(١) محمد عزت دروزه تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم ص٨٢ + تاريخ الجنس العربي ص٦٣ من الجزء الثالث.

(٢) المرجع السابق.

فيكون الأسباط هم القبائل المتحدِّرة من هؤلاء الأبناء الاثني عشر.

يوسف الصديق وإخوته

وأبناء يعقوب هؤلاء وُلدوا جميعهم في حاران الواقعة على نهر بلخ في العراق. وهاجروا مع أبيهم وأمهاتهم إلى بلاد كنعان. وعاشوا في حبرون (الخليل) في فلسطين، وليس فيهم جميعهم سوى يوسف من أنعم الله تعالى عليه بالنبوّة واصطفاه لها، وجعلها في عقبه، ولهذا أحبَّه أبوه كثيراً وآثره على إخوته، فَجُنَّ جنون هؤلاء وامتلأت نفوسهم حقداً وحسداً عليه؛ وراحوا يتآمرون فيما بينهم للتّخلُّص منه، فمنهم من قال: اقتلوه، ومنهم من قال: إطرحوه أرضاً، ومنهم من قال: **﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجبِّ يلْتَقِطْه بعض السيَّارة إن كنتم فاعلين﴾**[1].

وهكذا كان. وقصة يوسف الصدِّيق مذكورة في سفر التكوين من العهد القديم في التوراة. كما هي مذكورة أيضاً في القرآن الكريم. ؛ مع اختلاف واضح بينهما.

ويُستفاد مما جاء في القرآن والتوراة معاً أن إخوةَ يوسف لم يكونوا على شيء من أخلاقِ النَّبيِّين وعصمتهم وطهارة نفوسهم، حتى أَنَّ أخاه بنيامين الذي هو من أُمِّه وأبيه قد اشترك معهم في الجريمة بدليل قوله تعالى:

﴿وما كنت لَدَيْهِم إذ أَجْمَعوا أَمْرَهم وهم يمكرون﴾[2] وذلك

---

(١) الآية الكريمة رقم ١٠ من سورة يوسف المباركة.

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠٢.

عندما ﴿جاؤا جميعاً أباهم عشاءً يبكون﴾[١]. ﴿وجاؤا على قميصه بدمٍ كذب﴾[٢].

فلم يخبر بنيامين أباه بما أقدم عليه إخوته وفعلوه، بل تركه فريسةً للهمِّ والبكاء حتى ﴿ابيضَّت عيناه من الحزن﴾[٣] على يوسف.

وكان يعقوب يدرك تماماً ما تنطوي عليه نفوس أبنائه من الحقدِ والغيظِ والشر لأخيهم. وقد حذَّره منهم بقوله:

﴿يا بنيَّ لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾[٤].

وأبناء يعقوب هؤلاء أظهروا كثيراً من قلَّة الأدب والحياء وعدم الإحترام في تخاطبهم مع والدهم وأهانوه في كثير من المواقع.

فمرَّةً قالوا: ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾[٥] والضلال معناه فساد الرأي والسِّيرة. ومرَّة أخرى قالوا: ﴿تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾[٦] والحرض معناه الفساد في الجسم والعقل.

ثم نراهم يتعمَّدون الكذب عليه عندما جاؤا على قميصه بدمٍ كذب.

وإذا كان أبناء يعقوب على هذا القدر من الكيد والمكر وإتيان

---

(١) سورة يوسف الآية رقم ١٦.
(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٨.
(٣) سورة يوسف الآية رقم ٨٤.
(٤) سورة يوسف الآية رقم ٥.
(٥) سورة يوسف الآية رقم ٨.
(٦) سورة يوسف الآية رقم ٨٥.

الشر والحسد، فكيف بالأسباط المتحدِّرين منهم الذين ينتسب إليهم بنو إسرائيل؟ . . .

إطلالة على تاريخ الهكسوس

لم يذكر القرآن الكريم ولا التوراة قبله زمن حصول حادثه يوسف بالتَّحديد حتى ولا زمن دخوله مصر. ولكن الثابت، وبعد مراجعة الأحداث كلها ومقارنة الوقائع تبيَّن أنها حصلت في عهد الهكسوس أو الملوك الرعاة، وهم الذين يُسمَّون في كتب العرب بالعمالقة.

والهكسوس كما هو معروف هم خليط من الأرومات العربية الكنعانيَّة خرجوا من بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين إلى مصر وثبَّتوا أقدامهم في الوجه البحري منها حيث أقاموا عاصمتهم (أواريس) أو (هوَّارة) شرقي الدلتا. مغتنمين فترة الفوضى والانقسام التي كانت تمرُّ بها مصر في ذلك الوقت ثم جعلوا من ملوك الاسرتين (الثالثة عشرة والرابعة عشرة) موظفين عندهم. وما زال نفوذ الهكسوس يزداد عاماً فعاماً حتى أخضعوا جميع البلاد المصريَّة لهم. ولما انقضت الاسرة الرَّابعة عشرة قبضوا على زمام الملك ولذلك اعتبرت الاسرتان (الخامسة عشرة والسادسة عشرة ١٧٧٨ ـ ١٥٦٧ق.م) في تاريخ مصر من هؤلاء الهكسوس[١] الذين أنشأوا مملكة مترامية الأطراف ويعتقد بأن ذهاب سيدنا يوسف إلى مصر وقدوم أبيه وإخوته عليه، وتدرُّجه إلى السلطة فيها هو من الحوادث التي وقعت في تلك الفترة حوالي سنة ١٦٦٠ ق.م[٢] أي في عصر الأسرة السادسة عشرة. وبهذا أصبح سهلاً

(١) تاريخ مصر. عمر الاسكندري و أ ـ ج سفرج ص٣٥ ـ ٣٦.
(٢) حضارة مصر القديمة ـ محمد الخطيب ص٤٩.

علينا أن نعرف على وجه التقريب زمن عزيز مصر الذي اشتراه وقال لزوجته أكرمي مثواه بعد أن لاحظ جلال النبوَّة ونورها في وجهه وبالتالي زمن الملك الذي استدعاه ليفسِّر له الرؤيا[1].



تمثال نصفي لأحد الهكسوس وجد في غزة ويوضح شكل الوجه الحوري

التوحيد في دعوة يوسف

كان نبي الله يوسف يدعوكما هو مفترض كما دعا أبوه يعقوب وجده اسحاق وجد أبيه إبراهيم ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ إلى ديانة التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد المنزَّه عن الشريك وعن الصاحبة والولد وقد قال في ذلك:

(١) تعتبر الحقبة التاريخية التي احتل فيها الهكسوس مصر من أشد حقب التاريخ غموضاً لأن المصريين بعد أن تغلبوا عليهم وطردوهم من أرضهم كانوا يذكرونهم بالأزدراء والاحتقار فلقبوهم (بالأجناس البربريَّة) و(بالكفرة) و(بالرعاة) ثم أنهم بعد ذلك عفَّوا آثارهم وطمسوها، وكل أثر لم يمحوه أزالوا منه النقوش والمعالم التي تدل على أنه للهكسوس (راجع تاريخ مصر).

﴿إني تركت مِلَّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون. واتَّبعت مِلَّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[1].

وكانت لغة يوسف عليه سلام الله هي اللغة الكنعانية في لهجاتها المختلفة وقتذاك، وهي لغة آبائه وأجداده والتي كان يتكلمها جميع الناس في مملكة الهكسوس الواسعة الأطراف والممتدة من بلاد ما بين النهرين إلى الشام فمصر كما في غيرها من الأقطار التي كانت تسكنها الأقوام العربية الأخرى.

ماذا يقصد كتبة التوراة؟

لقد ركَّز كتبة التوراة والمشتغلون بالدراسات السامية وعلى الأخص المؤرخون اليهود على تلك الفترة بالذات التي عمَّت فيها الفوضى والفتن والنزاعات الحادَّة بين أمراء الأقاليم المصريَّة إثر سقوط الأسرة الثانية عشرة ودخول البلاد في عصر مظلم جداً امتد إلى ظهور الدولة الحديثة حوالي سنة ١٥٨٠ ق.م.

أقول: ركزوا على تلك المرحلة المضطربة في تاريخ مصر ليقولوا: إن جماعاتٍ من بني إسرائيل دخلت إلى مصر في أثنائها.

ولست أدري أين كانت تلك الجماعات التي تحدَّثوا عنها؟ ومن أين أَتت؟

---

(١) سورة يوسف الآيتان (٣٧ ـ ٣٨).

وهل كانت بهذا القدر الذي ذكروه؟.

ثم لماذا بقيت تلك الجماعات في مصر ولم تخرج مع خروج الهكسوس منها عندما طردهم المصريون من بلادهم؟

أَحمس يطرد الهكسوس من مصر

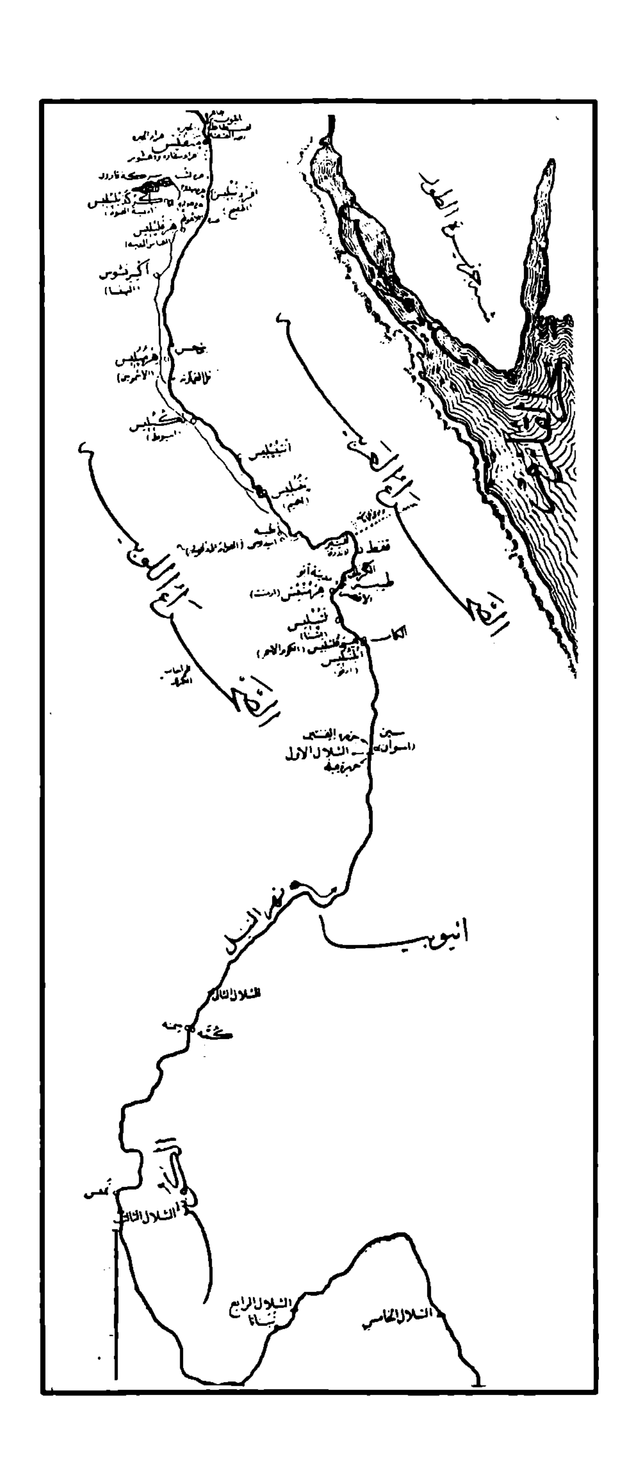
ولو التفتنا قليلاً إلى التاريخ لرأينا أن الملك (أَحْمِسْ)[1] مؤسس الأسرة الثامنة عشرة قد استأصل شأفة الهكسوس فاحتلَّ عاصمتهم أواريس وطردهم منها ثم اقتفى أثرهم وغزاهم ثانية في (شاروهين) بالجنوب الغربي من فلسطين.

لقد كان العداء المصري للهكسوس فوق كل تصوُّر يزداد استفحالاً مع الزَّمن بحيث أن المصريين بعد أن طردوهم حطَّموا كل أثر تركوه في بلادهم حتى أصبح تاريخ تلك الحقبة من الزَّمن غامضاً جداً لا يُعرَفُ عنه إلا القليل.

ونعود للسؤال الذي طرحناه قبلاً. لماذا اسْتُثْنِيت الجماعات اليهوديَّة) ـ إن كان ذلك حقّاً ـ من الطَّرد؟. علماً بأنَّهم كالهكسوس غرباء عن تلك البلاد

---

(١) اَحُمِس يعتبر مؤسس الأسرة الثامنة عشرة كان شجاعاً مقداماً تابع حرب الهكسوس بعد إخيه سقنن رع وتمكن من طردهم خارج البلاد ثم اندفع شمالاً ووصل عاصمتهم هوَّارة مما اضطر الهكسوس إلى الفرار ثم غزا بلاد الشام وأرض النوبة.



منفيس
هرموبليس
(الأشمونين)
أنتيوبليس
قفط
مدينة أبو
الكرنك
(أرمنت)
الكاب
(الكوم الأحمر)
سين
(أسوان)
جزيرة الفنتين
الشلال الأول
نهر النيل
اثيوبيا
الشلال الثالث
الشلال الرابع
الشلال الخامس

اخناتون[1] وثورته الدينيّة

لقد آمن بدعوة يوسف ودعوة جده إبراهيم من قبله إلى ديانة التَّوحيد كثير من الهكسوس والمصريِّين معاً، سيَّما بعد أن تبوَّأ تلك المنزلة الرَّفيعة في مصر وجعل على خزائنها.

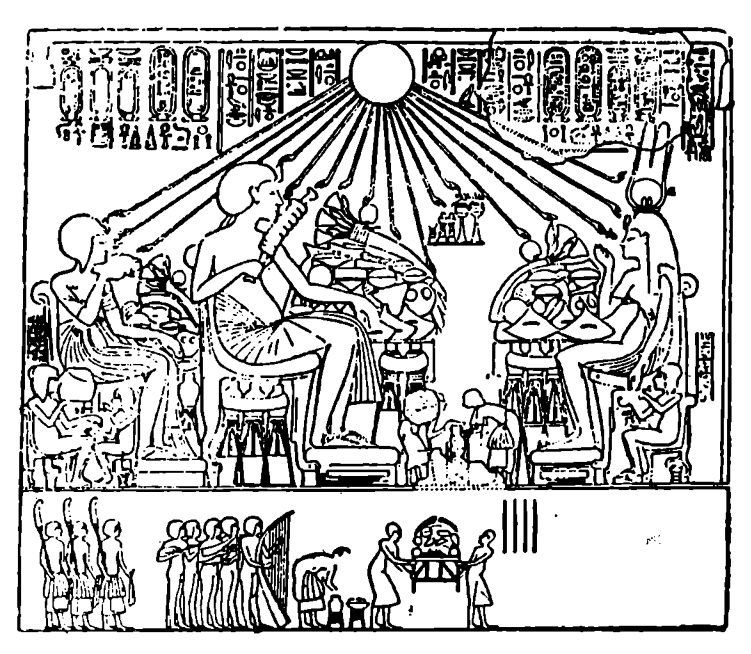
وقد أحدثت تلك الدعوة انقلاباً كبيراً في مفهوم العبادة عند المصريِّين، تمثَّل في ثورة أخناتون (١٣٧٠ ـ ١٣٤٩ ق.م) الدينيَّة التوحيديَّة التي حوَّلت الخرافات التي نسجها الخيال عن حركة الشمس اليومية إلى إلّه واحد (إلّه الشمس) وطالب الناس بعبادته وحده دون شريك له مؤكدّاً أنه هو الذي خلق الناس في كل مكان وعليهم أن يخصُّوه وحده بالعبادة والتقديس كما حارب أخناتون تعدُّدَ الآلهة واختلافها.

فهل يكون كل هؤلاء يهوداً كما يصوِّرهم مؤرخو التَّوراة من شعب الله المختار لهم حقٌّ مقدس في استيطان فلسطين والتَّملُّك فيها؟ . . .

لقد اقحم اليهود أنفسهم في أحداث الشرق العربي عن طريق تلك المغالطات التاريخيَّة وربطوا تاريخهم زوراً بتاريخ المنطقة. فأصبحوا

---

(١) اخناتون: هو (امنحوتب الرابع) ١٣٧٠ ـ ١٣٤٩ ق.م. أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة عاش طفولته بين أبيه (امنحوتب الثالث) وأمه (تي) في بلاط تهيمن عليه مظاهر الترف وعدم الاكتراث بالتقاليد الدينية. أحب الحقيقة بكل ما فيها. حاول أبوه وجده من قبله التخفيف من وطأة نفوذ الكهنة فلم ينجحوا. ولما تسلم اخناتون مقاليد الحكم خرج على الناس بفكرة جديدة تقول بأن الإلّه ليس هو قرص الشمس بل القوَّة الكامنة فيه وسمى هذا الإله (آتون) وطالب الناس بعبادته وحده دون شريك (حضارة مصر القديمة).



الملك أخناتون يجلس إلى مائدة الغذاء مع عائلته

كالطُّفيلي الماكر الذي يأتي إلى مأدبة دون دعوة شرعية فيعمل جاهداً على تثبيت موقعه باحتلال كرسيٍّ وسط الزِّحام للاستفادة ما أمكن قبل أن يُقْصى ويُطَردَ خارج المكان.

الخابيرو والعابيرو

ثمَّة ناحية أخرى اهتمَّ بها كتبة التَّوراة ومؤرِّخو اليهود اهتماماً بالغاً في سبيل إقحام أنفسهم في تاريخ المنطقة العربية ليصبحوا جزءاً منها كما يعتقدون. هذه الناحية هي ما ذكروه عن (الخابيرو والعابيرو) وقالوا إنهم جماعات من القبائل الساميَّة طرأت على فلسطين في القرن العشرين قبل الميلاد واستوطنوها. ثم قالوا إن جماعة منهم دخلت إلى مصر.

مصر والهجرات العربية إليها

إن من يتتبَّع حركة الهجرات السامية إلى مصر يدرك بوضوح أن المهاجرين إليها من غرب آسية قد جاؤا معهم بحضارة منذ أواخر العصر الحجري الحديث (٥٥٠٠ ق.م)[١].

وقد جاء في محاضرةٍ للاستاذ رشيد ناضوري بجامعة الكويت حول هذا الموضوع ما يلي: «والرأي السائد المتَّفق عليه أن منطقة نجد في الجزيرة العربية هي مركز الساميَّة كذلك ثبت أن منطقة عُمان هي مركز الحاميَّة. وقد اندمج العنصر السامي مع العنصر الحامي وكوَّنا العنصر المصري القديم».

وذكر ديودورس الصقلِّي أنَّ المصريِّن القدماء هم من بلاد العرب الجنوبية نزلوا شواطىء الحبشة ثم دخلوا مصر منها.

ويؤكد (السيرجيمس بريستد) أنَّ أقواماً ساميَّة من غرب آسية قدموا إلى وادي النيل وعمَّموا فيه لغتهم وصبغوه بصبغتهم. كما يؤكد غيره عروبة مصر[٢].

ويقول السيدان عمر الاسكندري و أ. ج سفدج: أمَّا الحضارة التي ابتدأ ظهورها ابتداءً من الاسرات الملكيَّة فيُعزى أصلها إلى القوم الفاتحين أجداد (مينا) وقد ثبت أنَّ أصل هؤلاء الفاتحين قوم ساميو الجنس قدموا إلى مصر من آسيه[٣].

---

(١) محمد الخطيب ـ المرجع السابق ص١٩.
(٢) المرجع السابق هامش ١٩.
(٣) تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ـ المرجع السابق ص٦.

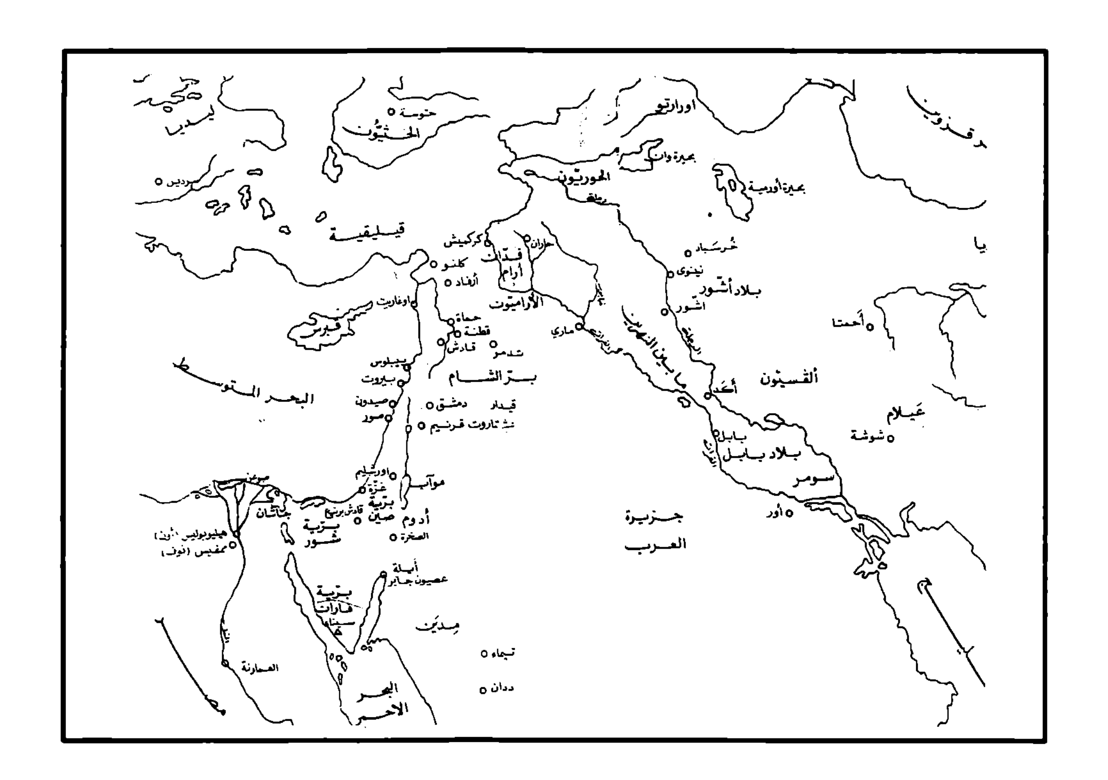
وإذا كان عصر الأسرات هذا يبتدىء بعام ٣٢٠٠ ق.م كما هو معلوم. فإن حدوث الهجرات العربية إلى مصر يكون قد حصل قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة، وأن الأقوام الساميَّة التي ذهبت إليها من غرب آسية بالتحديد ما هي إلاَّ القبائل الكنعانية وفروعها التي كان مهاجروها الأوائل منذ تلك الحقبة المبكرة جداً من الزمن روَّاداً طموحين يبحثون عن مهودٍ جديدة لحضارتهم وأسواقٍ لنشاطهم التجاري. وفي تلك المرحلة من الهجرات والرحلات التجارية كان أولئك الرُّواد يذهبون بسفنهم عبر البحر وبقوافلهم عبر سيناء[1]. ويومها لم يكن هناك يهود ولا لتاريخهم عين أو أثر ولم يكونوا قد دخلوا في تاريخ المنطقة العربية بشكل أو بآخر.

الوحدة المتكاملة

إن حركة المواصلات النشطة التي كانت تتم بين مصر وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين والجزيرة منذ ذلك التاريخ الموغل في القدم هي في اعتقادي برهان صارخ على عروبة مصر منذ أقدم الأزمنة، وعلى الوحدة الجغرافية المتكاملة للبلاد العربية كلها. وعلى سهولة التنقُّل بين أقطارها حتى سيراً على الأقدام في بعض الأحيان. إذ ليس هناك من حواجز طبيعيَّة تمنع ذلك. وقد اختلطت الموجات فيها منذ فجر التاريخ وانتقلت الجماعات الكبيرة بين أرجائها جميعها سالكةً في سيرها ذلك الطريق الدولي الكبير بين وادي النيل وسيناء وساحل البحر المتوسط إلى شمالي سورية ثم العراق وبلاد فارس وآسيا الصغرى والمتفرِّع منه

(١) كتابنا: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ـ يراجع المؤلف بشأنه.

خط داخلي باتجاه دمشق فبادية الشام فبلاد ما بين النهرين فالجزيرة العربية.



فهل أنَّ كل أولئك الذين سلكوا ذلك الطريق الدولي الكبير (عابيرو أو خابيرو) أو من جماعات بني اسرائيل أو يهود أو غير ذلك من الأسماء التي يحلو لكتبة التوراة والناقلين عنهم أن يسموهم؟

اسرائيليون قبل إسرائيل

إنَّ الخلط التاريخيَّ الفاضح يظهر بجلاء واضح لدى قراءة النُّصوص التوراتيَّة المشوَّشة والمضطربة.

ومؤرخو اليهود والناقلون عنهم الذين اعتمدوا في كتاباتهم على تلك النصوص. أخطأوا كثيراً عندما اعتقدوا أن كلَّ شيءٍ جاء فيها هو من المسلَّمات.

فالجماعات من القبائل الساميَّة التي تحدثوا عنها وقالوا إنها طرأت على فلسطين في القرن العشرين قبل الميلاد. لم تكن عبرانيَّة أبداً. ولم يكن نبي الله يعقوب الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل قد وُلد بعد.

ولكنَّ الذي حدث على مشارف القرن العشرين قبل الميلاد ذلك هو دخول نبي الله إبراهيم الخليل وأبيه تارخ وزوجته سارة وابن أخيه لوط.

أربعة أفرادٍ فقط باعتراف التوراة نفسها كما جاء في سفر الخروج من العهد القديم خرجوا من أُورالكلدانيِّين وجاءوا إلى أرض كنعان وأقاموا في حاران[1].

فهل هؤلاء الأشخاص الأربعة هم الجماعات العبرانيَّة التي تحدَّثوا عنها؟

وهل كان هؤلاء أصلاً يهوداً؟ والله تعالى يقول: **﴿ما كان إبراهيم يهوديَّاً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾**[2].

لم تكن تلك الجماعات التي ذكروها سوى القبائل الكنعانية وغيرها من الأقوام العربية التي تسلك ذلك الطريق جيئةً وذهاباً والتي

(١) سفر الخروج الاصحاح ١١ (٢٨ ـ ٣١).
(٢) سورة آل عمران المباركة الآية ٦٧.

مهدت الطريق فيما بعد للهكسوس الكنعانيين من اجتياح مصر في حدود العام ١٧٧٨ ق.م ثم راحوا يتنقّلون بصورة دائمة بين أقسام مملكتهم في بلاد الشام والوجه البحري الذي احتلوه من مصر سالكين في سيرهم ذلك الطريق الدولي العام الذي ذكرناه علماً بأن بعض الباحثين ينفون بشكل جازم دخول العبرانيين أرض مصر من الأساس على شكل جماعات معتمدين في ذلك على عدة اسباب منها:

أولاً: أنَّه لا توجد وثائق غير إسرائيليَّة تؤكد صحَّة التقاليد العبريَّة الخاصَّة بإقامة الإسرائيليين في مصر وخروجهم منها.

ثانياً: ان النقوش المصريَّة المختلفة تسجل دخول الأسيويِّن مصر، ولكن ليس واحداً منها يشير إلى دخول بني إسرائيل أرض الفراعنة وإن كانت قد اشارت إلى العمَّال الأسيويين الذين كانوا يفدون إلى مصر ويستخدمهم الفراعنة في أعمال البناء. وكان يطلق عليهم (عبر) وتقرأ (عابيرو). وقد استدل عليهم كثير من علماء المصريَّات مثل (شاباسى) وعلماء العبريَّة من أمثال هومل وسكز ودرايفر وكريجلز الذين وصفوهم بالعبريَّن إلا أن ذلك لم تثبت صحته بسبب الصعوبات اللغويَّة. أما عن وجود (العابيرو) في مصر فأمر تؤيِّده نقوش مصريَّة ترجع إلى أيام رعمسيس الرابع (١١٥١ ـ ١١٤٥) من الأسرة العشرين وهي ترجع إلى فترة متأخرة عن أي تاريخ مقترح لخروج بني اسرائيل من مصر.

ومن هنا يمكننا ـ اعتماداً على سكوت المصادر المصريَّة ـ أن نستنتج أن دخول الاسرائيليين مصر إنما هو خيال بحت، لا يعتمد على أي أساس تاريخي[١].

---

(١) محمد بيومي مهران المرجع السابق ص٨٨ ـ ٢/٨٩

وعلى كل وحسب المرويَّات التوراتيَّة فإن تلك الجماعات العبرانية التي تكلم عنها مؤرخو اليهود والناقلون عنهم لا تشرِّف أحداً لأنَّها كانت تؤجِّر نفسها للسلب ومهاجمة الآمنين.

رأي الدكتور فيليب حتي

وبهذا الصدد يقول الدكتور فيليب حتي:

إنَّه بينما كان الحثيُّون يحتلون المنطقة الشمالية من سورية. كانت جماعات جديدة تسمى (الخابيرو) تغزو المنطقة الجنوبية ويرافقها كما يبدو الآراميون، ويرى بعض العلماء أن الخابيرو هم الساغاز sa - gaz أنفسهم كانوا مرتزقة في الجيش الحثي يتعاونون مع عبد عشرتا»[١]. ويضيف الدكتور حتي قائلاً «وقد اعتبر بعض العلماء هذه الكلمة الأكادية معادلة للكلمة العبرية (عبري) وعبراني التي تترجم عادة (بالذي يأتي من الجانب الآخر). ويوصف الخابيرو في وثائق نوزي في القرن الخامس عشر بأنهم عبيد أصبحوا كذلك باختيارهم.. ويظهر الخابيرو في الحوليات الحثية في عهد (مرشليش)[٢] الأول حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م الذي استأجرهم. وفي رسائل تل العمارنة نرى الخابيرو يتعاونون مع المتمردين ضد الفراعنة. وفي سنة ١٣٦٧ ق.م يستولون على شكيم». ويضيف الدكتور حتي قائلاً: وفي جميع الوثائق يبدو الخابيرو كجماعة متعددة العناصر وبدون أوصاف مشتركة. وهو ليس اسماً عرقياً وإنما

(١) الدكتور فيليب حتي المرجع السابق ص٨٠.

(٢) مرشليش: ملك حثي غزا بابل ونهبها ودمرها وفتح حلب وهدمها وسبى سكانها وأخذ آلهتها كغنائم حرب في حدود (١٦٠٠ ق.م) حتى ص١٧٣.

تَسْمية أطلقت على جماعات من القبائل الرحل والأجانب والأشقياء المستعدين للانضمام إلى صفوف أي جيش لقاء أجرة أو بدافع الحصول على الغنائم[1].

رأي عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان

أما الدكتوران السيدان عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان من جامعتي الموصل وبغداد فيقولان في كتاب محاضرات في التاريخ القديم: «إن التاريخ العبري يمثل تاريخاً مزيفاً ومسروقاً وهو مفترض افتراضاً لا يستند على أسس علمية ثابتة حيث نعرف من خلال دراستنا للتاريخ القديم وتحليل النصوص الكتابية أن أرض بلاد الشام بالمفهوم الواسع (سوريا ـ لبنان ـ فلسطين ـ الأردن) هي أرض الكنعانيين والأموريين والآراميين والأنباط والتدمريين لذلك فأولئك العبرانيون الدخلاء الرحل أو شبه الرحل ضموا في جنباتهم عناصر سومرية وكنعانية وحورية وحثية وغير ذلك من العناصر المختلفة من مغامرين ومرتزقة وجنود لا إرتباط عرقي لهم استقروا بالتدريج بين السكان الذين سبقوهم وتعلموا منهم مختلف النواحي الحضارية، حتى اللغة تعلموها قراءة وكتابة بحيث أصبحت اللغة الكنعانية لغتهم الخاصة، بل الأكثر من ذلك أصبحوا أصحاب مظاهر كنعانية واضحة في كل شيء، وهذا ما زوَّدتنا به النصوص التاريخية خصوصاً بعد حل رموز الكتابات القديمة والتوصُل إلى قراءتها بصورةٍ صحيحة تبيِّن لنا الزَّيف التاريخي الذي ابتدعه هؤلاء القوم[2].

---

(١) د. فيليب حتي المرجع السابق ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) محاضرات في التاريخ القديم ص١٦١ ـ ١٦٢.

من فمك أدينك يا إسرائيل

يقول عضو الكنيست أوري أفتيري: «من المعروف أن اليهود لا يشكلون أُمَّةً واحدة ولا يكونون مجموعة قوميَّة أو عرقية، وليس هناك خليط عرقي متجانس، ولا وجود لجنس يهودي مُميَّز وإنما هم من جميع الأجناس حتى الزنوج والمنغوليِّين وليس لهم لغة واحدة بل يتكلمون لغات الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها وليس لليهود عادات مشتركة وتاريخ مشترك فسلوكهم يعكس تقاليد وعادات المجتمعات في اوطانهم الأصليَّة.

المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون

كان بنو إسرائيل عاطلين من أيّ فن ومن أيِّ علم ومن أي صناعة حتى من العمال المهرة: يقول الملك سليمان ليس بيننا أحد يعرف قطع الخشب مثل الصيدونيين ـ (ملوك أول ٥ ـ ٦). ولم يميلوا إلى الأخذ بطرفٍ من ثقافة ولا نجد شعباً عطِّل من الذوق الفني كما عطل اليهود ولذلك لم يُنْشِئوا شيئاً من القرى أو المدن فترة استيطانهم القصيرة في بعض مرتفعات فلسطين. ولم يكن لهم أي مظهر من مظاهر العمران. وعندما تمَّ إجلاؤهم لم يُخلفوا أيَّ أثر عمراني أو سياسي أو اجتماعي. وباختصار لم يكوِّن بنو اسرائيل يوماً متحداً مكتمل النمو والتنظيم ولم يكن لهذه الجماعة روح جامعة ولا روح حضارية[١].

---

(١) جورجي كنعان، تاريخ يهوه.

رأي جيمس هنري بريستد

يقول هذا المؤرخ في كتابه (تاريخ العصور القديمة): أنه حين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين يقيمون في مدن زاخرة تطوقها الأسوار الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتتحوا منها إلا المدن الضعيفة ولا يخفى أنَّ هذه المدن التي عجز مهاجموها عن افتتاحها كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ ١٥٠٠ سنة قبلهم. ومنازل مُتقنة حوت كثيراً من أسباب الراحة والرفاهية وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة وحضارة اقتبسها أولئك العبرانيون السُّذَّج لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عن أهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها. وقد أحدث هذا الامتزاج تغييرات جوهرية في حياة العبرانيين فغادر بعضهم سُكنى الخيام وشرعوا يبتنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الثياب التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية واقتبسوا الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون إلى أميركا في هذه الأيام عادات الأميركان وأخلاقهم وملابسهم[١].

متى بدأ تاريخ بني إسرائيل

لم يبدأ التاريخ الحقيقي لبني اسرائيل كشعب إلاَّ بعد خروجهم من مصر عبر صحراء سيناء.

وهذا الحادث الهام الذي حصل مع نهايات القرن الثالث عشر ق.م. وفي سنة ١٢١٤ على وجه التحديد بقيادة نبي الله موسى

---

(١) العصور القديمة جيمس هنري بريستد ص ٢٢٢.

كما هو معروف وذلك في عهد الفرعون مرنبتاح[١] ابن رعمسيس الثاني(١٢٢٤ ـ ١٢١٤ق. م) وفي آخر سنة من حكمه، مع الجماعة التي تبعته والتي كانت تحوي عناصر مختلفة من الأجناس تجمعهم رابطة واحدة هي رابطة الدين الجديد[٢].

ولا يزال الخروج من مصر في نظر الاسرائيليين زمناً فريداً في تاريخهم وحدثاً ذا مستوى متميِّز يختلف عن مستوى سائر الأحداث الأخرى لأنه الحدث الذي فيه خُلق اسرائيل وبه انيطت حياته كلها وإليه يستند عدد كبير من المؤسسات والرتب والمعتقدات وبه أيضاً تتعلق كبار الآمال. وحدث الخروج من مصر هو الذي أثار التفكير اللاهوتي والتاريخي في اسرائيل[٣].

رأينا في الخروج

نحن لا نُنكر حدث الخروج من مصر لأن القرآن الكريم ذكره في أكثر من موضع كما أننا لا نُنكر نُبوَّة موسى ولا الأنبياء الذين أتوا قبله صعوداً حتى نبينا إبراهيم (ع) ولا الذين أتوا بعده نزولاً حتى سيدنا رسول الله محمد (ص) ولا نفرق بين أحد من رسله ولكن الذي ننكره هو ذلك الدجل والزيف والاختلاقات التي لا أساس لها من الصحة، وتلك الأساطير والخرافات والروايات الشفهية التي تداولتها العامة قبلهم بمئات السنين، تناولها كتبتهم وكهانهم وأحبارهم بكثير من التعصب المفرط والخيال الذي لم يستند في سرد الأحداث على واقع وحشوا بها مختلف اسفارهم (فالله تعالى هو آلههم وحسب) وهم شعبه

---

(١) د. محمود بيومي مهران المرجع السابق.

(٢) محاضرات في التاريخ القديم ص٣٦٩.

(٣) الكتاب المقدس ص١٤٩.

المختار وهو الذي يسير معهم كيفما ساروا يخوض حروبهم ويقود معاركهم فان انتصروا كان ذلك وعداً منه ومباركه وإن خسروا كان ذلك قصاصاً لأنهم لم يطيعوه. وهو الذي جعل الشعوب لهم عبيداً وجعلهم أصحاب الحق الآلهي الأبدي المطلق في أرض كنعان وأنه أباح لهم - بل شرَّع لهم - (تعالى وتقدس) أن يبيدوا جميع سكان تلك الأرض من نساء وأطفال وشيوخ ورجال. وحذرهم من قطع أي عهد لأيٍّ منهم أو إبقائهم بين ظهرانيهم بدون حاجة إلى انذار أَوْ إعذار[1] وأنه أباح لهم استعباد سكان المدن البعيدة جداً إذا ما استسلموا لهم وإبادتهم إذا رفضوا الاستسلام مع استيلائهم على جميع أموالهم وأنه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام ويرتكبون فيه من انحرافات. وأنه إذا غضب عليهم وعرضهم للأذى بسبب انحرافاتهم فإن ذلك يكون على سنبيل التأديب ثم لا يلبث أن يعود إلى نصرهم وتأييدهم[2].

الجماعات التي شكلت الشعب اليهودي

مع سفر الخروج يبدأ التاريخ الحقيقي لاسرائيل كما اسلفنا ومع هذا الخروج تبدأ المآسي الحقيقية للعرب وغيرهم من الشعوب. فهذا الخليط الغريب الهارب بقيادة نبي الله موسى كان يضم في جنباته جماعات شتى من عناصر كثيرة ومن أجناس مختلفة فيهم المصري والسومري والحثي وفيهم الآري والكنعاني وبقايا الهكسوس وجماعات المحاربين المغامرين من شعوب البحر والمرتزقة وأخلاط العشائر الغريبة المتباينة.

---

(١) محمد عزت دروزه المرجع السابق ص٢٠٤

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

منهم من تبعه إيماناً بدعوته التوحيدية ودعوة نبي الله يوسف من قبله بعد أن رأى فيها طريقاً أكيداً للخلاص من الرق والعبودية وضماناً حقيقياً للوصول إلى الحرية والحصول على الأمان، يضاف إلى هؤلاء جماعة السحرة الذين آمنوا به وصدقوه بعد أن أبطل سحرهم وقد ذكرهم القرآن الكريم.

ومنهم من تبعه حباً بالخلاص من الإضطهاد والعبودية وأعمال السخرة في بناء المعابد وحفر الترع وشق الطرقات وأعمال المشاريع وأعمال البناء والطين[١] التي فرضها عليهم فرعون مصر رعمسيس الثاني سيَّما بعد أن تولى الحكم بعده ابنه منفتاح[٢] الذي خاض حروباً كثيرة لحماية الملك وصد هجمات الثائرين. ومنهم من تبعه طلباً للأمن والعيش في غير أرض مصر التي اصبحت ضيقة عليهم.

الأطماع اليهودية في فلسطين

وأملاً في التفتيش عن أماكن جديدة للفتح والاستيطان، كان الإتجاه نحو أرض الخيرات الدائمة والعامرة بشتى أنواع الحضارة والمدنية والآهلة بالعمران. أرض تلك الجماعات الآمنة التي راحوا يرددون اسماءها في مختلف أسفار التوراة للاستيلاء عليها وطرد أهلها منها، الأرض التي تدر لبناً وعسلاً أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفريزيين والحويين واليبوسيين)[٣] أرض كل هذه المجموعات التي

---

(١) د. محمد مهران المرجع السابق ص٢/ ٢٣٧.

(٢) تارة يرد هذا الاسم منفتاح وتارة مرنبتاح.

(٣) اليبوسيُّون هم سكان القدس القدماء من الأرومات العربية كانوا فيها قبل طروء اليهود عليها. وكانت القدس يومها تدعى أورسالم وحرَّفها اليهود بلفظهم فأصبحت أورشليم =

سكنت فلسطين واستقرت فيها من الجنس العربي منذ النشأة الأولى لحركة الهجرات السامية إلى هذه الرقعة من الأرض[١]. هذه الهجرة الاستيطانية لهذا الخليط الهجين من البشر الذين لا تربطهم رابطة ولا تصل بينهم صلة سوى ذلك التحالف الذي كان أكبر الهمِّ فيه الخروج من مصر وبأي ثمن، خرجت من وادي طميلات شرقي الدلتا[٢] في حدود العام ١٢١٤ ق.م. بعد أن أوحى الله تعالى إلى نبيه الكريم موسى بذلك. قال تعالى:

﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسري بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[٣].

يسرقون المصريين قبل الخروج

وتحكي التوراة على طريقتها قصة الخروج من مصر، فتجوِّز لبني اسرائيل وتبيح لهم سلب المصريين وسرقة أمتعتهم الفضية والذهبية بحجة الاستعارة. ويعتبرون ذلك أمراً من الله أوحى به إلى موسى فتقول: «وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى فطلبوا من المصريين أواني من فضة وأواني من ذهب وثياباً وأنال الرب الشعب حُظوة في عيون المصريين فأعاروهم إياها وهكذا سلبوا المصريين»[٤].

تلك كانت باكورة أعمال هؤلاء اليهود وهم على أهبة الخروج من

= حيث يحلون الشين مكان السين. وكلمة أور معناها نور.

(١) صابر طعيمة: التاريخ اليهودي العام ص٩٩.

(٢) محمد بيومي مهران المرجع السابق ص٢/ ٣٣٠.

(٣) الآية الكريمة رقم ٧٧ من سورة طه المباركة.

(٤) سفر الخروج: الاصحاح ١٢/ ٣٥ ـ ٣٦.

مصر إلى برية سيناء ومنها إلى أرض فلسطين لقد استحلوا أموال الناس واستباحوا متاعهم ونسبوا ذلك إلى الرب فكان هذا العمل شرعة من شرائعهم وقدساً من أقداسهم ساروا عليه منذ ذلك الزمن السحيق إلى يومنا هذا. ونراهم بعد أن خرجوا من البحر ووطأت أقدامهم أرض سيناء، صار الرب فيما يزعمون مسخراً لهم «يسير أمامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم وذلك لكي يسيروا نهاراً وليلاً، ولم يبرح عمود الغمام نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب»[1].

اليهود يفضلون قدور اللحم على الرسالة السماوية

في سيناء تبدأ متاعب نبي الله موسى معهم، ويظهر لنا بوضوح انهم لم يكونوا في مستوى الرسالة السماوية التي دعاهم فيها إلى توحيد الله وعدم الشرك به، وكانت اعتباراتهم المادية تطغى على كل شيء ثم تمردوا عليه وانغمسوا في كفرهم وضلالهم وأظهروا ندمهم على الخروج معه واتباع دعوته. تقول التوراة في ذلك: (ووصلت جماعة بني إسرائيل كلها إلى برية سين التي بين ايلين وسيناء وفي اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني لخروجها من أرض مصر فتذمرت جماعة بني إسرائيل كلها على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو أسرائيل «ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا في حين انكما أخرجتمانا إلى هذه البرية لتميتا هذا الجمهور كله بالجوع»)[2].

(١) خروج الاصحاح ١٣/ ٢١ ـ ٢٢.

(٢) خروج الاصحاح ١/٣٦ ـ ٣.

الشعب المتمرد

ليس هناك من ريب في أنَّ ما تقدم يشير بوضوح إلى أن اليهود كانوا يفضلون الحياة الذليلة تحت سياط الرق والاستعباد بجوار قدور اللحم والتلذذ بطعمها ورائحتها على حياة الحرية والكرامة[1].

ويدعو نبي الله موسى ربه فينزل عليهم المنَّ والسلوى وهدأ تذمرهم وتمردهم بعد أن أكلوا وشربوا. غير أن هذا الطعام ذا اللون الواحد لا يعجب اليهود كثيراً فيعودون إلى التذمر والتمرد من جديد ويطلبون تنويع طعامهم وكأن همهم من الدنيا هو الطعام فقط وتضيف التوراة «وعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا «من يطعمنا لحماً، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم والآن فأحلاقنا جافة ولا شيء أمام عيوننا غير المنِّ[2]. ويغضب موسى من الرب ويعاتبه على ما فعله ببني إسرائيل ودائماً حسبما تورده التوراة فيقول للرب: «لِمَ أسأت إلى عبدك؟ ولِمَ لَمْ أنلْ حظوةً في عينيك حتى ألقيت عليَّ عبء هذا الشعب كله؟.. ألعلِّي أنا حملت هذا الشعب كله أم لعلي ولدته حتى تقول لي احمله في حضنك كما تحمل الحاضن الرضيع إلى الأرض التي أقسمت لآبائك عليها. من أين لي لحم أعطيه لهذا الشعب كله فإنه يبكي لديَّ ويقول «أعطنا لحماً فنأكله» لا أطيق أن أحمل هذا الشعب كله وحدي لأنه ثقيل علي»[3].

---

(١) مهران ـ ٢/ ٣٤٤.

(٢) سفر العدد الإصحاح ١١/ ١٠ ـ ١٤.

(٣) سفر العدد الاصحاح ١١/ ١٠ ـ ١٤.

وتعود روح التمرد إلى هؤلاء القوم من جديد بعد أن يشعروا بالعطش فيعطونا بذلك دليلاً آخر على أن الايمان لم يخالط قلوبهم قط وأن روح التعجيز والتذمر وانصرافهم للطعام والشراب وحب المادة أفقدهم شعورهم بكل ما هو روحاني: تقول التوراة:

«ثم رحلت جماعة بني إسرائيل كلها من برية سين مرحلة مرحلة على حسب أمر الرب وخيَّموا في رفيديم ولم يكن هناك ماء يشربه الشعب فخاصم الشعب موسى وقال: اعطونا ماءً نشربه فقال لهم موسى: لماذا تخاصموني ولماذا تجربون الرب، وعطش هناك إلى الماء وتذمَّر على موسى وقال: لماذا أصعدتنا من مصر ألتقتلني أنا وبنيَّ ومواشيَّ بالعطش فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أصنع إلى هذا الشعب قليلاً ويَرْجمني[1]. وضرب موسى الصخرة على مشهد من شيوخ اسرائيل فخرج منها الماء[2] وإلى هاتين الحادثتين يشير القرآن الكريم بقوله:

﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناسٍ مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[3].

﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تُنبت الأرض من بقلها وقثَّائها وفومها وعدسها وبصلها قال: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم

(١) سفر العدد الأصحاح ٨/١ ـ ٤.
(٢) سمر العدد الاصحاح ١٧/١ ـ ٦.
(٣) الآية رقم ٦٠ من سورة البقرة المباركة.

وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيّن بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[1].

كفر وارتداد

ما إن هدأت ثورة هؤلاء اليهود بعد أن أكلوا وشربوا حتى مروا على قوم يعبدون الأصنام، وكانوا من المصريين الذين يشتغلون بالتعدين ومناجم الفيروز هناك وقد أقاموا تمثالاً للآلهة حتحور ربة الفيروز عندهم[2]. فارتدوا فوراً عن سلوك طريق التوحيد (وهم لم يسلكوه أصلاً) ورموا بها خلف ظهورهم أو خلف بطونهم على الأصح - وتاقت نفوسهم إلى الوثنية وطالبوا موسى بأن يجعل لهم إلّهاً. ولكن نبي الله منعهم من ذلك وسفّههم وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله: **﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلّهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون﴾**[3].

هارون واليهود في غياب موسى

ظلت العقلية الوثنية راسخة في نفوسهم وما إن تركهم مع أخيه هارون وذهب إلى ميقات ربه كما تقول الآية المباركة **﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر فتم ميقاتُ ربه أربعين ليلة قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تَتَبعْ سبيل المفسدين﴾**[4] حتى

---

(١) الآية رقم ٦١ من سورة البقرة المباركة.
(٢) د. محمد بيومي مهران ص٢/ ٣٥٢.
(٣) سورة الأعراف المباركة الآية رقم ١٣٨.
(٤) سورة الأعراف المباركة الآية رقم ١٤٢.

عادوا إلى كفرهم وضلالهم وانساقوا في غيهم وأهوائهم ورجعوا إلى وثنيتهم وانغمسوا فيها ولم يستطع هارون أن يضبطهم ويسيطر عليهم فخالفوا أمْرهُ وكادوا يفتكون به ﴿**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خُوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين**﴾[1].

ويعمل هارون جهده في سبيل إعادة هؤلاء القوم إلى رشدهم وعبادة الله الواحد وردهم عن عبادة العجل فلم يفلح. ويسجل القرآن الكريم هذا الحوار بين هارون وقومه في غياب أخيه موسى:

﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فُتِنتُم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري**﴾[2]. فيجيبهُ اليهود:ـ

﴿**قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾[3].

وأضلَّهم السامري

ولما قضى موسى أجل الصوم وكلم ربه وأعطاه الألواح سأله الله تعالى ـ وهو أعلم عما أعجله عن قومه. ﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربي لترضى**﴾[4]. وحينئذٍ أخبره الله تعالى بأنهم فُتِنُوا عن دينهم وأضلهم السامري[5]. ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خَلَفْتُموني من بعدي أعجلتم أمر**

(١) سورة الأعراف المباركة الآية رقم ١٤٨.
(٢) سورة طه المباركة الآية رقم ٩٠.
(٣) سورة طه المباركة الآية رقم ٩١.
(٤) سورة طه المباركة الآيتان رقم ٨٣ ـ ٨٤.
(٥) سورة طه المباركة الآية رقم ٨٥.

ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾[1].

هذا ما يقصه القرآن الكريم بأدبه المعهود. أما كتبة التوراة فيظهر بهم الجهل والكفر إلى أن ينسبوا صنع العجل إلى هارون: تقول التوراة: «ورأى الشعب ان موسى قد تأخر في النزول من الجبل فاجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهةً تسير أمامنا فإن موسى ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه... فقال لهم هارون: انزعوا حلقات الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب حلقات الذهب التي في آذانهم وأتوا بها هارون فأخذها وصبها في قالب وصنعها عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر فلما رأى هارون ذلك بنى مذبحاً أمام العجل ونادى قائلاً: غداً عيد الرب»[2]. علماً بأن هارون هو أخو موسى وهو نبي ورسول مثله ونائبه وخليفته في غيابه أنها سقطة من السقطات الكثيرة التي وقع فيها كتبة التوراة بجهلهم المعهود.

موسى يتبرأ من اليهود ويدعو الله له ولأخيه فقط

عندما عاد نبي الله موسى من جبل الطور ورأى قومه يتحلقون حول العجل يرقصون ويغنون تأسَّف وغضب كما قالت الآية الكريمة فطرح الألواح أرضاً وأخذ العجل بكلتا يديه وأحرقه ثم توجه إلى الله بقوله:

---

(١) سورة الأعراف المباركة رقم الآية ١٥٠.

(٢) سفر الخروج الاصحاح ٣٢/١ ـ ٥.

﴿ربي اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾[1].

نلاحظ في ما مرَّ معنا من الآيات أولاً أن نبي الله موسى طلب الغفران والدخول في رحمة الله له ولأخيه فقط. ولم يطلب ذلك لقومه لأنهم أشركو بعبادتهم العجل والله تعالى لا يغفر أن يُشرَك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. لأنه **﴿ومن يشرك بالله فقد ضلَّ ضلالاً بعيدا﴾**[2] ونجد تأكيداً لما نقول في مكان آخر من سّورة الأعراف المباركة في الآية ١٦٦ وما بعدها عندما خاطب موسى ربه قائلاً:

﴿قال ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإيَّاي أتهلكنا بما فعل السُّفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء أنت ولِيُّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ـ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هُدْنا إليك﴾[3]. فأجابه الله تعالى واضعاً لحصول المغفرة عدة شروط لم يحقق اليهود منها شرطاً واحداً **﴿قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء. فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزَّكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** فلا هم اتقوا

---

(١) سورة الأعراف المباركة الآية ١٥١.
(٢) سورة النساء المباركة الآية ١١٦.
(٣) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٥ ـ ١٥٦.

ربهم ـ ودائماً حسبما يورده القرآن الكريم ـ ولا هم أتوا الزكاة ولا آمنوا بآيات الله. ولا ذريتهم من بعدهم آمنوا بنبي الله ورسوله محمد (ص) واتبعوا النور الذي أنزل معه بل على العكس من ذلك فقد وجدناهم أشد الناس عداءً وخصومةً له ومحاربة لدعوته كما سنرى ذلك في الفصل التاسع من هذا الكتاب وهذا ما يرسخ إعتقادنا بأن اليهود لم يؤمنوا عبر تاريخهم بأنبياء الله تعالى الذين دعوهم إلى عبادته ووحدانيته.

اليهود لا يعتبرون رب موسى رباً لهم

ونلاحظ ثانياً أن اليهود قالوا لموسى في الآية الكريمة السابقة ﴿ادع لنا ربك﴾ ولم يقولوا «ربنا» وفي هذا تأكيد على أنهم لم يكونوا يعتبرون ان رب موسى هو ربهم فأبعدوه عنهم وفصلوا أنفسهم عنه وسيرد هذا القول عندهم في كثير من الآيات القرآنية الكريمة غيرها[1] في سورة البقرة والمائدة والأعراف.

وفي هذا دليل جازم أيضاً وبرهان ساطع على أنهم لم يؤمنوا لا بدعوة موسى ولا بإله موسى ولا بدعوة من جاء قبله أو بعده من النبيين إلا من كان بينهم من أهل النبوة بل ظلوا يناصبونهم العداء ويحاربونهم ويقتلونهم بغير حق وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا في أكثر من سورة وفي أكثر من آية كريمة وتحداهم أن يكونوا آمنوا قال تعالى:

﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا

---

(١) سورة البقرة الآيات ٦١ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠.
سورة المائدة الآية ١١٢.
سورة الأعراف الآية ١٣٤.

ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ـ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ـ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾[1].

ويقول الحق: **﴿افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ـ وقالوا قلوبنا غُلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾**[2].

ويقول الحق: **﴿وإذ قالَ موسى لقومه يا قوم لِمَ تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلمّا زاغوا أزاغَ الله قلوبهم والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾**[3].

جدل واستخفاف وعناد

ثم يورد لنا القرآن الكريم قصة تبين لنا سوء أدب هؤلاء اليهود وإيذاءهم لرسولهم كما تبين نفاقهم وعدم تصديقهم له والاستخفاف بمقام الربوبية وتظهر لنا نفوسهم المطبوعة على العناد والاستكبار وحب الجدل والمماحكة:

﴿وإذ قال موسى لقومه أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً قالوا اتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما

---

(١) سورة البقرة المباركة الآيات ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣.
(٢) سورة البقرة المباركة الآيتان ٨٧ ـ ٨٨.
(٣) سورة الصف المباركة الآية ٥.

هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارضٌ ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها. قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمةٌ لا شيةَ فيها. قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾[1].

لقد بينت لنا هذه القصة بوضوح سوء أدب اليهود في كلامهم مع نبي الله موسى كما قلنا عندما رموه بفضول القول ولغو الكلام مع ما فيه من تعنتهم وتشديدهم وإصرارهم في الاستيضاح والاستفهام المستلزم لنسبة الإبهام إلى الأوامر الإلهية وبيانات الأنبياء مع ما في كلامهم من شوب الاهانة والاستخفاف.

فانظر إلى قول موسى لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة: وقولهم: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي: وقولهم ثانياً: ادع لنا ربك يبيِّن لنا ما لونها. وقولهم ثالثاً ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أن البقر تشابه علينا فأتوا في الجميع بلفظ ربك من غير أن يقولوا ربنا ثم كرروا قولهم ماهي وقالوا أن البقر تشابه علينا فادَّعوا التشابه بعد البيان ولم يقولوا إن البقرة تشابهت علينا بل قالوا إن البقر تشابه علينا كأنهم يدَّعون أن جنس البقر متشابه ولا يؤثر هذا الأثر إلا بعض أفراد هذا النوع وهذا المقدار من البيان لا يجزي في تعيين الفرد المطلوب وتشخيصه مع أن التأثير لله عزَّ اسمه لا للبقرة.

---

(١) سورة البقرة الآيات (٦٧ ـ ٧١).

ثم انظر إلى قولهم لنبيهم: اتتخذنا هزواً المتضمن لرميه بالجهالة واللغو حتى نفاه عن نفسه بقوله: أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين. وقولهم أخيراً بعد تمام البيان الآلهي: الآن جئت بالحق الدال على نفي البيانات السابقة المستلزم لنسبة الباطل إلى طرز البيان الآلهي والتبليغ النبوي[1].

أرض الميعاد ادعاء باطل

ويحثُّ نبي الله موسى قومه على دخول أرض كنعان ليبشر بدين الله ويحارب الوثنية فيها فيجيبوه ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾[2].

ولعمري ليست هناك روح انهزامية ضعيفة جبانة رقيقة الايمان بهذا الشكل: إن قوماً يدعوهم نبيُّهم إلى دخول أرض الوثنيين لاعلاء كلمة الله وهو فيهم يدعوهم فلا يجيبونه ويستنهض هممهم فلا ينهضون لقد فقدوا روح الاطاعة والسمع واستقرت فيهم طبيعة العتو والاستكبار. لماذا نكلوا عن الجهاد وأرادوا العودة إلى مصر؟ لماذا الخوف من أرض كنعان ما دامت هي أرض الميعاد كما يدعون التي وعدهم بها الرب وأقسم أمام إبراهيم واسحٰق ويعقوب على إعطائها لهم؟...

إنها إحدى السقطات الرهيبة التي يقع فيها كتبة التوراة دائماً، وهي دليل ساطع على أنه ليس هناك أرض ميعاد ولا وعد من الرب بها

(١) الميزان في تفسير القرآن الجزء الأول ص١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٢) سورة المائدة المباركة الآية ٢٤.

لهؤلاء. إن هذا الموقف الجبان لبني اسرائيل وعدم إطاعتهم لنبيّهم وتشكيكهم به كان من نتيجته أن خاطبه الله تعالى بقوله: **﴿قال فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأسَ على القوم الفاسقين﴾**(١)

وهكذا مات أكثرهم في التيه ومات هارون عليه السلام ثم بعده بثلاث سنين مات أخوه موسى الكَلِيم(٢)

---

(١) الآية ٢٦ من سورة المائدة المباركة.

(٢) د. مهران المرجع السابق ص٢/ ٣٧٥.

الفصل الثاني

الاستيطان الإسرائيلي القديم في فلسطين
يوشع والغزو المدمر

يوشع بن نون في التوراة

آل أمر الاسرائيليين بعد وفاة نبي الله موسى إلى يوشع بن نون. وتسميه التوراة (يشوع) وقد جاء فيها سفر باسمه هو السفر السادس وأول أسفار التاريخ في الترتيب التوراتي. فمن هو يوشع هذا الذي تولّى أمر تلك الجموع التائهة في أكبر عملية استيطانية لبلاد الكنعانيين؟.

لقد أحاط كتبة التوراة هذا الرجل بهالة كبيرة من العظمة والتقديس لا تقل عن قداسة موسى نفسه، وأسبغوا عليه ضروباً من العظمة لم يسبغوها على أيٍّ من الأنبياء الذين أتوا قبله من يوسف إلى نبيي الله إبراهيم، فهو ذو شخصيَّة فذة تسيطر على مجمل الروايات واسمه يشكل بذاته برنامجاً لأنه يعني (الرب المخلص)[1].

فهو خليفة موسى وقد صعد معه إلى جبل الله ـ بحسب التوراة دائماً ـ فقام موسى ويشوع مساعده وصعد موسى إلى جبل الله وقال موسى للشيوخ انتظرونا هاهنا حتى نرجع اليكم[2] ولما علم موسى انه لن يعبر الأردن ليقود الشعب إلى أرض الميعاد عهد إلى يشوع بهذه

---

(١) الكتاب المقدس ص٤١٨.

(٢) سفر الخروج الاصحاح ٢٤/١٣ ـ ١٥.

المهمة[1]. ثم دعا موسى يشوع وقال له أمام عيون اسرائيل كله: تشدد وتشجع فإنك أنت تدخل هذا الشعب إلى الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم إياها وأنت تورثهم إياها، والرب هو السائر أمامك وهو يكون معك ولا يهملك ولا يتركك فلا تخف ولا تفزع[2]. وكما كلم الرب موسى من قبل كلم يوشع من بعد، وكان بعد وفاة موسى عبد الرب: (إن الرب كلم يشوع بن نون مساعد موسى قائلاً: إن موسى عبدي قد مات فقم الآن واعبر الأردن هذا أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل[3]. (يا شمس قفي على جبعون ويا قمر على وادي ايالون) فوقفت الشمس في كبد السماء وأبطأت عن الغروب نحو يوم كامل وثبت القمر[4].

لا ذكر ليوشع في القرآن الكريم

ذلك كان بعض ما جاء في التوراة عن يوشع بن نون في السفر الذي يحملِ اسمه أما القرآن الكريم فلم يأتِ على اسم يوشع ولا على أي ذكر له. ولم أجد إلا ـ كلمة (فتاه) وردت في آيتين كريمتين من سورة الكهف المباركة:

﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾[5].

﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا﴾[6].

---

(١) سفر العدد الاصحاح ٢٧/١٨.
(٢) سفر التشنية الاصحاح ٣١/٧ ـ ٨.
(٣) سفر يشوع الاصحاح ١/١ ـ ٢.
(٤) سفر يشوع الاصحاح ١٠/١٢ ـ ١٣.
(٥) سورة الكهف المباركة الآية ٦٠.
(٦) سورة الكهف المباركة الآية ٦٢.

وقد ذكر المفسرون الطبري وابن كثير وابن الاثير والزمخشري وغيرهم أن يوشع هذا بعث بعد نبي الله موسى[1]. ولا أدري على ماذا استندوا في ذلك، فهل ان كلمة (فتاه) إن كان هو المقصود بها تكفي لاعطائه هذه المكانة الكبيرة عند المسلمين وهي تعني فيما تعني مملوكه وخادمه وقد حدَّدها نبي الله بقوله في الآية المباركة الثانية عندما قال له: ﴿آتنا غداءنا﴾. أما في الآية المباركة الأولى فقد تكلم عن نفسه هو دون فتاه عندما قال ﴿لا أبرح﴾ ولم يقل (لا نبرح) ففصل نفسه عنه وفي هذا دليل على أن هذا الفتى لم يكن ذا شأن مهم في حياة موسى كما نرى. أضف إلى ذلك عدم ورود اسمه في القرآن الكريم وعدم الثناء عليه في أيّة آية قرآنية كريمة.

حذار من الاسرائيليات

والذي يهمنا هو كلام الله تعالى لا أقوال المفسرين وآراؤهم واجتهاداتهم ونحن نعلم أن كثيراً من الاسرائيليات دخلت عن علم أو عن غير علم في كثير من جوانب الثقافة العربية والاسلامية منذ القرن الأول للميلاد وحتى العصر الحاضر وهذا ما نبهنا إليه في مستهل كتابنا هذا حين قلنا بوجوب عدم السماح للمؤثرات العرقية والسياسية والدينية أن تتدخل وتلعب دورها في تشويه الحقائق وتزييفها وعدم الانسياق وراء الكتّاب والمؤرخين الغربيين الذين يلبسون الباطل ثوب الحق ويضعون ما بين السطور اختلاقات لا أساس لها من الصحة.

لهذا فنحن لا نستطيع أن نرسم ليوشع على ضوء ما جاء في القرآن

(١) الطبري ٦/ ٧٠ ـ ابن كثير ٢/ ٧٤ ابن الاثير ١/ ـ الكشاف ١/ ٦٢٢.

الكريم بحقه صورة واضحة المعالم مكتملة الجوانب لا تصريحاً ولا تلميحاً ولهذا يبقى موقفنا منه محاطاً بالابهام والغموض حتى يتضح العكس على وجهٍ علمي صحيح. إذ لا يكفي كما أسلفت أن يكون مجرد فتى لنبي الله موسى حتى نحيطه بهذه الهالة من الاجلال والتعظيم التي أوصلها البعض إلى مقام النبوّة. فلا أتباع الأنبياء ولا أصحابهم جميعاً معصومون وقد حذّر الله تعالى النبي محمد(ص) من هذا بقوله: **﴿وممَّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم﴾**[1].

اسئلة حول يوشع

- أين كان يوشع عندما ذهب موسى لميقات ربه؟

- كيف كان موقفه من هؤلاء الذين أضلهم السامري[2]؟..

- أين كان يوشع عندما عاد موسى غضبان أسفا وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه

- أين كان يوشع عندما استضعف القوم هارون وكادوا يقتلونه؟..

- لماذا لم ينتصر له ويدافع عنه؟ وهو لو فعل لأثنى الله تعالى عليه في ذلك الموقف الصعب كما أثنى على مؤمن آل فرعون في أكثر من آية كريمة مع أنه كان يكتم إيمانه[3].

---

(١) سورة التوبة المباركة الآية ١٠١.

(٢) السامري: أحد بني اسرائيل من قبيلة السامرة صنع العجل وعبده ودعا قومه إلى عبادته فأطاعوه واعتقد أنه ذهب من السامرة في فلسطين إلى مصر وخرج منها مع بني اسرائيل وظل وثنياً.

(٣) راجع الآية ٢٨ من سورة غافر المباركة.

ـ في صف مَنْ كان يوشع عندما قال هارون لأخيه: (لا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين).

ـ لماذا لم يستغفر موسى إلا له ولأخيه فقط؟..

ـ لماذا قال موسى: **﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾**[1]. أين كان يوشع ساعتئذٍ؟.. في كل ما تقدم لم نجد أي أثر لهذا الفتي ولم نعثر له حتى على خبر أو عمل يذكر في سبيل نصرة تعاليم موسى أو الدفاع عنه أو الاحتجاج على الأقل على أولئك الأعداء الجاهلين الذين كان يعيش بينهم.

بعد وفاة موسى

بعد وفاة نبي الله موسى لم يبق واحد من اتباعه مؤمناً برسالته وتعاليمها فكلهم انحرفوا وكلهم أضلهم السامري فارتدوا وعادوا إلى جاهليتهم يعبدون الأوثان التي ينحتونها أو يصنعونها بأيديهم وتحولت الوصايا العشر إلى فساد وإجرام ولا ندري بعد ذلك أين آل أمر يوشع بن نون، غير أن التوراة تؤكد أن يشوع هو الذي قاد تلك الجموع التائهة في أكبر عملية غزوٍ استيطاني لبلاد الكنعانيين.

العبرة بما حدث

وسواء أكان يشوع هذا هو يوشع بن نون أم كان رجلاً غيره فإن الذي حدث من مذابح ومجازر وإبادة الناس بالجملة دون إنذار أو تبشير بدين سماوي أو تعاليم أو شرائع جديدة والله تعالى يقول **﴿وما نرسل**

---

(١) سورة المائدة المباركة الآية رقم ٢٥.

المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾[1] ويقول تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾**[2].

أقول إن كل هذا الذي حدث كان في وقت يوشع وزمنه وهو حيّ يرزق.

وسأتكلم من الآن فصاعداً عن هذا اليشوع الذي أشادت التوراة ببطولاته في سفك الدماء وإتلاف الحرث والنسل وإحراق القرى وتدميرها بمن فيها من إنسان وحيوان بغية تفريغها من أصحابها الشرعيين وإعطائها لهؤلاء الأقوام الشريدة الطريدة التي لا مأوى لها والباحثة عن الأرض والاستيطان. لقد كان رجلاً غريب الأطوار عصبي المزاج دموي الطباع ذا شخصية تحلَّلت من أي ارتباط ديني، امتلأ حقداً وأطماعاً وشذوذاً نفسياً وخلقياً فطغى وبغى وانقاد لجبروته وعقله المدمر. يقول ول ديورانت: «لقد حكم موسى حكماً سليماً لم تسفك فيه دماء أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الثاني وهو أن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً. وبهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة[3].

الغزو المدمِّر

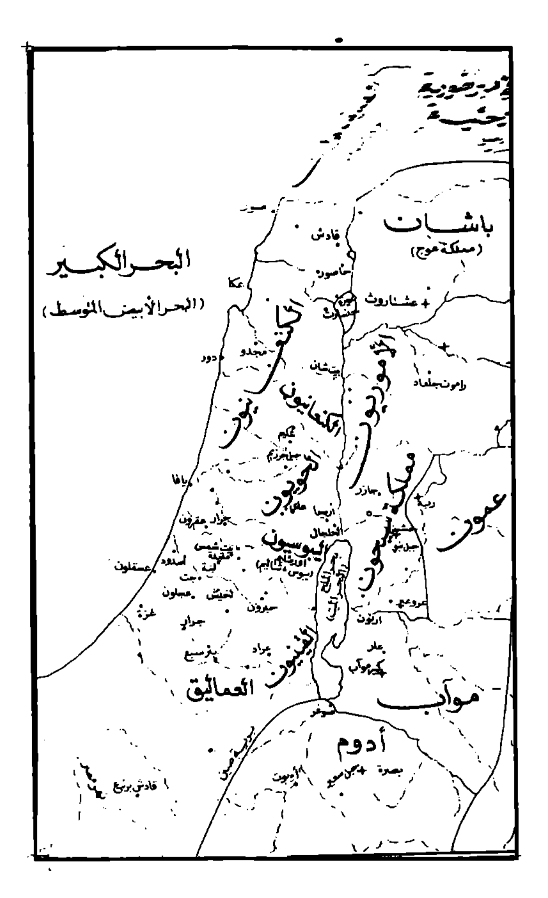
بدأ يشوع غزوه المسلح وفي رأسه خطة جهنمية تقضي بتوزيع البلاد الكنعانية كلها على الأسباط الاثني عشر وقد تضمنها سِفر يشوع في الفصلين الثالث عشر والرابع عشر منه تحت عنوان (توزيع الأراضي

(١) سورة الأنعام المباركة الآية ٤٨.

(٢) جزء من الآية رقم ١٥ من سورة الإسراء المباركة.

(٣) وِل ديورانت ـ قصة الحضارة الجزء الثاني ص٣٢٧.

بين الأسباط) وهذا ما يخص لبنان فيها: (ومن عارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى حدود الأموري وأرض الجلي وكل لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماه، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت ميم وكل الصيدونيين سأطردهم من أمام بني اسرائيل وأنت تكتفي بتوزيعها بالقرعة على إسرائيل ميراثاً كما أمرتك)[١].



شعوب أرض كنعان وما جاورها قبل غزو الإسرائيليين بقيادة يشوع

---

(١) سفر يشوع الاصحاح ١٣/ ٤ ـ ٦.

قبل أن يبدأ يشوع بغزو أريحا التي كانت هدفه الأول أرسل جاسوسين إلى بيت بغيّ اسمها راحاب. تقول التوراة: «فأرسل يشوع بن نون رجلين من شطّيم[1] جاسوسين خفية قائلاً: امضيا وانظرا الأرض وأريحا فمضيا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وباتا هناك، فقيل لملك أريحا قدم إلى هنا هذه الليلة رجلان من بني اسرائيل ليتجسّسا الأرض فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلاً:

اخرجي الرجلين اللذين أتياك ودخلا بيتك فإنهما أتيا ليتجسّسا الأرض كلها. فأخذت المرأة الرجلين وأخفتهما وقالت لا أدري أين ذهبا فبادروا في أثرهما فإنكم تدركونهما[2].

وبهذا يكون يشوع بن نون حسب إفادة التوراة أول من شرّع الجاسوسية في معتقد بني اسرائيل واعتمد على النساء الساقطات في سبيل ذلك وظلت منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا عملاً يشرعه دينهم ويثيب عليه، حتى بلغت بهم الجرأة حداً جعلهم ينسبون صنع المكائد للرب. تقول التوراة تحت عنوان (دبورة وباراق) دعت دبورة باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي وقالت له: أليس أن الرب إلّه اسرائيل قد أمر أن أمضِ وجنّد في جبل تابور وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون وأنا استدرج إليك سيسر قائد جيش يابين ومركباته وجنده إلى نهر قيشون وأسلمه إلى يدك[3].

---

(١) شطّيم أو السنط تدل على جزء السَّهب المجاور للبحر الميت في الشمال الشرقي.
(٢) سفر يشوع الاصحاح ٢/ ١ ـ ٥.
(٣) سفر يشوع الاصحاح ٤/ ٦ ـ ٧.

هكذا فُتحت أريحا

عندما علم يشوع من الجاسوسين سهولة فتح أريحا سر كثيراً وأمر جماعته في الحال بعبور نهر الأردن. وما أن وطأت رجلاه الماء حتى جمد تحت أقدامهم «وقف الماء المنحدر من عالية النهر وقام كتلة واحدة وكل إسرائيل عابر على اليَبس حتى انتهت الأمة كلها من عبور الأردن[١] وما أن انتهوا من عبوره فكان عندما صعد الكهنة ونقلوا أخامص أقدامهم إلى اليبس ان مياه الأردن رجعت إلى مكانها وجرت كما كانت تجري من أمس فما قبل على جميع شطوطه[٢]

وقفت جموع الاسرائيليين أمام أسوار أريحا فطافوا حولها سبعة أيام وفي كل يوم سبعة اشواط. ولما كان اليوم السابع سقطت الأسوار بقدرة قادر: (وصعد الشعب إلى المدينة كل واحد على وجهه واستولوا على المدينة وأحرقوا كل ما في المدينة من الرجل وحتى المرأة. ومن الشاب وحتى الشيخ حتى البقر والغنم والحمير فقتلوهم بحد السيف[٣]ولم يبق إلا على راحاب البغي وأهلها مكافأةً لها على خيانتها ثم أحرق المدينة ودعا قائلاً: (ملعون لدى الرب الرجل الذي ينهض ويبني هذه المدينة).

العي هدف يشوع الثاني

بعد ذلك هاجم مدينة العيّ بالطريقة المباغتة نفسها ولما دخلها ضربها بحد السيف حتى جرت دماء القتلى أنهاراً ثم أحرقها بمن فيها من

---

(١) سفر يشوع الاصحاح ٣/ ١٧

(٢) سفر يشوع الاصحاح ٤/ ١٨

(٣) سفر يشوع الاصحاح ٦/ ٢٠ ـ ٢١

إنسان وحيوان بعد أن أخذ ما فيها من أموال حسب أمر الرب وكان عدد سكانها ١٢,٠٠٠ نسمة.

وهكذا ظهر هؤلاء الناس بقيادة يشوع مجردين من كل حسٍّ أو عاطفة إنسانية فاندفعوا نحو تلك البلاد الآمنة كالوحوش الكاسرة يقتلون البشر ويحرقون الحجر ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الاسراف في القتل والاستمتاع به ومثل هذه السهولة في تعداد القتلى[١].

صمد الجنوب فاستقل لبنان

بعد ذلك راحوا يفتتحون المدينة تلو المدينة ويستولون عليها وبنفس الأسلوب الدموي الارهابي حتى ملكوا معظم تلك الأرض ثم مات يشوع وبقيت هناك أراضٍ كثيرة لم يستولِ عليها الاسرائيليون مع أنه تم توزيعها بين الأسباط[٢]. ومنها الجنوب اللبناني حيث بقيت أراضيه بيد أصحابها يدافعون عنها وظلت مستعصية على الفتح الاسرائيلي حتى في ظل الملكية وقيامها في عهد داوود وابنه سليمان. ومن الملفت أن لبنان كله استقل استقلالاً تاماً في الفترة الواقعة بين (١١٥٠ ـ ٧٥٠ ق.م) فترة نشاط الاستيطان اليهودي وكانت الزعامة خلالها لمدينة صور في البر والبحر فازدهرت ازدهاراً عظيماً وأنشأت المستعمرات في الغرب الأوروبي والشمال الافريقي. وظلت هكذا حتى الاجتياح الأشوري المدمِّر الذي خضعت له جميع شعوب المنطقة.

---

(١) وِلْ ديورانت ـ قصة الحضارة الجزء الثاني ص٣٢٧.

(٢) د. فيليب حتى المرجع السابق ص٩٨ نقلاً عن فوردن.

عاقبة التجزئة

من المؤسف حقاً أن الأقوام العربية من (كنعانية وعمورية وآراميَّة) لم تكن تشكل يومها اتحاداً فيما بينها بالرغم من الأخطار التي كانت تتهدَّدها جميعها. حتى أن الكنعانييِّن الذين استوطن العدو الغازي أرضهم، لم يكونوا يشكلون فيما بينهم كياناً واحداً ذا نظام مركزي واحد وله جيشه الواحد الذي يدافع عنه. وإنما كانوا شعوباً وقبائل متفرِّقة جمعتها الأرومة والانتماء وفرقتها المصالح والأهواء. وكان لكل مدينة نظامها الخاص وجيشها الخاص ولها آلهتها ومعتقداتها. وقد شغلهم حب التجارة والأسفار عن رؤية ذلك الوحش المسعور الذي نزل بهم وراح يلتهمهم مدينة مدينة ويقضمهم قرية قرية حتى أتى على العديد منهم.

ولو أنَّ تلك الأقوام تَكَتَّلت يومها واتَّحدت فيما بينها. ووقفت صفّاً واحداً في وجه تلك الجماعات الغازية ـ كما وقفت في وجهها لدى عودتها من السبي ـ على ما سنذكره فيما بعد، وحاولت صدَّها ومنعها من تنفيذ مشروعها الاستيطاني التوسعي، لما تمكنت من إيجاد موطىء قدمٍ لها، ولمَّا لم يحدث ذلك فقد حدث الاختراق وتمَّ غزو الأراضي الفلسطينية وما جاورها وتمكَّنت تلك العصابات المتجوِّلة التي عرفت بقبائل (الخابيرو أو العابيرو) التي كانت تغير على المدن والقرى عائثة في الأرض فساداً[١]، من احتلال فلسطين والسيطرة على أرضها.

---

(١) تاريخ لبنان الدكتور ـ فيليب حتى ص١١٠.

شيء من التاريخ

على أننا لا نقف هنا موقف الناقد المتأسف والمتألِّم لما حدث. فلو أنَّنا ألقينا نظرة خاطفة على الوضع الدولي المعقَّد والمتأزِّم يومذاك فإنّه ربَّما وجدنا جملة من الأسباب الوجيهة التي منعت الأقوام يومها من تحقيق وحدة الرأي والكلمة فيما بينها وحالت دون إتمامها. وهي مشابهة تماماً للوضع الدولي الذي كان سائداً في عصرنا هذا عند عودة قيام الكيان الصهيوني من جديد عام ١٩٤٨.

المصريون

ففي أثناء الغزو اليهودي يومذاك كانت هناك فوضى دوليَّة عارمة تجتاح المنطقة كلها من حدود بلاد ما بين النهرين وشمالي سوريا حتى مصر. كما كانت هناك ردَّة فعلٍ مصريَّة شديدة وقاسية على فلسطين وفينيقيا وسوريا وبابل بعد طرد الهكسوس منها استمرت طيلة عهد الدولة الحديثة (١٥٨٠ ـ ١١٥٠).

فهؤلاء المصريون لم يكفهم طرد الهكسوس من بلادهم وحسب وإنما تعقبوهم إلى خارجها فأخضعوا جميع بلاد فلسطين وسوريا وامتدت غزواتهم حتى شملت معظم الأراضي الواقعة شرقي الفرات وما بين النهرين بدءاً بغزوات أحمس وتحوتمس من الأسرة الثامنة عشرة وصولاً إلى غزوات الرَّعامسة ملوك الأسرة العشرين. فقد جرَّ هؤلاء حروباً قاسية مدمِّرة أجهزوا فيها على كل مظاهر الحياة والعمران في تلك البلاد حتى أصبحت ضعيفة هزيلة منهوكة القوى لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا الصمود أمام أي غازٍ ورد عدوانه.

الآراميون

في ذلك الوقت أيضاً ظهرت على مسرح أحداث المنطقة قبائل ساميَّة أخرى هي القبائل الآرامية التي خرجت من الصحراء وأخذت تبحث عن موطن جديد لها. فاجتاحت معظم الأراضي من بلاد ما بين النهرين وشمال سوريا وأواسطها وطغت على سكان البلاد من حوريّين وأموريّين وحثيِّين فامتزج فيهم من امتزج وطُرد من البلاد من طرد[١].

وركَّزت تلك القبائل وضعها ثم استقرت في سوريا الداخلية وجعلت من دمشق عاصمةً لها.

الحثيّون

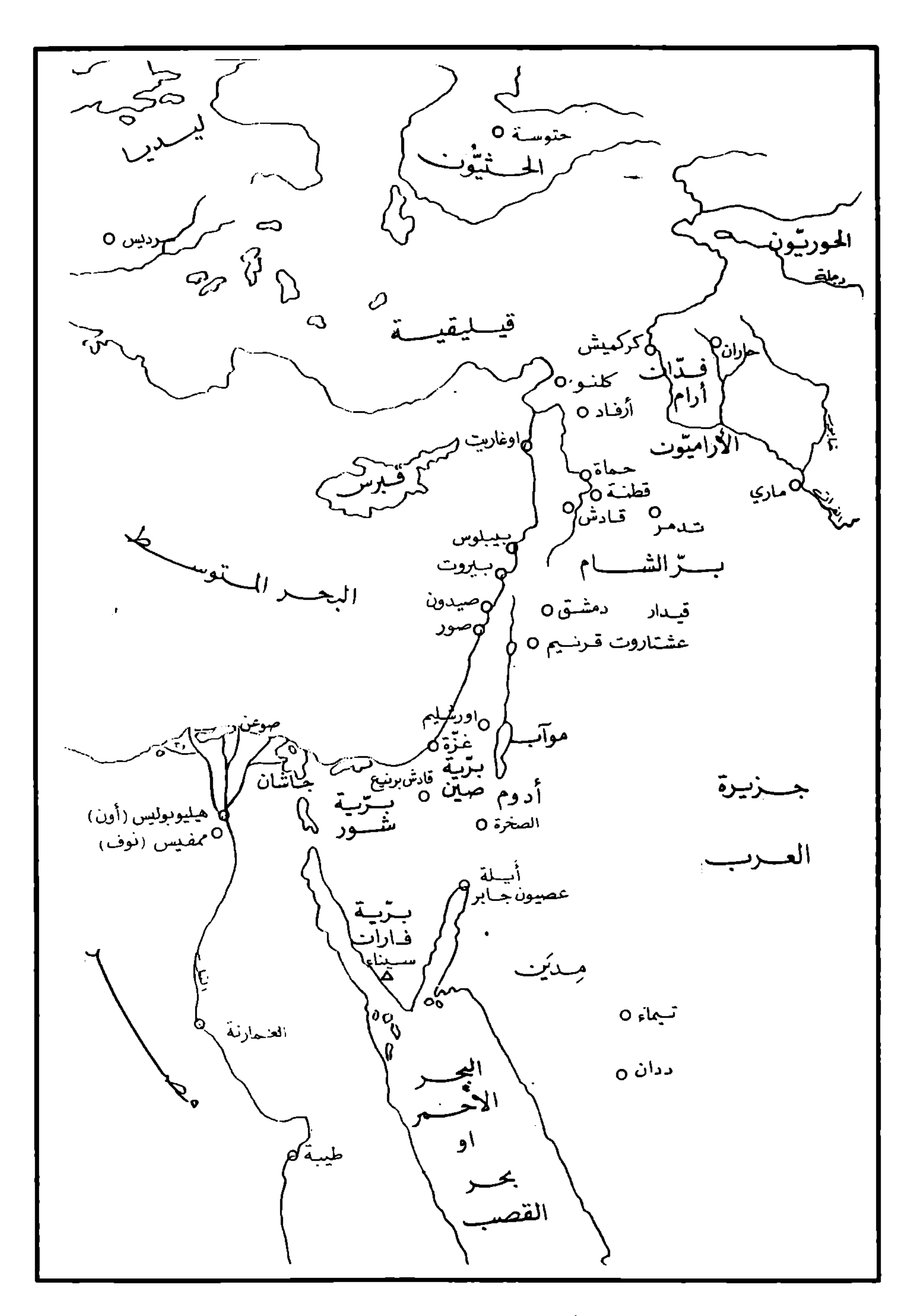
وكان قد سبقهم قبل ذلك مجموعات أخرى من شعوب مختلفة أتت من بلاد الأناضول وشمالي العراق وسورية والقسم الشمالي من فينيقية وجعلوا عاصمة مملكتهم مدينة كركميش (جرابلس الحالية) على الفرات جنوبي جبال طوروس وهؤلاء هم الحثيُّون الذين اعتبروا أقوى دولة في غربي آسية.

صراع الأقوياء

في وسط ذلك الزّحام وخلال ذلك التصاول والتصارع بين الأقوام على السلطة والنفوذ واكتساب المواقع تسلَّلت تلك الجماعات الغازية واجتاحت أرض فلسطين ثم راحت تتمدَّد فيها شرقاً وشمالاً وتنتزع

---

(١) الدكتور فيليب حتي المرجع السابق ص١١٠.



بلاد الشام وفينيقية وفلسطين ومصر

الأراضي من أصحابها الكنعانيين عنوة. وكانت بلاد الكنعانيين كما أسلفنا قد أُصيبت بالفقر والجدب والخراب جرّاء الغزوات المدمِّرة عليها وراحت تئن تحت عبءِ الخلل والفوضى وصراع المغيرين من هنا وهناك وهنالك حتى أصبحت غير قادرة على حماية نفسها والوقوف في ذلك المعترك الذي يتطاحن فيه الأقوياء.

وقد ذلَّت نفوس أهليها وفقدوا كل بأسٍ ونشاط وفقدوا بذلك كل إحساسٍ بالعزَّةِ والكرامة فأصبحوا عاجزين عن مقاومة أي طامع في بلادهم. وهكذا تمكن الغزاة اليهود من الاستيلاء على الأرض وطردوا أهلها بعد أن ارتكبوا فيها المجازر والمذابح وقاموا بحملات إبادة جماعية للسكان الآمنين.

التاريخ يعيد نفسه.

والتاريخ يعيد نفسه، ويبقى عدو الأمس هو نفسه عدو اليوم وقد بدأ استيطانه الجديد بأسلوبه القديم. وإذا بمذابحه ومجازره الجديدة تعم البلاد الفلسطينية كلها من كفر قاسم إلى قبية ونحالين وطولكرم وقلقيلية وبنات يعقوب ويانوح والجاعونه ودير ياسين ثم تمتد خارجها فتطال الأراضي العربية الأخرى من لبنان إلى سوريا إلى الأردن والعراق ومصر حتى تونس ولن تقف عند هذا الحد. وكانت مجازرها الجديدة تفوق بآلاف المرّات بشاعة وفداحة مجازرها القديمة في أريحا والعي وغيرهما نظراً لما استفاده هذا العدو من تقدم في مجال الارهاب بما اغدقته عليه تكنولوجيا دول الغرب المتطورة في ميادين الحرب والإبادة[١].

(١) تأتي الولايات المتحدة الأميركية في مقدمة الدول الداعمة والمتفانية في خدمة =

والعرب من حوله اليوم تماماً كما كان الكنعانيون بالأمس البعيد شعوباً وقبائل متفرقة مجزَّأة ومقسمة. ولكن مع فارق هو المعوَّل والمرتجى:

الآمل المرتجى

فهذه البلاد العربية التي تحيط اليوم باسرائيل ليست كما كانت القبائل الكنعانية، متعدِّدة الأهداف والمصالح وليست في غالبيتها الساحقة الطاغية متعددة الآلهة والأديان، وليست متعددة الانتماءات والولاءات، فهذه أمور لا وجود لها الآن، وإنها وإن اختلفت أنظمتها وسياساتها ووجهات نظرها. إلاَّ أنها تملك شعوراً قوياً واحداً بأنها شعب واحد، له قومية واحدة ودين واحد وإله واحد وتاريخ مشترك واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة هذه الثَّوابت كلها أثبتت عبر التاريخ الطويل استحالة اختراقها بأية مجموعات غريبة دخيلة.

والأمثلة على ذلك كثيرة. فقديماً احتلها الفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والصليبيون وأسسوا فيها الممالك وشادوا القلاع ثم أرغموا على تركها. وكذلك فعل الأتراك العثمانيون وحديثاً دول الاستعمار الغربي جميعها. وكلهم ذهبوا إلى غير رجعة. وسيأتي دور الصهاينة الجدد في القريب العاجل، إن غداً لناظره قريب.

= اسرائيل فهي تعطيها المال على شكل هبات ومساعدات مجانية وتقدم لها أحدث ما تنتجه مصانع السلاح عندها وتمنع أي قرار لإدانتها باستخدامها حق النقض المتكرِّر.

الفصل الثالث

اليهود في عصر القضاة

عهد القضاة

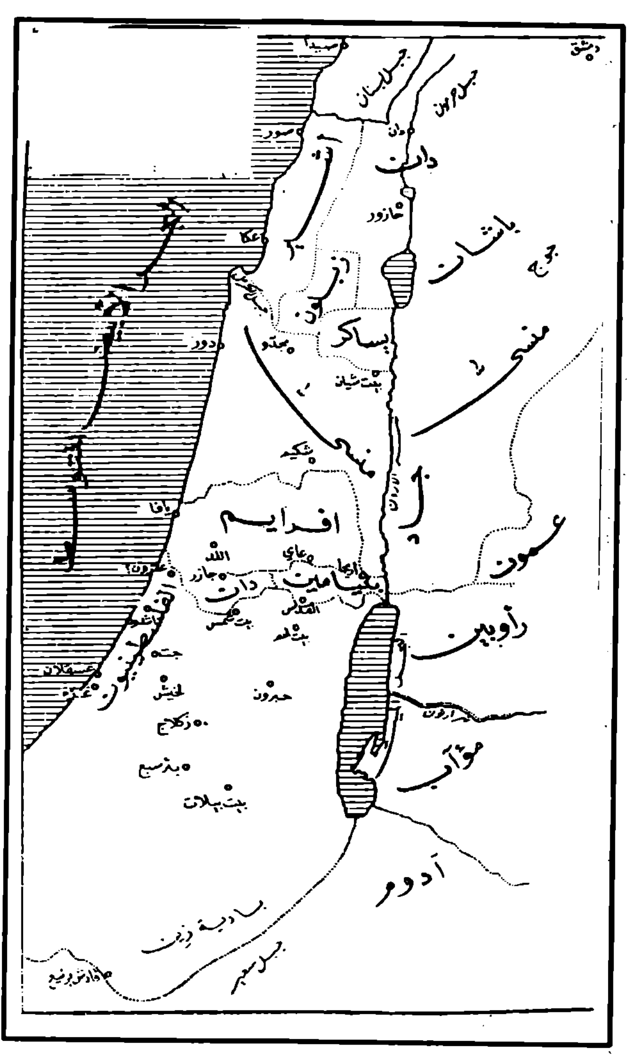
هو العهد الذي ابتدأ بموت يشوع وامتد حتى قيام النظام الملكي برئاسة شاؤول أو طالوت كما يسميه القرآن الكريم. تقول التَّوراة.

إن مدة هذا العهد هي ٤٠٠ سنة وهو على شكل قصص وأساطير لجماعات بشرية تظهر فيها صلات قرابة أو عداوة بين بعض الأسباط وهي في مجموعها عبارة عن أخبار معارك للمحافظة على الأرض التي تم الاستيلاء عليها. لكن ذلك كله يرد بشكل متقطع ويظهر لنا دون أي اهتمام بترتيب زمني. وهو لا يحتوي على أي تاريخ كان. ولا يذكر فيه إلاَّ مدة كل قضاء، لكن إن جمعنا الأرقام الواردة لكل قاضٍ نحصل على مدة ٤١٠ سنوات وهذا أمر لا يتفق مع سائر ما عُرف من تاريخ اسرائيل[١]. وتلك سقطة من سقطات كتبة التوراة الكثيرين كما أصبح معروفاً عندهم. فإذا كان الخروج من مصر حدث في عهد الفرعون مرنبتاح ابن رعمسيس الثاني على أرجح تقدير[٢] وذلك في حدود العام

(١) انظر الكتاب المقدس ص٤٦٥.

(٢) الدكتور محمد بيومي مهران المرجع السابق.

١٢١٤ ق.م وإذا كانوا قد تاهوا في الصحراء ٤٠ سنة كما ذكر القرآن الكريم وإذا كانت زعامة يشوع بعد نبي الله موسى دامت عشر سنين كان بامكاننا الجزم أن عصر القضاة امتد من حوالي سنة ١١٥٠ ق.م إلى قيام طالوت في حدود سنة ١٠٢٠ ق.م أي حوالي ١٣٠ سنة فقط.



فلسطين في أيام القضاة

صمود الكنعانيين والأقوام العربية

إن تاريخ هذا العهد يتميز بالقلق والاضطراب وعدم الاستقرار. قام في كل سبط منهم شيخ من شيوخهم عرف بالقاضي. وقد مرَّ فيه الاسرائيليون بحالة من التفكك والضياع. كما تميز هذا العهد بصمود الكنعانيين في مواقعهم وزادوا من مقاومتهم العنيفة لهؤلاء الغزاة.

وإن بعض الأسباط الذين وقعت بعض بلاد الكنعانيين في حصتهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها وطرد أهلها منها وقد اعترف بذلك كتبة التوراة في سفر القضاة غير أنهم أحالوا سبب ذلك على الرب وأوردوا سلسلة من العبارات راحوا يرددونها في كل عمل لا يحالفهم الحظ فيه: مثل:

- فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب.
- أسلمهم الرب إلى هذا العدو أو ذاك.
- فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب...

وهكذا وعندما يعجز الإسرائيليون عن فتح بلد ما يرد كتبة التوراة ذلك لسببين:

- إما أن هذا البلد تُرك ليكون عقاباً لبني اسرائيل على ما ارتكبوه من مفاسد ومعاصي.
- أو أن يكون ذلك إمهالاً لهذا البلد ليتوب.

وتحت عنوان: (سبب استمرار الأمم الغريبة)[1] تقول التوراة:

---

(١) لقد أصبح سكان البلاد الأصليين غرباء عند هؤلاء الغزاة القتلة لقد قلبوا المقاييس فصار القاتل يكره ضحيته أكثر مما تكره الضحية قاتلها ـ إنهم اليهود.

«فغضب الرب على اسرائيل وقال: بما أنَّ هذه الأمة قد تعدَّت عهدي الذي أوصيت به آباءها ولم تسمع صوتي فلا أعود أنا أيضاً أطرد أحداً من أمامها لأمتحن بها إسرائيل.

فترك الرب تلك الأمم ولم يطردها سريعاً. وتلك هي الأمم التي تركها الرب: جميع الذين لم يعرفوا حروب كنعان خمسة أقطاب: الفلسطينيين وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماه؛ ولم يكونوا إلا لامتحان إسرائيل بهم[1]. وهذا اعتراف منهم بعدم احتلالهم لبنان.

هكذا كانت حال هؤلاء الغزاة في شمالي فلسطين أما في جنوبها فالحالة كانت أدهى وأمرّ تقول التوارة تحت عنوان (بنو مدين يظلمون إسرائيل).

وضع بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فأسلمهم إلى أيدي مَدْيَن سبع سنين وقويت أيدي مدين على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم الشقوق في الجبال والكهوف والملاجىء بسبب مدين. وكان إذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم ويعسكرون عليهم ويتلفون غلَّة الأرض إلى مدخل غزة ولا يبقون ميرة في إسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حيمراً.

لأنهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون في عدد الجراد كثرة لا يحصون هم ولا جمالهم ويأتون الأرض ويتلفونها فافتقر إسرائيل جداً بسبب مدين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب[2].

---

(١) سفر القضاة الاصحاح٢/ ٢٠ ـ ٢٣ والاصحاح ٣/ ١ ـ ٣

(٢) سفر القضاة الاصحاح ٦/ ١ ـ ٦.

وهكذا يمضي هذا السفر في وصف الحالة المزرية التي آل إليها بنو إسرائيل من الضعف والتفكك والانحلال. يتخلل ذلك ذكر أعمال بطولية لاستنهاض الهمم هي في منتهى السخف والفساد والرذيلة والانحلال الخلقي، فلا يحافظ الواحد منهم فيها على عرضه وشرفه وحرمة عائلته حتى أن أحد قوادهم (كالب) يقول: من ضرب قرية (سفر) وأخذها أعطيه (عَكْسَةَ) ابنتي فأخذها اخوه الأصغر فأعطاه عكسة ابنته[1].

خرافات وأساطير

ويمضي سفر القضاة في شحذ همم الإسرائيليين واستنهاضها بأساطير خيالية فيورد نشيد دبّورة الحماسي الذي يظهر فيه الرب جندياً من جنود بني إسرائيل يحارب معهم ويخوض معاركهم وفيه توبيخ للأسباط على تقاعسهم وعدم خروجهم للقتال. ثم يورد قصة شمجر الذي قتل ٦٠٠ رجل من الفلسطينيين بمنخس البقر وخلّص بني إسرائيل.

ثم قصة شمشون ودليلة الأسطورية التي تقول إن شمشون جاءه ثلاثة آلاف رجل إسرائيلي وقالوا له: «أما تعلم أن الفلسطينيين متسلطون علينا ثم أوثقوه بحبلين جديدين وذهبوا به ليسلموه إلى الفلسطينيين ليقتلوه. وبحركةٍ بهلوانية تنقض عليه روح الرب فإذا الحبلان كأنهما كتان أحرق بالنار فانحلّت القيود عن يديه ووجد فكَّ حمار طرياً فمد يده وتناوله وقتل به ألف رجل[2]. وغير ذلك من الأساطير التي حشا بها

(١) سفر القضاة الأصحاح ١/١٢ ـ ١٣.
(٢) سفر القضاة الاصحاح ١٥/١١ ـ ١٦.

كتبة التوراة متنها وقدموها للناس على أنها حقيقة واقعة.

شيء واحد بامكاننا أن نؤكده بعد قراءتنا لفصول التوراة جميعها هو أن مؤلفي فصولها كانوا على خلاف متباين فيما بينهم حول استنتاجاتهم وتوجيهاتهم المتعلقة بمشاكل تاريخ إسرائيل. وإن كل المرويات التوراتية هي في أفضل الفروض مصدر غير مناسب للمعرفة التاريخية. إن مجالات الاختلاف في الأساليب والاستنتاجات بين مؤلفي هذا الكتاب أظهرت بوضوح أن ذلك لا يمكن اعتباره رأي مدرسة واحدة بل إنه يمثل حركة واسعة الانتشار في هذا الحقل لا يمكن اعتبار بنائها التاريخي مقبولاً لأنه يعتمد كلياً على روايات وقصص خيالية مفككة للعهد القديم[1].

الفلسطينيون يهزمون الاسرائيليين ويستولون على تابوت العهد

لم يتمكن بنو إسرائيل لا في عهد القضاة ولا في العهد الذي سبقه من أن يقيموا دولة لهم لأن ذلك لم يكن بالأمر السهل عليهم لأن أحوالهم ظلت غير مستقرة لشدة ما كانوا يعانون من مقاومة السكان الأصليين لهم وخاصة الفلسطينيين.

يقول وِل ديورانت في قصة الحضارة:

«لم تتألف من الغزاة في يوم من الأيام أمة موحدة متماسكة بل ظلوا زمناً طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطاً مستقلين استقلالاً واسعاً أو ضيقاً، نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة».

---

(١) توماس. ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي.

وقد ظل الفلسطينيون في مدنهم الخمس الواقعة على الشريط الساحلي الممتد من غزة حتى جنوبي يافا وهي (غزة وعسقلان وأشدود وعفرون وجتّ) يقاتلون العبرانيين بلا هوادة حتى تمكنوا حوالي سنة ١٠٥٠ ق. م. من هزيمتهم وأخذوا منهم تابوت العهد وحملوه إلى أشدود.

تقول التوراة في ذلك تحت عنوان (تابوت العهد عند الفلسطينيين): «وخرج إسرائيل على الفلسطينيين للحرب فعسكروا عند أبان هاعِزر وعسكر الفلسطينيون في أفيق[١] واصطف الفلسطينيون بإزاء إسرائيل واتسع القتال فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين فقتلوا من الصف وفي البرية نحو أربعة آلاف رجل[٢]. ثم تقول في مكان آخر: وأخذ الفلسطينيون تابوت الله ومضوا به من أبان هاعزر إلى أشدود[٣].

كان الذي مكَّن الفلسطينيين من الصمود في وجه الاستيطان العبراني هو استعمالهم للحديد الذي أدخلوه سلاحاً هاماً في حروبهم معهم بسبب مهارتهم في عمليات التعدين واستعمال السيوف الحادة في الدفاع والهجوم[٤].

بلاد عربية تستعصي على الغزو الاسرائيلي

إلى جانب ذلك فإن الكنعانيين الذين وقعت بلادهم حسب تقسيم يشوع في حصة أسباط أشير ونفتالي وإفرايم وزبولون ومنسَّى ظلوا

---

(١) أفيق: مدينة في شمال فلسطين.
(٢) سفر صموئيل الأول الاصحاح ٢/١ ـ ٢.
(٣) سفر صموئيل اوول الاصحاح ٥/١ ـ ٢.
(٤) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ص١/١٩٨.

يدافعون عنها وهي بيت شان[1] وما حولها من القرى وتَعْنَكْ ـ التي لا تزال تحتفظ باسمها حتى اليوم ـ وما حولها من القرى ودور ويبلعام ومجدو وجازر وقطرون وعكو[2] وحلبة ورحوب وبيت شمس وكل القرى المحيطة بها، ظلت في أيدي الكنعانيين.

وسكن الأسباط بينهم إلى جانب غيرها من المدن والقرى وهذا يؤكد حقيقتين: ضعف العبرانيين من جهة وقوة سكان البلاد الشرعيين من جهة ثانية. كذلك فإن بني عمون[3] في شرقي الأردن تحدوا أسباط بنيامين ويهوذا وافرايم في منطقتي القدس ونابلس وتسلطوا عليهم.

الاسرائيليون عبدة الأوثان

وقد تأثر الاسرائيليون بالأقوام التي استولوا على أرضهم واستوطنوها من كنعانيين وفروعهم من المؤابيين والعمونيين والمدينيين والآراميين والأموريين. فجاروهم في كل شيء وأخذوا عنهم معظم عاداتهم وتقاليدهم وكثيراً من مفردات اللغة وعبدوا آلهتهم.

وإلى هذا تشير التوراة بقولها تحت عنوان (ظلم بني عمون) «وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب فعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه فغضب الرب على إسرائيل فباعهم إلى ايدي الفلسطينيين وإلى أيدي بني عمون فحطموا بني إسرائيل

(١) بيت شان هي بيسان اليوم وتأتي على صورة باشان.
(٢) عكو هي عكا الحالية.
(٣) بني عمون: بنواحي عمان سميت المدينة باسمهم.

وعاملوهم بقسوة منذ تلك السنة إلى ثماني عشرة سنة. جميع بني إسرائيل الذين كانوا في عبر الأردن، في أرض الأموريين الذين في جلعاد. وعبر بنو عمُّون الأردن ليحاربوا أيضاً يهوذا وبنيامين وبيت افرائيم وكان ضيق عظيم على إسرائيل»[1].

(١) سِفر القضاة الاصحاح ٨/٦ ـ ٩ تحت عنوان يفتاح.

الفصل الرابع

اليهود في عصر الملكية الموحدة

طالوت - داوود - سليمان

عهد الملكيّة الموحدة

الحاجة إلى ملك

بعد هزيمة بني إسرائيل المنكرة في أفيق وبعد تماديهم في انقساماتهم على أنفسهم شيعاً وأسباطاً بسبب الاختلافات الكبيرة التي كانت مستحكمة بين طوائفهم، وبعد فشل القضاة المتعاقبين على حكمهم واحداً بعد الآخر خاصة في عهد ولدي كاهنهم وزعيمهم الديني صموئيل، وبعد أن استفحل خطر الأقوام العربية المحيطة بهم ولا سيما خطر الفلسطينيين والعمونيين الذين كانوا قد استردوا بعض المدن والقرى التي كان الاسرائيليون قد استولوا عليها. بعد هذا كله اجتمع شيوخ إسرائيل وجاؤا إلى صموئيل يطلبون منه أن يجعل لهم ملكاً يقضي بينهم كسائر الأمم. فساء هذا الكلام في عيني صموئيل وبعد أن بيَّن لهم أحكام الملك الذي يملك عليهم وأنذرهم بأنه سيأخذ شبانهم وأفضل حقولهم وكرومهم وزيتونهم ويعطيها لعبيده ثم يجعلهم عبيداً وحذرهم من ذلك فأبى الشعب أن يسمع لكلام صموئيل وقال: كلا بل يملك علينا ملك ونكون كسائر الأمم فيقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا فسمع صموئيل كلام الشعب[1].

---

(١) سفر صموئيل (الأول) الاصحاح ٨/ ٤ ـ ٢٠.

وإلى تلك الحادثة يشير القرآن الكريم بقوله:

﴿ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلمَّا كتب عليهم القتال تولّوا إلاَّ قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾[1].

لا طاقة لبني إسرائيل على القتال

ولا أرى شعباً أكثر وقاحة في مخاطبة الأنبياء وكلامه معهم من هؤلاء اليهود أنظر فقد قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكاً ولم يقولوا أدع الله يبعث لنا ملكاً وهذا دليل يضاف إلى غيره من الأدلة على أن هؤلاء لم تكن عندهم في يوم من الأيام صلة بالله ولا إيمان به. ولكن الله تعالى أراد أن يلقي الحجة على هذا الشعب الضال المتمرد وهو الخبير العليم بهم فصور لنا تلك الحادثة بالاسلوب القرآني البليغ وهو يعلم أنهم لا يقاتلون في سبيله: **﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾**. فقد نكلوا وجبنوا قبل ذلك عندما دعاهم موسى لمقاتلة الوثنيين في أرض كنعان وقالوا له **﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾** كما أثبتوا في كل مراحل تاريخهم أنهم جبناء لا طاقة لهم على القتال وليس لهم عليه أي اصطبار وها هو تعالى يصفهم بقوله **﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾**

(١) سورة البقرة المباركة الآية ٢٤٦.

شاؤل أول ملك على بني اسرائيل

استجاب صموئيل لطلب الشعب ومسح شاؤل[1] أو طالوت كما يسميه القرآن أول ملك عليهم في حدود العام ١٠٢٠ ق.م على أرجح تقدير وكان طالوت هذا كما تصفه التوراة شاباً جميلاً لم يكن في بني اسرائيل رجل أجمل منه وكان يزيد طولاً على كل الشعب من كتفه فما فوق[2].

كان طالوت من أهل الجنوب وهؤلاء ظلوا متمسكين بحياة البداوة وعاداتها القديمة فكان فقيراً يعيش في خيمة في بلدة جبعة[3]. ولم يكن من بيت الملك ولا من بيت النبوَّة فاعترضوا عليه ورفضوه وكأن طلبهم لنبيهم أن يبعث لهم ملكاً كان مشروطاً عندهم بموافقتهم عليه وهذا منتهى الاستعلاء وقلة الايمان بالله ولم يرضوا به إلا بعد أن أخبرهم نبيُّهم بأن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم.

جمع شاؤل جنوده وراح يعدهم لمقاتلة الفلسطينيين الذين كانوا قد تغلبوا عليهم في موقعة افيق[4] وجردوهم من سلاحهم. وكان الفلسطينيون قد حشدوا قواتهم للمواجهة وعلى رأسهم جالوت وهو من أحفاد العماليق. وقد صورت ذلك التوراة فبعد أن تحدثت عن اصطفاف كل من الجيشين قالت:

---

(١) شاؤل: مطلوب من الله.

(٢) صموئيل(١) الاصحاح ٩/٢.

(٣) هي بلدة تل الفول اليوم على بعد حوالي ٧ كلم شمالي القدس.

(٤) أفيق: إحدى المدن الفلسطينية.

جالوت يتحدى الاسرائيليين

«فخرج رجل مبارز من صفوف الفلسطينيين اسمه جليات من جتَّ وكان طوله ٦ أذراع وشبراً وعلى رأسه خوذة من نحاس وكان لابساً جرشفيَّة ووزن الدرع خمسة آلاف مثقال نحاس وعلى رجليه ساقان من نحاس وبين كتفيه مزراق من نحاس وقناة رمحه كمطوى النساج ووزن سنان رمحه ستماية مثقال حديد وكان يتقدمه رجل يحمل ترسه فوقف ونادى صفوف اسرائيل وقال لهم لماذا تخرجون للاصطفاف في الحرب ألست أنا الفلسطيني وأنتم عبيد شاؤل فاختاروا لكم رجلاً ينازلني فإن استطاع أن يحاربني وقتلني صرنا لكم عبيداً وإن ظفرت أنا به وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيداً وتخدمونا. هاتوا لي رجلاً لنتقاتل معاً فسمع شاؤل وكل إسرائيل كلام الفلسطيني هذا ففزعوا وهربوا من وجهه وخافوا خوفاً شديداً وكان الفلسطيني يبرز ويقف صباحاً ومساء طيلة أربعين يوماً»[١].

الشعب الجبان

أمام هذا التحدي الكبير الذي قام به جالوت أخذ شاؤل ينادي في جموع الاسرائيليين: من يبارز هذا الرجل فلم يجبه أحد: ثم تابع يقول: أرأيتم هذا الرجل من قتله يغنيه الملك غنىً عظيماً ويزوجه ابنته ويُعفي بيت أبيه من كل جزية في إسرائيل[٢].

---

(١) سفر صموئيل(١) الاصحاح ١٧/ ٤ ـ ١١ + ١٦.

(٢) المرجع السابق ١٧/ ٢٤ ـ ٢٥.

ويجبن جميع بني اسرائيل عن الرد على هذا التحدي ولا يجرؤ أحد منهم على الوقوف في وجه هذا العملاق وهم على جهوزيّة تامة للقتال وجنودهم مصطفه ومعبأه ولكن روح الهزيمة كانت قد تفشت في نفوسهم فأماتت فيها كل شعورٍ ديني وكل احساس بالجهاد والقتال رغم إعدادهم للحرب واستعدادهم لها مع أنهم كانوا قبل قليل يقولون: ﴿**وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا**﴾.

داود يواجه التحدّي

ظل جالوت أربعين يوماً ينادي في كل يوم هل من مبارز فلا يجيبه أحد وظل شاؤل طيلة تلك المدة يستنهض همم الاسرائيليين ويحرضهم على رد التحدي دون نتيجة حتى عظم الأمر عليه كثيراً وأظهر خيبة أمله في تلك الأعداد الكبيرة من الاسرائيليين الذين لم يخرج من بينهم رجل واحد يسجل موقفاً بطولياً أو ينتفض أو يثور كما ظهر هو نفسه ملكاً فاشلاً عديم الكفاية في قيادة تلك الأعداد من البشر. فتقدم عند ذلك داود بن يسَّى وكان الله تعالى قد اختاره للنبوّة وحملِ الرسالة وهو أعلم حيث يجعل رسالته وبرز داود لجالوت فلما رآه هذا احتقره لصغر سنه ثم خاطبه غاضباً: هلم فأجعل لحمك لطيور السماء وبهائم الحقول فأجابه داود: وأنا آتيك باسم الرب، اليوم يسلمك الرب إلى يدي فأقتلك وأفصل رأسك عنك[1].

واندفع جالوت نحو داود لملاقاته فتقدم داود بخطى ثابتة منه ومدّ يدة إلى كيسٍ معه فأخذ منه حجراً وقذفه بالمقلاع فأصاب منه

---

(١) سفر صموئيل(١) الاصحاح ١٧/ ٤٣ ـ ٤٥.

مقتلاً[1]. وانغرز الحجر في جبهته فسقط على وجهه على الأرض وانتصر داود بالمقلاع والحجر.

في البدء كان الحجر

لا بد لنا هنا من تسجيل بعض الحقائق التي اثبتتها مبارزة داود لجالوت وانتصاره عليه:

أولاً: سقوط التكنولوجيا المتقدمة والمتطورة وعدم فاعليتها في تغيير ما هو حق.

فقد كان جالوت يملك أعظم سلاح حربي متطور في ذلك الوقت (قوة جسمية عظيمة ـ خوذة من نحاس على الرأس ـ درع ثقيلة على الجسم ـ ساقان مغطاتان بالزرد ـ مزراق وقناة رمح وسنان وترس ضخم الخ. . .) سقوط كل ذلك أمام أكثر الاسلحة بداءة وأقلها ثمناً.

ثانياً: إن ملك بني إسرائيل بدأ بحجر وسينتهي بحجر بعد أن بدأت ثورة الحجارة في فلسطين المحتلة. وهي وإن هدأت في بعض الأحيان إلا أنّها تتجدَّد وتنبعث في الوقت المناسب ولن تحدّ من عنفها أية إتفاقات أو معاهدات.

ثالثاً: إنّ داود كان يمتلك قوة الايمان بالله أمام من يمتلك جبروت الوثنية والشِّرك والباطل ولذلك انتصر هو ولم ينتصر الاسرائيليون الذين سرقوا هذا الانتصار وجيَّروه لحسابهم الخاص ولم يكونوا مؤمنين موحدين فجبنوا وخافوا ولهذا كان على اخوتنا في فلسطين المحتلة أن يوثِّقوا صلتهم بالله ويعمِّقوا إيمانهم به حتى يصبح في مثل إيمان داود

---

(١) وهذا يفسر خوف اليهود اليوم من ثورة الحجارة في الأرض المحتلة.

خالصاً لله تعالى فالحجر الذي التقطه داود وقتل به رأس الطغيان كان من أرض فلسطين وهو يقيناً لا يزال فيها يبحث عن رجل آخر يحمل إيمان داود ويمتلك جرأته وأغلب الظن أنه سيجده في القريب العاجل وعندها سينغرز هذا الحجر من جديد في رأس طاغوت جديد من طواغيت بني إسرائيل وكما خرجوا من مصر سيخرجون من فلسطين لا محالة.

رابعاً: إن مواجهة داود لجالوت في ذلك اليوم تساوي تماماً مواجهة الإمام علي بن أبي طالب لعمر بن ود العامري فقد كان علي لا يزال يافعاً في مثل سن داود ويحمل إيماناً كإيمانه وكان عمرو كجالوت يمثل الوثنية والشرك ويملك القوة والاعتداد بالنفس والعشيرة ولهذا قال رسول الله(ص) عندما برز علي لعمرو: «لقد برز الإيمان كله إلى الشرك كله»[1].

أجل لم يكن جالوت أكثر من عمرو قوة واستعلاء وتكبراً ولم يكن علي أقل من داود إيماناً واعتزازاً بالله واتكالاً عليه واندفاعاً في سبيل نصرة الحق وإعلاء كلمته وفي كلا الموقفين كانت الغلبة للايمان بالله الواحد الأحد وهو تعالى يقول إن ينصركم الله فلا غالب لكم.

النصر المعجزة

أجل لقد انتصر داود بقوة الإيمان في الدعوة الدينية القائمة على التوحيد التي كان يؤمن بها والمتمثلة بالرسالة السماوية التي هيأه الله لها وأيده بنصره؛ وليس اليهود هم الذين انتصروا فهؤلاء جبنوا وتخاذلوا وفروا كما تذكر التوراة والقرآن وهم عندما ارتفعت عنهم النبوّة فيما بعد ذلوا واستكانوا وباءوا بغضب من الله. وهم لولا داود لقضي عليهم

(١) راجع سيرة ابن هشام

وشاهدنا على ذلك ما أوردته التوراة من أن جميع الاسرائيليين خافوا من جالوت وهربوا من وجهه وخافوا خوفاً شديداً وظل يتحداهم ويطلبهم للمبارزة طيلة أربعين يوماً دون جدوى ودون أن يجسر واحد منهم على رد التحدي والوقوف في وجهه سوى داود.

تلك معجزة خارقة اختصه الله بها وأظهرها على يديه دون أن يكون للاسرائيليين أي جهد فيها أو تأثير ولم يكن لهم خارج نطاق النبوة أي مآثرة تذكر ولم يكن لهم من عمل سوى سرقة أمتعة الفلسطينيين وحوائجهم التي تركوها وفروا بعد مقتل زعيمهم جالوت.

إن الذي انتصر يومها هو القدرة الالّهية لاعلاء كلمة الله الواحد الأحد في وسط ذلك العالم الوثني المشرك الذي كانت تعيش فيه تلك الأقوام العربية كلها وليس بنو إسرائيل هم الذين صنعوا ذلك النصر وأحرزوه، أولئك الذين **﴿يحبون دائماً أن يُحمدوا بما لم يفعلوا﴾**[1]. ويغتصبون إرث الأنبياء ورسالاتهم زوراً وبهتاناً ويحرفونها حسب أهوائهم ويستغلون القضايا الدينية ويحشرون أنفسهم فيها ويجيِّرون قيمة الدعوة الدينية وقدسيتها وأثرها وعملها لحسابهم الخاص.

إن النصر الكبير الذي أحرزه داود على أقوى أعدائه كان كما في كل مرة معجزة آلهية وبأمر من الله تعالى أيّد به نبيَّه الكريم داود وجعله مقدمة ليبعثه على أثره رسولاً نبياً، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: **﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء﴾**[2].

(١) سورة آل عمران المباركة الآية رقم ١٨٨.
(٢) سورة البقرة المباركة الآية رقم٢٥١.

داود يصبح ملكاً على بني اسرائيل

بعد هزيمة الاسرائيليين وموت شاؤل وأولاده الثلاثة على يد الفلسطينيين تمَّ تنصيب داود ملكاً على سبط يهوذا في حبرون (الخليل) ولكن سرعان ما قامت المتاعب في وجهه إذ عمد رئيس جيش شاؤل (ابنير بن نير) الذي كان قد فرَّ من معركة الجلبوع ونصب (أشبوشيت) ابن شاؤل ملكاً. وعبر به الى منحائيم وملكه على جلعاد والاشيريين ويزرعيل وافرائيم وبنيامين وعلى كل إسرائيل بهذا يكون بنو إسرائيل قد انقسموا إلى قسمين: يهوذا وإسرائيل وقامت بينهما حروب طاحنة. وحدث أن اتهم أشبوشيت أبنير بالاعتداء على رصفة سرية أبيه شاؤل فاحتدم النزاع بينهما انضم ابنير على أثره إلى صف داود غير أن مؤاب قائد جيش داود قتله على غير علم من داود كما تقول التوراة ثم قتل بعد ذلك أشبوشيت فخلا الجو عندها لداود وأقبلت عليه جميع أسباط إسرائيل في حبرون ومسحوه ملكاً.

أورسالم اليبُّوسيّة

بعد أن استتب الملك لداود أسس للعبرانيِّين أول مملكة راح يبحث عن مكان ملائم لعاصمة الملك فوجده عند اليبُّوسيِّين وهم من الأرومات الكنعانية العربية التي كانت قد استوطنت تلك المناطق منذ أزمنة بعيدة وكان هذا المكان عبارة عن بيدرٍ يملكه هارون[1] اليبُّوسي في مدينة (يبُّوس) التي اصبحت فيما بعد (أورسالم) ثم حرَّفها العبرانيون

(١) دأب معظم الذين يكتبون التاريخ أن ينقلوا دون أعمال الفكر في كثير من الأوقات وهذا ما جعلهم يكتبون اسم هارون (أرونا) كما كتبها الاغريق تماماً.

حسب لفظهم فأصبحت (أورشليم).

حكاية بيت داود في القدس

كان بيدر اليبوسي يقع في منطقة عالية من المدينة يطل عليها ويشرف على أحوازها فطلبه داود من صاحبه هارون فقدمه له عن رضا ودون مقابل ولكن داود رفض أن يأخذه إلا بثمنه ليبني عليه بيتاً يكون محرراً وخالصاً لله تعالى. وتورد التوراة تلك الحادثة فتقول تحت عنوان (بناء مذبح) «صعد داود إلى بيدر اليبوسي ونظر (أرونا) فرأىّ الملك ورجاله آتين إليه فخرج أرونا وسجد للملك بوجهه إلى الأرض وقال (ارونا): لماذا جاء سيدي الملك إلى عبده؟.. فقال داود: لأشتري منك البيدر لكي ابني فيه مذبحاً للرب. فقال ارونا: ليأخذ سيدي الملك ما يحسن في عينيه هوذا البقر للمحرقة والنوارج وأدوات البقر تكون حطباً وهذا كله أيها الملك يقدمه أرونا للملك ثم أضاف قائلاً: الرب إلهك يرضى عنك؟.. فقال داود بل اشتري منك بثمن فلست أصعد للرب آلهي محرقات مجانية. فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين مثقالاً من الفضَّة[1]. ثم بنى عليه بيتاً للرب وسماه مدينة داود كما تقول التوراة.

ملاحظات خمس

قبل أن نسدل الستار على بناء داود للبيت في المدينة العربية التي سميت فيما بعد بالقدس لا بد لنا من الوقوف قليلاً لنستخلص بعض الملاحظات من تلك الحادثة التي تم على أثرها بناء البيت والتي وردت في السياق قبل قليل.

---

(١) سفر صموئيل(٢) الاصحاح ٢٤/١٩ ـ ٢٤.

أولاً: إن داود رفض أن يأخذ من اليبوسي بيدره إلا بثمنه ليكون خالصاً لله رغم إلحاح اليبوسي وإصراره على تقديمه هدية مجانية له. ولو كان داود اسرائيلياً مؤمناً بأرض الميعاد كما يدعي الاسرائيليون لأخذه غصباً واقتداراً ولطرد صاحبه العربي من داره وأرضه كما هي عادة الاسرائيليين ولكان عمله عند ذلك يعتبر مفخرة من المفاخر العظيمة لأنه يكون قد استولى على أرض موعودة من رجل عربي وحرَّرها سيما وهم كانوا يخوضون في ذلك الوقت حرباً شرسة مع العرب المحيطين بهم من جميع الجهات. ولكن حاشا لداود أن يفعل ذلك وهو نبي الله الذي آتاه ﴿**الحكمة والنبوَّة وفصل الخطاب**﴾[1].

ثانياً: الكرم العربي العريق والمتأصل في نفس العربي وهو ضارب بجذوره فيه إلى تلك الأزمنة السحيقة في القدم. فهذا اليبوسي العربي لم يكتف بتقديم بيدره لنبي الله داود وإنما قدم إليه معه البقر وأدوات البقر والنوارج لتكون حَطَباً كما قال وكل ذلك عن سماحة نفس وطيبة خاطر وكرم مطبوع وهو لو طلب منه ذلك بالقوة لهب يدافع عن داره وأرضه ورزقه دون شك.

ثالثاً: البراءة وطهارة الفطرة والسَّجيَّة عند هذا العربي اليبوسي عندما قال لداود: هل فيما أقدمه إليك؛ الرب إلهك يرضى عنك؟...

إن ذلك يذكرنا بقول السيدة الجليلة هاجر زوجة نبينا إبراهيم عليه السلام عندما أسكنها بوادٍ غير ذي زرع عند بيت الله المحرم وتركها وحيدة مع ابنها اسماعيل فقالت له قبل أن يتركها: الرب إلهك

---

(١) سورة (ص) المباركة الأية رقم٢٠.

أمرك بذلك؟ . . قال نعم!

قالت: إذن لا يضيِّعنا! . . أين هذا الايمان الفطري الصادق من وثنيَّة اليهود المتأصلة في نفوسهم والمتوارثة فيهم جيلاً بعد جيل فهم لم يؤمنوا بالله يوماً ولم يعبدوه حق عبادته حتى قال تعالى فيهم:

﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتقدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئسَ ما كانوا يفعلون﴾[1].

رابعاً: أن اليبوسيين العرب ظلوا في أرضهم ولم يغادروها حتى في زمن داود وقيام مملكته التي بلغت في عهده أقصى امتدادها وهذا ينفي كل ادعاء إسرائيلي بامتلاكهم البلاد جميعها. فقد ظلت مدينة أورساليم عربية بفضل صمود أهلها فيها.

خامساً: أن مملكة داود لم تكن مملكة قومية عرقية عنصرية كما طمح الإسرائيليون في إنشائها وهو نفسه لم يكن إسرائيلياً صميماً يجري في عروقه الدم الاسرائيلي الصرف فقد كانت جدته موآبية عربية وهو فوق ذلك كله ينتهي بنسبه إلى جده الأعلى سيدنا ابراهيم الخليل الذي يقول الله تعالى فيه:

﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾[2].

فالرسالات السماوية ليست عنصرية وهي تأبى أن يهتدي بهديها

---

(١) سورة المائدة المباركة الآيتان الكريمتان ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) سورة الأنعام المباركة الآية ٨٤.

فريق دون آخر أو يستظل بظلها أناس دون آخرين أو أن تكون مقتصرة على جماعة دون جماعة.

آلهة وطقوس وخرافات يهودية

بعد تثبيت ملكه راح داود يعمل على إعلاء كلمة الله تعالى ويحارب الوثنية وكان أول ما بدأ حروبه مع الاسرائيليين قبل غيرهم حيث كانت تتفشى الوثنية فيهم بشكل واسع ممزوجةً بكثير من الخرافات والأساطير والأوهام. كما بقيت جماعات كبيرة منهم تسجد للحجارة المقدسة أو تعبد بعل عشتروت أو تتنبأ بالغيب على الطريقة البابلية أو تقيم الأنصاب وتحرق لها البخور أو تركع أمام الحيَّة النحاسية[1] أو العجل الذهبي أو تملأ الهيكل بضجيج الحفلات الوثنية[2] أو ترغم أطفالها على أن يجوزوا في النار من قبيل التضحية[3].

وقد قال فيهم نبيُّهم إرميا بعد قرون من داود ـ حيث ظلوا على هذا الشكل ـ هذا الوصف الرائع على لسان الرب: «طوفوا في شوارع اورشليم وانظروا وادركوا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون انساناً يعمل للحق فأغفر له ـ إنما يحلفون زوراً وصلَّبوا وجوههم أكثر من الصخر وأبوا أن يتوبوا، كيف أغفر لك يا أورشليم وقد تركني بنوك وحلفوا بما ليس إلَهاً وحين أشبعتهم فسقوا، وإلى بيت الزانية تهافتوا صاروا أحصنة معلقة هائمة كل يصهل على امرأة قريبه.

---

(١) تشبيهاً لها بعصا موسى.

(٢) يقول ول ديورانت في قصة الحضارة إن اليهود كانوا يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي ـ راجع قصة الحضارة ص٢/ ٣٣٨.

(٣) المرجع السابق ص٢/ ٣٤٦.

أفلا أعاقب على هذه يقول الرب، ولا تنتقم نفسي من أمة مثل هذه؟ . . . فإنها ليست للرب. فقد غدر بي غدراً بيت اسرائيل وبيت يهوذا. يقول الرب جحدوا الرب وقالوا لا وجود له.

ويقول في مكان آخر.

على عدد مدنك كان عدد آلهتك يا يهوذا وعلى عدد شوارع أورشليم نصبتم مذابح للخزي. مذابح لتحرقوا البخور للبعل[١].

شاؤل يطارد داود

بدأ داود قتاله أول الأمر مع الإسرائيليين أنفسهم لقلع روح الوثنية من نفوسهم وتطهير المجتمع الإسرائيلي من الشرك والسير به نحو التوحيد غير أن الإسرائيليين الذين اعتادوا على قهر الأنبياء وظلمهم وتكذيبهم انقلبوا على داود فقاوموه بشدة واحتدم النزاع وإذ بشاؤل نفسه حسبما تورده التوراة يحقد عليه ويحاول قتله بعد أن أهدر دمه ثم استلّ سيفه وسدده الى قلب داود ليتخلص منه لئلا يزاحمه على الملك والسلطان. فهرب داود من أمامه وراح شاؤل يطارده من مكان لآخر.

داود في ضيافة الفلسطينيين

التجأ داود بعد فراره من شاؤل إلى أرض الفلسطينيين واحتمى في ظل أخيش[٢] ملك (جت) الذي أجاره وأكرمه وأسكنه في مدينة صقلع[٣] في صحراء النقب المتصلة بسيناء وراح داود يحارب

---

(١) راجع سفر إرميا الإصحاح ٥/١ ـ ١٢ ـ ١٢/١١.

(٢) أخيش أو أليش حسبما يرد في بعض النسخ.

(٣) صقلع أو صقلاع كما ترد وهي على حدود فلسطين شمال شرق بئر السبع.

الإسرائيليين من هناك:

تقول التوراة تحت عنوان (داود عند الفلسطينيين):

«قال داود في قلبه إني سأهلك يوماً بيد شاؤل ولا شيء خير لي من أن أفرَّ الى أرض فلسطين فيكفّ عنّي ولا يعود يطلبني وأنجو بنفسي[1]. وعبر الى أخيش ملك حت فأقام عنده هو ورجاله[2]. وقال داود لأخيش إذا كنت قد نلت حظوة في عينيك فليعطَ لي مكان في إحدى مدن الريف فأسكن هناك.

فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلاج[3].

جبل الجلبوع يشهد هزيمة الاسرائيليين

وفي غياب داود عادت فضربت عليهم الذلة والمسكنة وأعاد الفلسطينيون غاراتهم على إسرائيل فخرج شاؤل لصدهم واشتبك الفريقان في وادي بزرعيل[4]، فهزم الاسرائيليون شر هزيمة وذهبت اعداد كثيرة منهم طعمة للسيوف وكان بين القتلى ثلاثة من أولاد شاؤل وجرح هو جرحاً بليغاً فخاف أن يأسره الفلسطينيون فأمر أحد رجاله أن يجهز عليه ولكن هذا رفض فأخذ شؤل سيفه واتكأ عليه فمات وكان سقوطه في مكان يسمى جبل الجلبوع[5] حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م جاء الفلسطينيون فأخذوا سلاح شاؤل وحزوا رأسه وسمروا جسده وجسد

---

(١) هذا دليل على قوة الفلسطينيين في ذلك الوقت.

(٢) هذا دليل على الضيافة والكرم العربي.

(٣) راجع سفر صموئيل (١) الاصحاح ٢٧/ ١ ـ ٦.

(٤) وادي بزرعيل: احدى قرى الجليل.

(٥) قرية جلبوع اليوم تقع في مرج بني عامر في الأرض المحتلة.

أبنائه الثلاثة على سور بيت شان وأرسلوا أسلحتهم غنيمة حرب إلى معبد عشتاروت[1]. ولم يكتفوا بذلك بل أنهم أغاروا على المدن والقرى الاسرائيلية التي فر سكانها وأقاموا مكانهم فيها.

ثورة أبشالوم

ثم كان بعد ذلك ثورة ابشالوم على أبيه داود وبتحريض من أسباط اسرائيل عليه: «ارسل ابشالوم جواسيسه إلى جميع أسباط إسرائيل وقال: إذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك أبشالوم في حبرون، فجاء إلى داود مُخبر وقال: إن قلوب رجال إسرائيل صارت وراء ابشالوم فقال داود لجميع حاشيته قوموا بنا نهرب لأنه لا يكون لنا مفرّ من وجه أبشالوم بادروا بالذهاب لئلا يسرع ويدركنا وينزل بنا الشرور ويضرب المدينة بحد السيف[2].

لماذا يا توراة

لا أفهم لماذا تعطي التوراة دائماً هذا الموقف الضعيف المتخاذل لنبي الله داود كما أعطت لغيره من الأنبياء وتُلبسهم دائماً ثوب الخطيئة. ولماذا هذا الفرار المتكرر من وجه أعدائه؟ فهو مرة يفرُّ من شاؤل إلى أرض فلسطين ومرَّة يقول لحاشيته قوموا بنا نهرب من أبشالوم لئلا يسرع ويدركنا وهذا إن صح بزعم التوراة ولا اعتقده صحيحاً فإنما يدل على أمرين.

---

(١) محمد عزة دروزة تاريخهم من أسفارهم ص١٤٤ ـ فيليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص٢٠٤.
(٢) راجع سفر صموئيل (٢) اصحاح ١٥/ ١٠ ـ ١٤.

١ ـ إن داود وحاشيته وأتباعه كانوا قِلَّةً ضئيلة بحيث كان لا يستطيع أن يقوم معهم بأي عمل عسكري ضد خصومه.

٢ ـ إن أعداء داود كانوا من الكثرة بحيث أنهم ألجأوه إلى الفرار في كل مرة وهذا ما أكدنا عليه في أكثر من موضع.

استمرت ثورة أبشالوم بن داود ضد أبيه زهاء سنتين استطاع خلالها أن يستولي على العرش ويغتصب الملك بل أنه لم يتورع عن أن ينتهك عرض أبيه كما تقول التوراة وذلك بمشورة الكاهن أحيتوفل وعلى مرأى من الناس «فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل[1]»، ثم توجه برجاله إلى شرق الأردن حيث كان أبوه ولكن داود تمكن من هزيمته بعد أن ساعده الفلسطينيون وبعد معركة طاحنة ذهب فيها أكثر من عشرين ألفاً وفر أبشالوم ولقي حتفه أثناء فراره.

ثورة شايع بن بكري وأدوينا بن داود

كذلك فقد تمرد على داود رجل من سبط بنيامين اسمه شايع بن بكري ونفخ في البوق وقال: «ليس لنا نصيب مع داود ولا لنا ميراث مع ابن يسَّى، كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل فارتد جميع رجال إسرائيل عن داود[2]».

ثم حدثت حركة تمرد أخرى قام بها ولد آخر لداود اسمه أدونيامن زوجته حجِّيت بتحريض من شيوخ إسرائيل أيضاً واتخذ له مركبةً وخيلاً

(١) المرجع السابق ١٦/ ٢٢ وانظر كذلك محمد بيومي مهران ص٢/ ٧٣.
(٢) سفر صموئيل (٢) اصحاح ١٥/ ١٠ ـ ١٤.

وخمسين رجلاً يركضون أمامه[1] ولكنها لم تكن من الاتساع بحجم ثورة أبشالوم فقضي عليها سريعاً.

تثبيت الملك واتساعه ونهاية داود

استطاع داود أن يتغلب على جميع خصومه ومناوئيه فقد وعده الله تعالى بالرفعة والتمكين واتساع الملك وشدته حيث قال تعالى:

﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب﴾[2].

وقال: **﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة والنبوة وفصل الخطاب﴾**[3].

وانتصر على جميع أعدائه الوثنيين من إسرائيليين وعرب بعد سلسلة من العمليات الحربية الناجحة ضدهم فأذعنوا لسلطته ثم استطاع أيضاً أن يتغلب على من حوله من الشعوب والممالك فامتدَّ نفوذه إلى شرق الأردن وغربه وانضوت تحت لوائه الأسباط كلها لا إيماناً بدعوته ولكن خوفاً من بطشه وقوته.

وصية داود وموته

كانت ثورة أدونيا آخر حلقة في سلسلة الثورات التي أشعلها بنو إسرائيل في وجه داود بتحريض من جميع أسباطهم وكهانهم فقد مرض على أثرها وضعف ثم نادى زوجته بتشبع (أم سليمان) كما دعا صادوق

---

(١) سفر الملوك(١) الاصحاح ١/ ٥.
(٢) سورة (ص) المباركة، الآية رقم ١٧.
(٣) سورة (ص) المباركة، الآية رقم٢٠.

الكاهن وناتان النبي فدخلوا إلى حضرته فقال لهم: خذوا معكم خدم سيدكم وأركبوا سليمان ابني على بغلتي وانزلوا به إلى جيحون وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناتان النبي ملكاً على إسرائيل وانفخوا بالبوق وقولوا (ليحي الملك سليمان) وهو يجلس على عرشي ويملك مكاني[١].

ولما دنا يوم وفاة داود أوصى سليمان ابنه وقال: أنا ذاهب في طريق أهل الأرض كلهم فتشدَّد وكن رجلاً واحفظ أوامر الرب إلهك لتسير في طريقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهادته على ما هو مكتوب في شريعة موسى لتنجح في كل ما تعمل وحيثما توجهت[٢].

ثم توفي داود ودفن في أورشليم بعد أن ملك ٤٠ سنة ٧ منها في حبرون و٣٣ في أورشليم.

مقطوعات من مزامير تنسبها التوراة لداود

الرب صخرتي وحصني ومنقذي

إلّهي الصخر به أعتصم.

ترسي وقوة خلاصي وملجأي.

أدعو الرب سبحانه فأنجو من أعدائي

أمواج الموت غمرتني

وسيول بليعال روعتني

---

(١) سفر الملوك(١) اصحاح ١/ ٣٢ ـ ٣٥.

(٢) المرجع السابق اصحاح ٢/ ١ ـ ٣.

وحبائل مثوى الأموات حاطتني

وشباك الموت استبقتني

في ضيقي الرب دعوت

وإليه إلَهي صرخت

❋ ❋ ❋

يرسل من عليائه فيأخذني

ومن البحار ينتشلني

من عدوي الجبار ينقذني

من مبغضي لأنهم أقوى مني

في يوم بليتي دهموني

فكان الرب سندي

إلى الرحب أخرجني

ولأنه يحبني خلصني

الرب بحسب بري كافأني

وبطهارة يدي أثابني

❋ ❋ ❋

يا إلهي الملك أعظمك وأبد الدهر أبارك اسمك

أتأمل في بهاء مجد جلالك وفي أمر عجائبك

الرب رحيم رؤوف طويل الأناة عظيم الرحمة

الرب يرأف بالجميع ومراحمه على كل أعماله

أن ملكوتك ملكوت جميع الدهور وسلطانك في كل جيل فجيل

لأني حفظت طرق ربي

ولم أصنع شرا بعيدا عن الّهي

ولأن أحكامه كلها أمامي

وفرائضه لم أبعدها عني

بل كنت معه كاملاً

ومن الإثم صُنت نفسي

الرب بحسب بري كافأني

وطهارتي أمام عينيه

مع الصفي تكون صفياً

ومع الكامل تكون كاملاً

* * *

مع الطاهر تكون طاهراً

ومع المعوجّ تكون ملتوياً

لأنك أنت يا رب سراجي

والرب ينير ظلامي

فإني بك أقتحم الحصون

وبالّهي أتسلق الأسوار

هو ترس لكل من به يعتصم

فمن إله غير ربنا؟ . . .

ومن صخرة سوى إلَهنا؟ . . .

الله عزِّي ما بأسي

يجعل كاملا سبيلي. . .[1]

الرب أمين في كل أقواله وبارٌّ في جميع أعماله

عيون الجميع ترجوك لترْزُقَهم طعامهم في أوانه

تبسط يدك فشُبع كل حيٍّ رغبته

الرب قريب من جميع الذين يدعونه من جميع الذين بالحق يدعونه

الرب يحفظ جميع محبيه ويستأصل جميع الأشرار

بتسبيح الرب ينطق فمي وكل ذي جسدٍ يبارك اسمه القدوس[2]

داود كما تصوره التوارة

لو حاولنا من خلال ما ترويه التوراة عن شخصيَّة داود لما وجدناه سوى جندي من جنود بني إسرائيل يباشر حروبهم ويخوض معاركهم وليس له من هدف أو قضية سوى الاشادة باسرائيل وتأسيس مملكة له تكون أقوى مما حولها من الممالك حتى يمكنها أن تتغلب عليها وتأخذ أرضها وتستولي على خيراتها وتجعل سكانها عبيداً لها. فالاستيطان

(١) راجع سفر الجامعة.

(٢) سفر المزامير ـ من المرموز رقم ١٤٥ .

الذي كان أكبر همّ الاسرائيليين كان في تصورهم المحور والأساس والعمود الفقري لأعمال كل نبي من أنبياء الله تعالى في بني إسرائيل.

فداود ـ ودائماً حسبما تورده التوراة ـ رجل سفاك متعطش للدماء يقتل ويدمر ويخرب ويحرق أعداءه بالنار، أهْلَك ـ على سبيل المثال ـ من الآراميين على أبواب دمشق ٢٢ ألف رجل[١]. ثم قتل منهم في وادي الملح[٢] ١٨ ألفاً[٣] ثم أهلك بعد ذلك ٧٠٠ مركبة و٤٠ ألف فارس[٤]. ولم يكن من وراء ذلك الاسراف في القتل دعوة لدين أو تبشير برسالة وإنما لمدّ حدود المملكة واتساع سلطانها فقط.

وهو عندهم رئيس عصابة أخذ من مغارة عدلام[٥] مركزاً له والتحق به كل صاحب ضيق وكل من كان عليه دَين ومرارة نفس فكان عليهم رئيساً[٦].

طارده شاؤل فأسرع داود ورجاله في الهرب وأقاموا في البريَّة بريَّة زيف[٧]. وهو عندهم رجل شهواني يحب النساء ويوقع بهن ثم يصطادهنَّ من أزواجهن إما بالقوة وإما بالحيلة.

فقد أخذ بِتْشَبَعْ من زوجها أوريا الحثي الذي كان يحارب بني

---

(١) صموئيل(٢) اصحاح ٨/ ٥.
(٢) وادي الملح: الوادي الذي هو امتداد للبحر الميت من جهة الجنوب.
(٣) راجع صموئيل(٢) اصحاح ٨/ ١٣.
(٤) المرجع السابق ٨/ ١٨.
(٥) عدلام استعملت منذ زمن بعيد مغاور برية يهوذا ملجأ للخارجين على القانون وكانت عدلام مدينة من مدن السهل. الكتاب المقدس ص٥٦٢.
(٦) صموئيل(١) ٢٢/ ١ ـ ٢
(٧) المرجع السابق ٢٣/ ١٤.

عمون في الأردن رغم بكائها ونحيبها وتوسلها وضمها إلى نسائه وبطريقة شائنة[1] ـ نجلُّ نبي الله عنها ـ ما أحببت أن أذكرها ـ ترفعاً عن ذكر الخطيئة ورائحة الخيانة التي تعبق بها ولأنها تنال من مقام النبوة وطهارتها وقدسيتها.

وأخذ ميكال إبنة شاؤل بمهر مقداره ١٠٠ رأس فلسطيني فقبل وضاعف العدد وقتل ٢٠٠[2].

وتظاهر بالضعف والمرض حتى احضروا له أجمل فتاة في إسرائيل لتدفئه[3].

وهو عندهم راقص ماهر، فحين انتصر على الفلسطينيين في (جبع) و(جازر) أقام الاسرائيليون احتفالات دينية لعبوا فيها بكل آلة من السرو بالكنَّارات والعيدان والدفوف والجنوك والصنوج وكان داود يرقص وعلى وسطه زنار ويدور على نفسه بكل قوته أمام الرب وعندما أطلت امرأته ميكال ابنة شاؤل من النافذة ورأته على هذه الحال ازدرته في قلبها وعندما عاد إلى البيت عاتبته ووبخته على عمله[4].

وكان قبلاً مغنياً في بلاط شاؤل وكان إذا اعترى شاؤل الروح من لدن الله يأخذ داود الكنارة ويعزف بيده فيستريح شاؤل وتتحسن حالته ويفارقه الروح الشرير[5].

---

(١) المرجع السابق ١١/١ ـ ٢٦.
(٢) صموئيل(١) اصحاح ١٨/ ١٧.
(٣) راجع سفر الملوك (١) اصحاح ١/١ ـ ٣.
(٤) صموئيل(٢) اصحاح ٦/ ٥ ـ ٢٢.
(٥) صموئيل(١) اصحاح ١٦/ ٢٣.

كل هذا وأكثر مما تورده التوراة دون حياء أو خجل من قصص كلها دنس ورذيلة وانحراف خلقي وتنسبها إلى نبيٍّ كريم من أنبياء الله.

فأين الرسالة السماوية التي جاء بها داود؟...

أين قداسة النبوّة وعظمتها وهيبتها ووقارها في القلوب؟...

اين الدين والتقوى والهدى. وأين الشريعة والعبادات وأوامر الله ونواهيه في الحياة والموت وما بعد الموت؟...

أين الدعوة والتبليغ والأنبياء والمرسلون وأين الاستقامة والطهر والفضيلة وتهذيب الأخلاق والاصلاح بين الناس؟ وأين عدل الله وقضاؤه ووحدانيته التي بشر بها جميع الأنبياء والرسل؟ بل أين الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمة الحق ونشر ديانة التوحيد في ذلك المجتمع الوثني المشرك؟... كل ذلك لا نجد له أثراً في التوراة.

داود في القرآن

أما داود النبي المرسل الداعي إلى الله فإنك لا تجده إلاّ في القرآن الكريم فقد مدحه الله تعالى وأثنى عليه في كثير من الآيات والسُّور المباركة وخصَّه بجميل الذكر والتعظيم وأيده بكثير من المعجزات ونصره نصراً عزيزاً وقد أوردها الله تعالى في آيات بينات في صور مختلفة منها:

١ ـ آتاه الله الزبور وهو الكتاب الذي أنزله عليه قال تعالى: **﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا﴾**[١].

---

(١) سورة الإسراء المباركة، الآية ٥٥.

٢ ـ آتاه الله تعالى: قوة الملك والحكمة وفصل الخطاب وهي ثلاث معجزات ذكرها الله تعالى في آية واحدة قال تعالى: ﴿**وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة والنبوة وفصل الخطاب**﴾[١]. ومعلوم أن الحكمة، هي النبوّة وفصل الخطاب هو الحكم العادل.

٣ ـ إن الله تعالى أمر الجبال والطير أن تسبح معه وألان له الحديد حتى أصبح بين يديه طرياً كالعجين المبلول وعلمه صنع الدروع. قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد**﴾[٢].

وقال: ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون**﴾[٣].

٤ ـ إن الله تعالى جعله خليفة في الأرض قال: تعالى:

﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾[٤].

٥ ـ إن الله تعالى فضله هو وابنه سليمان على كثير من عباده المؤمنين قال تعالى ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾[٥].

---

(١) سورة (ص) المباركة، الآية٢٠.
(٢) الآية رقم ١٠ من سورة سبأ المباركة و٧٩ من سورة الأنبياء المباركة.
(٣) الآية رقم ٨٠ من سورة الأنبياء المباركة.
(٤) سورة (ص) المباركة الآية رقم ٢٦.
(٥) سورة النحل المباركة، الآية رقم ١٥.

ثم اقرأ معي هذه الآيات الكريمة في الثناء عليه:

﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب، إنا سخرنا الجبال معه يسبِّحن بالعشي والاشراق، والطيرَ محشورةً كل له أوّاب، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب، وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزَّني في الخطاب، قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه. وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتنَّاه فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعاً وأناب، فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا لزلفى وحسن مآب...﴾[1].

- **﴿وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾**[2].

- **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[3].

هذا بعض ما ذكره القرآن الكريم في وصف نبينا داود عليه السلام والله تعالى أعلم بمن يستحق الملك فيؤتيه من يشاء ومن أراد الله به خيراً لم يكن لأحد دفعه. ومن عصمه الله لم يكن لأحد رميه بسوء.

---

(١) الآيات ١٧ ـ ٢٥ من سورة (ص) المباركة.
(٢) الآية رقم ٢٥١ من سورة البقرة المباركة.
(٣) الآية رقم ١٠٥ من سورة الأنبياء المباركة.

الملك سليمان ٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م

تسلم سليمان الملك بعهد من أبيه وفي حياته كما مر معنا وذلك سنة ٩٦٣ق.م وكانت انتفاضة أخيه أدونيا قد شارفت على لفظ أنفاسها وكان له من العمر ثلاث عشرة سنة فيكون مولده في حدود العام ٩٧٦ق.م حسب أفضل التقادير.

لم يكن سليمان عبرانياً خالصاً كما لم يكن أبوه وأجداده من قبل فقد كانت أمه بتشبع حثية هداها الله تعالى إلى دين الحق بزواجها من أبيه داود فصارت زوج نبي وأم نبي وهذا ما يفسر قول سليمان ﴿**رب أوزعني أن أشكر نعمتك علي وعلى والدي**﴾[١]. كما جاء في القرآن الكريم وهذا ما يدحض الزعم اليهودي بنقاء الدم وصفائه الذي قادهم إلى التمايز والاستعلاء الذي قامت عليه سياستهم واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار.

الوضع الداخلي

استهل سليمان حكمه بتطهير صفوفه في الداخل والتخلص من أعدائه الذين كانوا يحيكون الدسائس والمؤامرات في أيام أبيه ويؤلفون جبهة واحدة كان من بين أقطابها أخوه ادونيا وأبياتار الكاهن ويؤاب بن صَرَوَيْه قائد جيش أبيه[٢]، وشمعي بن جبرا البنياميني[٣] فقتلهم جميعاً.

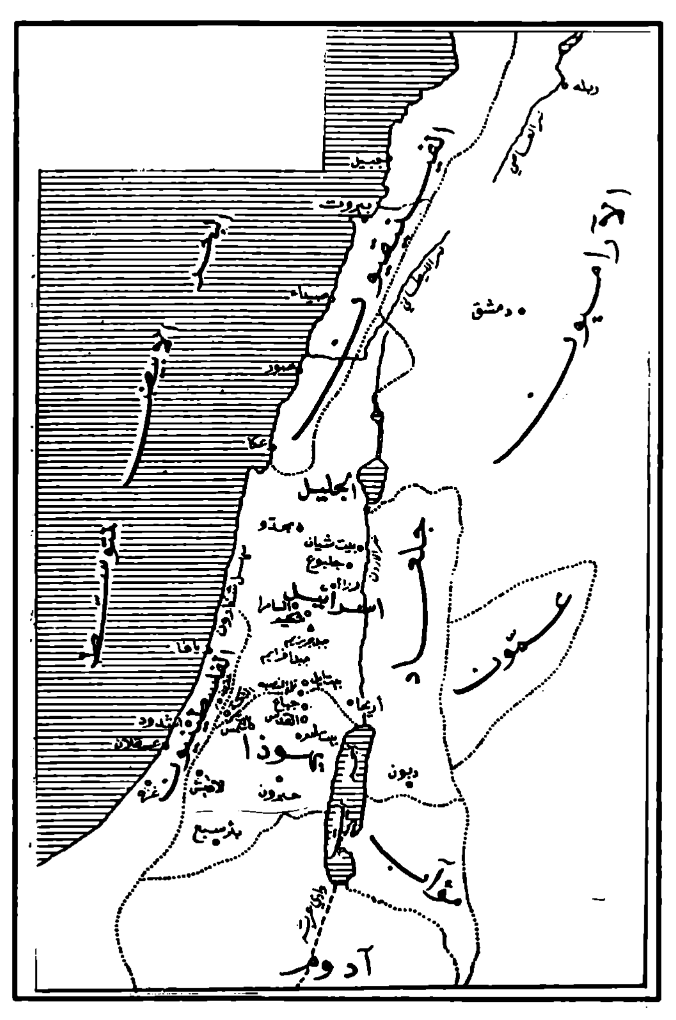
---

(١) الآية رقم ١٩ من سورة النمل المباركة.

(٢) يوآب هو ابن أخت داوود وصديقه القديم وأبياتار هو الباقي الوحيد من مذبحة نوب وهي مدينة الكهنة التي قام بها شاؤل راجع صموئيل(١) ٢٢/١٩ وقد ظل كاهناً لداوود.

(٣) شمعي بن جبر البنياميني: كان قد شتم داود وكان سليمان قد فرض عليه الإقامة الجبرية في أورشليم منذراً إياه بضرب عنقه إن خرج. فلما خرج بغير إذن أمر سليمان (بنايا بن يويا داع) بضرب عنقه فمات.

بعد ذلك راح يعمل على توطيد حكمه واستقراره فعين اثني عشر محافظاً إدارياً بعدد أسباط بني إسرائيل وكان يرجو من وراء ذلك أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم وأن يؤلف منهم شعباً واحداً ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه[1].



فلسطين في عهد الملكية الموحدة

(١) راجع قصة الحضارة ص٢/ ٣٣٤.

في السنة الرابعة من حكمه بنى بيتاً روحياً للرب عرف فيما بعد بهيكل سليمان وقد استغرق بناؤه سبع سنوات وأمده أحيرام الثاني ملك صور ـ الذي كان صديقاً لوالده ـ بالبنَّائين والمهندسين وجميع ما طلبه من أخشاب الأرز والسرو والسنديان. قطعها اللبنانيون من جبل حرمون وأنزلوها إلى البحر ثم نقلتها سفن سليمان من هناك إلى الشاطىء الفلسطيني. ولما أتم الهيكل رفع يديه إلى السماء وقال:

«ليكن الرب إلَهنا معنا كما كان مع آبائنا ولا يتركنا ولا يهجرنا وليُمِل بقلوبنا إليه لنسير في جميع طرقه ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أمر بها آباءنا، ولتكن أقوالي التي تضرَّعت بها إلى الرب قريبة من الرب إلهنا نهاراً وليلاً لتعلم جميع شعوب الأرض أن الرب هو الآله وليس غيره. فلتكن قلوبكم بكاملها للرب إلَهنا لتسيروا في فرائضه وتحفظوا وصاياه[1].

الوضع الاقتصادي في أيام سليمان

توجه الملك سليمان بمشاريعه نحو التجارة والصناعة واستخراج المعادن. وبنى بمساعدة صديقه احيرام ملك صور اسطولاً من السفن للتجارة في البحر الأحمر وكانت قاعدة هذا الاسطول مدينة (عصيون غابر) أو جابر التي سميت إيلات فيما بعد[2].

وبهذا الاسطول وبما رافقه من نشاط تجاري استطاع الملك

(١) راجع سفر الملوك(١) ٨/ ٥٧ ـ ٦١.

(٢) فيليب حتى تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص٢٠٦.

سليمان أن يبسط سلطته على الطرق التجارية في كل من سورية وفلسطين والتي كانت قائمة منذ عهد أبيه واحتفظ بحقوقه الكاملة على طريق القوافل التي كانت تمر عبر أراضي دمشق فضلاً عن تلك التي كانت تمر عبر أراضي الأدوميين[1]. وبهذا أصبحت مملكته نقطة وصل بين آسيا وأفريقيا وبلاد اليونان. كما شجع الملك سليمان تجارة الخيل واهتم بها اهتماماً واسعاً حتى قالت التوراة: «وجمع سليمان مركبات وخيلاً فكان له ١٤٠٠ مركبة و١٢٠٠٠ فارس وكان له من الخيل حوالي ٤٠ ألفاً وأفراسه العتاق ١٢٠٠٠ تجلب إليه من مصر ومن آسيا الصغرى[2].

الوضع السياسي

أدرك سليمان بثاقب بصره وهو النبي المرسل أن نشر ديانة التوحيد التي جاء بها تكون أكثر انتشاراً إذا كان هناك عهد من الاستقرار والأمن والتفاهم مع ما يحيط به من الممالك العربية وبذلك يكون مجال الدعوة إليها أكثر سهولة وأيسر عملاً. فالتفت إلى أبناء شعبه أولاً وراح يعلمهم فضل القانون والنظام والتمسك بالأخلاق والفضائل، وما زال بهم حتى اقنعهم بنبذ الشقاق والحرب والالتفات إلى الصناعة والسلم حتى اعتبر عهده بحق عهد سلام فعاد ذلك عليه بثروات كثيرة[3]. وتذكر التوراة أن سليمان قد عظم على جميع ملوك الأرض في الغنى والحكمة وكانت الأرض كلها تلتمس مواجهة سليمان لتسمع حكمته

(١) محمد بيومي مهران دراسات تاريخية في القرآن الكريم ص٣/١٦٦.
(٢) سفر الملوك(١) اصحاح ١٠/٢٦ ـ ٢٩.
(٣) راجع قصة الحضارة ص٢/٣٣٢.

التي أودعها الله في قلبه وكان كل واحد يأتيه بهداياه من آنية فضة وآنية ذهب ولباس وسلاح وأطياب وخيل وبغال حتى جعل الفضة في أورشليم مثل الحجارة وجعل الأرز في مثل الجميز الذي في السهل كثرة[1].

وهكذا وصلت مملكته في عهده ذروة فائقة من المجد والأبهة وبلغت مستوى من الترف هائلاً في المعيشة[2].

بعد أن تحقق لسليمان كل ذلك راح يعمل على تمتين أواصر الصداقة وحسن الجوار والمسايرة مع الممالك المحيطة به فوطد صداقته مع مصر وفينيقية بصورة خاصة، فتزوج ابنة فرعون مصر فعاد عليه ذلك الزواج بقلعة كنعانية هي اقليم جازر الذي كان قد احتله الفرعون وقدمه هدية لابنته بمناسبة زواجها. ثم ارتبط بعد ذلك بعلاقات المصاهرة مع العمونيين والموآبيين والأدوميين والحثيين والكنعانيين والآراميين[3]، وأهل جت وأهل صيدا وصور فأثمرت سياسته تلك أمناً ورخاء، ولم يبق أحد من الملوك المجاورين له والمحيطين به إلا هاداه وراسله وبعث إليه وجوه وأعيان دولته[4]، ومنهم بلقيس ملكة سبأ وقد تكلم القرآن الكريم عن بعض فصول قصتها معه ومراسلتها له.

(١) ملوك(١) اصحاح ١٠/ ٢٣ ـ ٢٧.
(٢) فيليب حتى المرجع السابق ص٢٠٥.
(٣) ملوك(١) اصحاح ١١/١.
(٤) انظر اوروسيوس في كتابه تاريخ العالم ص١٤٠.

بنو اسرائيل ينشقون على سليمان

لاقت تلك التدابير رضا وقبولاً واسعين عند جمع الشعوب المحيطة بمملكة سليمان إلا بنو إسرائيل فإن هذا الجنوح للسلم مع شعوب المنطقة وهذه الأعمال العمرانية التي قام بها كانت وبالاً عليهم لما دفعوه من ضرائب اعتبروها باهظة مرهقة لهم وهم الذين اعتادوا أن يعيشوا على الربا وأكل حقوق الناس.

ولم تكن تلك الضرائب في حقيقتها سوى عشور كان يجبيها عن الأراضي التي كانوا يستثمرونها ولكن بني إسرائيل فاجأتهم تلك الضرائب فتأففوا منها وتذمروا لأنهم لم يعتادوا على دفع شيء مما تطاله أيديهم فغضبوا ونقموا عليه وراحوا يعملون على الخلاص منه وتقويض حكمه من الداخل ويحيكون حوله المؤامرات والدسائس ويختلقون الأدعاءات والأكاذيب سيما بعد أن حملهم سليمان على دين التوحيد وترك عبادة الأوثان التي كانت تعشِّش في نفوسهم والتوجه نحو الله الواحد الأحد وأقام معبداً ومحراباً للرب في أورشليم وراح يطبق وصية والده التي عهد بها إليه قبل وفاته والتي تقضي بالسير قدماً في طريق الرب وحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهادته على ما هو مكتوب في شريعة موسى. ونحن نعلم ما هي شريعة موسى الحقة ووصاياه التي حملهم فيها على عبادة الله الواحد ونبذ كل ما هو وثني مشرك، وقام بحملة تطهير ديني رفضت تماماً من كل قلوب بني إسرائيل ومشاعرهم منذ دعوة موسى إليهم[1].

---

(١) د. صابرطعيمة التاريخ اليهودي العام ص٢٣٤.

ظهر غضب بني إسرائيل على سليمان واضحاً واستهلوا حملتهم عليه بحملة من التشكيك فيه وفي رسالته قادها الكهنة وأصحاب النفوذ من الرجال الذين أخذوا ينشقون عليه ويتنكرون له ويضطر هو للخروج إليهم والتصدي لهم وشن الحرب ضدهم ومع ذلك فلم يتمكن من التخلص منهم. وعلى حد ما يستفاد من التوراة فإن الدعوة الدينية التي دعا إليها سليمان لم تحافظ عليها جماعات إسرائيل ولم تؤمن بها[1].

من عجب العجب في أمر هؤلاء الإسرائيليين أنهم يتنكرون لأنبياء الله في حياتهم ويسفهون آراءهم ويكذبونهم ويحاربونهم ويقتلونهم، ويحيكون لهم الدسائس والمؤامرات، ثم نراهم بعد موتهم يسرقون إرثهم ويدعون الانتساب إليهم. واليهود لم يؤمنوا يوماً بما جاء في صُحُفِ إبراهيم وموسى ولم يعملوا بما أوصاهم به داود وسليمان ولا بمن جاء بعدهم من الأنبياء والمرسلين ونحن ندرك تماماً كيف كانت صلة هذه الجماعات بهؤلاء الأنبياء العظام ونعرف كيف تنكروا لهم: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾[2].

هذه الجماعات التي تحب دائماً أن تُحمد بما لم تفعل[3]، ولم تؤمن يوماً بما أتاها بها الرسل والأنبياء. ولم يكن يعنيها من أمرهم سوى تأسيس مملكة قومية عرقية متعصبة، ولم تعترف يوماً إلا بما يوافق أحلامها ونظرياتها وادعاءاتها العنصرية المتطرفة المرتبطة بطبعها وتاريخها والتي هي دعامة مطامعها في الانتشار والتوسع والاستيطان

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٨.
(٢) الآية ٨٨ من سورة البقرة المباركة.
(٣) اقتباس من الآية ١٨٨ من سورة آل عمران المباركة.

واحتلال الأرض والسيطرة عليها وبسط سيادة الجنس الإسرائيلي على غيره من الأجناس استناداً إلى أوهام وخرافات وأساطير من نسج خيال الإسرائيليين الأوائل في العصور البائدة.

هذه الجماعات التي تطالب اليوم بإرث داود وبيت سليمان وهيكل سليمان ومدينة سليمان وتعرض المنطقة كلها للحرب والدمار بسبب مطالبها هذه الجماعات هي التي تقول في التوراة وتحت عنوان ظلال العهد[1] ما يلي:

وأحب الملك نساءً غريبة كثيرة فأزاغت قلبه واستملنه إلى اتباع آلهة اخرى فلم يكن قلبه مخلصاً للرب كما كان قلب داود أبيه وتبع سليمان عشتاروت إلّهة الصيدونيين وملكوم قبيحة بني عمون.

وضع سليمان الشرفي عيني الرب إلّه إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأمره في ذلك أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أمره الرب به[2]. وقالت في مكان آخر:

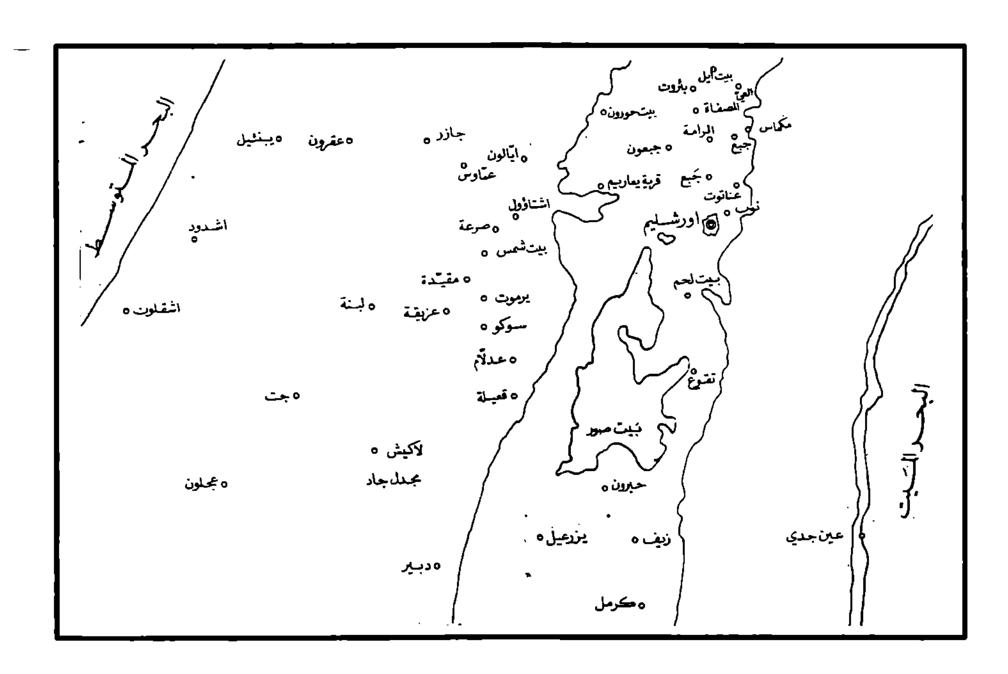
أثار الرب خصماً على سليمان هو هدد الأدومي من نسل ملوك أدوم والتجأ إلى فرعون مصر مع بعض رجاله هرباً من المذبحة التي ارتكبها يوآب وإسرائيل ثم عاد بعد موت داود ثم أثار الرب خصماً آخر على سليمان هو رزون بن الياداع الذي كان قد فر من وجه داود مع بعض رجاله والتجأ إلى دمشق وأقام فيها فصار خصماً في إسرائيل كل أيام سليمان[3].

---

(١) يعني به عهد سليمان.

(٢) سفر الملوك(١) اصحاح ١/ ١٠.

(٣) المرجع السابق اصحاح ١١/ ١٤ـ ٢٥.



القسم الجنوبي من فلسطين في العهد القديم

تمرُّد ياربعام الافرائيمي

إن ياربعام بن نباط الافرائيمي وكان في خدمة سليمان رفع يده أيضاً على الملك ثم خرج من أورشليم فصادفه أحِيّا الشيلوني النبي في الطريق وكان مرتدياً برداء جديد وكانا وحدهما في البرية فقبض أحِيّا على الرداء الجديد الذي عليه فشقَّه اثنتي عشرة قطعة وقال لياربعام:

خذ لك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إلّه إسرائيل هاأنذا انتزع الملك من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط وله يكون سبط واحد نظراً لداود عبدي ونظراً لأورشليم المدينة التي اخترتها من جميع أسباط إسرائيل لأنهم تركوني وسجدوا لعشتاروت إلّهة الصيدونيين وكاموش إلّه بني عمون ولم يسيروا في طريقي عاملين بما هو قويم في عيني

وبفرائضي وأحكامي مثل داود أبيه[١].

لعل من أغرب الأمور عند هذه الجماعات أنهم لا يتورعون عن اتهام الملك سليمان بالخروج عن الدين وصنع الشر وإفشاء الوثنية وانتشارها في عهده وينسبون إليه سجوده لآلهة زوجاته علماً بأن هذه الجماعات لم تؤمن قط كما قدمنا وأن هؤلاء اليهود لم يعترفوا أبداً بحكم نبي ولم ينقادوا له أو يطيعوه بأمر أو يحرصوا على التمسُّك بدين أو رسالة أو شريعة عبر تاريخهم.

وهكذا فإننا نرى أن آيات التوراة فيما يتعلق بسليمان وغيره من الأنبياء بعيدة كل البعد عن سلامة القداسة الدينية وأمانة التدوين المباشر فإنه بالاضافة للرجوع إلى مصادر أخرى دينية غير التوراة حول دور سليمان في تاريخ الدعوة الدينية والتقبل العقلي لكل ما جاء فيها من تأكيد لعظمة الرجل وطهارة دينه وأهمية رسالته تتحقق صورة مثالية ونقية عن كل مواقف الرجل فيما يتعلق بدينه أو علاقته بربه[٢].

لسليمان وليس لليهود

ونحن كمسلمين لا يمكن أبداً أن نقع في الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون الغربيون ونجيّر كل عظمة سليمان ومجده ومآثره وأعماله العمرانية وقداسته وحكمته لحساب بني إسرائيل. فهذا النبي العظيم لم يكن يعمل لاعلاء شأن بني إسرائيل انما لاعلاء كلمة الله ونشر ديانة التوحيد التي هي دين الإسلام الحق.

---

(١) المرجع السابع اصحاح ١١/٢٩ ـ ٣٤.

(٢) د. صابر طعيمة المرجع السابق ص٢٣٧.

ونحن كمسلمين لا نؤمن أبدا بأن انتصارات سليمان هي من صنع اليهود فهم شعب جبان متخاذل وأن تلك الانتصارات المجيدة التي حققها سليمان كانت بفضل قوة الرسالة. ورسالة الله تعالى فيها قوة ذاتية تحميها وتعليها وترد عنها السوء والأذى ـ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ـ كما كانت تلك الانتصارات تتحقق بفضل قداسة النبوة وتأييد الله سبحانه وتعالى لها.

ونحن كمسلمين نعتبر أن سليمان هو نبي مرسل وهو معصوم ومسدد من الله تعالى بالوحي والعصمة وقد أثنى الله تعالى عليه بكثير من الآيات الكريمة وأيده بكثير من المعجزات.

سليمان في القرآن

اثنى القرآن الكريم على سليمان بسبع سور من سوره المباركة ورد اسمه فيها سبع عشرة مرة وتبين لنا هذه الآيات قيمة سليمان الكبيرة ومنزلته الرفيعة عند الله على العكس تماما مما جاء في التوراة الموضوعة من انتهاك لقداسة الرسالة وقدح وتعريض بمقام النبوة واستهانة تصل إلى حد الاستخفاف بانبياء الله المكرمين.

وهذه بعض الآيات التي تظهر ثناء الله تعالى على سليمان وتفضيله له وكرامته عنده:

١ ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾[1].

(١) الآية ١٥ من سورة النمل المباركة.

٢ ـ ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾[١].

٣ ـ ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾[٢].

٤ ـ ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾[٣].

٥ ـ ﴿فتبسَّم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾[٤].

وهي خمس آيات كريمة متتابعة من سورة النمل المباركة.

٦ ـ ﴿ولسليمان الريح غدوهاشهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾[٥].

٧ ـ ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدورٍ راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور﴾[٦].

---

(١) الآية ١٦ من سورة النمل المباركة.
(٢) الآية ١٧ من سورة النمل المباركة.
(٣) الآية ١٨ من سورة النمل المباركة.
(٤) الآية ١٩ من سورة النمل المباركة.
(٥) الآية ١٢ من سورة سبأ المباركة.
(٦) الآية١٣ من سورة سبأ المباركة.

٨ ـ ﴿ففهَّمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلما﴾[1].

٩ ـ ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾[2].

بعض معجزات سليمان

لو تدبرنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا عظمة سليمان تظهر في كل آية منها مؤيدة بالمعجزات.

في الآية الأولى تظهر في سليمان معجزتان هما العلم والفضل.

وفي الثانية علمه بمنطق الطير وإيتاؤه من كل شيء عطية من الله.

وفي الثالثة يظهر تسخير الله تعالى له جنوداً من الجن والانس والطير. وفي كلمة الحشر بيان لما كان عليه عددها من الكثرة.

في الرابعة والخامسة علمه بمنطق النمل وفهمه لكلامه ومعرفة النمل له.

في السادسة تسخير الريح وإسالة القطر الذي هو النحاس الذائب حتى أصبح كالماء.

في السابعة تسخير الجن لخدمته في الأعمال التي لا يستطيع الإنسان أن يقوم بها.

في الثامنة شدة الفهم والحكم الصائب وغزارة العلم.

---

(١) الآية ٧٩ من سورة الأنبياء المباركة.

(٢) الآية ٣٥ من سورة (ص) المباركة.

وفي التاسعة إعطاء الله تعالى له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

إن هذا المُلك الذي طلبه والذي لم ينبغ لأحد من بعده لم يكن مقصوداً به اتساع رقعة الأرض التي ملكها أو كثرة الأساطيل والجيوش التي قادها أو ضخامة البنيان الذي شاده في أورشليم فهذه أمور أثبت التاريخ انها لم تتعدَّ الأمور العادية والمملكة التي ورثها سليمان كانت أكبر بكثير من المملكة التي أعطاها لمن أتى بعده[1] ذلك أن الأقوام العربية المحيطة ببني إسرائيل في دمشق ولبنان والأردن والجزيرة العربية ومصر كانت قد استعادت تماسكها وثبتت في مواقعها بعد أن عظمت قوتها.

بين سليمان وبلقيس

ليس أدل على قوة الأقوام العربية في ذلك الوقت مما أورده القرآن الكريم عندما تكلم عن قصة ملكة سبأ بلقيس حين سمعت بخبر سليمان جمعت قومها للتشاور وقالت:

﴿يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾[2] وهذا في الحقيقة في منتهى الحكم الصحيح القائم على الشورى وهذه المملكة العربية التي كانت تحكمها بلقيس كانت حسبما يفهم من كلامها أنها كانت ذات نظام ملكي دستوري يتيح لكافة الأفراد المشاركة الحقة والفعالة في إدارة دفة الحكم. وماذا أجابها قومها:

(١) فيليب حتى المرجع السابق ص٢٠٧

(٢) الآية ٣٢ من سورة النمل المباركة.

﴿قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾[1].

ولعمري لذلك هو منتهى القوة ومنتهى الثقة بالنفس والاعتداد بها والاستعداد الأكيد والجهوز الكامل للحرب والمواجهة وسعة الملك سيما وأن الهدهد قال: **﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾**[2].

غير أن حكمة الملكة رأت أن ترسّل إليه بهدية لتدرس نفسيته من خلالها فتعرف كيف تتصرف معه. فقالت: **﴿إني مرسلة إليه بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون﴾**[3].

وكانت النتيجة الطبيعية والمتوقعة هي رفض سليمان لتلك الهدية لأنها ليست الهدف الذي يسعى إليه فغرضه ليس مادياً وإنما هو روحاني سماوي يقضي بنشر الإسلام ـ دين التوحيد وإشاعته بين الناس وإعلاء كلمة الله الواحد. لذلك هدد سليمان الوفد الذي أرسلته بلقيس وتوعده بحرب لا قبل لهم ولا لغيرهم بها فلما جاء سليمان[4] قال **﴿أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ـ ارجع إليهم فلنأتينَّهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنَّهم منها أذلَّة وهم صاغرون﴾**[5].

---

(١) الآية ٣٣ من سورة النمل المباركة.
(٢) الآية ٢٣ من سورة النمل المباركة.
(٣) الآية ٣٥ من سورة النمل المباركة.
(٤) الوفد هو الذي جاء.
(٥) الآيتان الكريمتان ٣٦/ ٣٧ من سورة النمل المباركة.

الملك الذي لا ينبغي لأحد

هذا هو منتهى القوة أيضاً ولعل فيه أجوبة حول الملك الذي طلبه سليمان من ربه والذي لا ينبغي لأحد من بعده وهو تسخير الرياح والجن وانقيادها وإطاعتها له بأمر ربه فإذا أراد الريح رُخَاءً أو عاصفةً انقادت بسهولة وفق مشيئته. وكذلك تسخير الشياطين من الجن وجعلها جنوداً مجنَّدة له بين بنَّاءٍ فوق سطح الأرض وغواص تحت أعماق المياه تعمل بأمره وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم في الآيات الأخيرة من سورة (ص) المباركة. بعد طلبه من الله الملك الواسع العريض الذي لا ينبغي لأحد من بعده فقال تعالى: **﴿فسخَّرنا له الريح تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب ـ والشياطين كل بناءٍ وغواص ـ وآخرين مقرَّنين في الأصفاد ـ هذا عطاؤنا فامنُن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزُلفى وحُسن مآب﴾**[1].

وهذا منتهى الثناء عليه من الله تعالى وهكذاترى أن قوة سليمان وثقته بنفسه كانتا بفضل إيمانه بالله تعالى الذي آتاه الملك العظيم والقوة العجيبة وأيده بالمعجزات الخارقة لينصر دينه بما أمده به من الجنود المجندة من الإنس والجن والطير التي لا قبل لأحد بها والتي خصه الله تعالى بها دون غيره تعمل بإذن ربها وبإشارة من سليمان ومن لم يمتثل للأمر يذقه الله من عذاب السعير..

ونحن نعلم أن حادثة أخرى مماثلة ظهرت فيها معجزة الله سبحانه وتعالى في أصحاب الفيل عندما أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم

---

(١) الآيات: ٣٦ ـ ٤٠ من سورة (ص) المباركة.

بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وهذا عمل لا يقدر عليه إلا رب السموات والأرض وخالق كل شيء.

كذب وافتراء

بعد كل ما ظهر من عظمة سليمان وشدته وتأييد الله تعالى له هل يمكن لجماعات بني إسرائيل أن تستولي على هذا الارث النبوي العظيم وتدعي ملكيتها له وحق الاستئثار به؟ وهي التي حاربته دون هوادة ووضعت العراقيل أمامه وحاكت المؤامرات ودست الدسائس.

أفيحق لهذه الجماعات من بني إسرائيل أن تقول بأنها هي صاحبة الانتصارات العظيمة والأعمال العمرانية الحضارية التي حققها سليمان؟

إننا نعلم جيداً كيف كانت هذه الجماعات قبل سليمان. وقبل أبيه ونعلم كيف أصبحت بعدهما.

إن قوة النبوّة وقدرتها وعظمتها وقداسة ساحتها وطهارتها ودعوتها الخالصة لله الواحد الأحد هي التي انتصرت في زمن النبوة وعلى مختلف عصور الأنبياء وتفاوتها وليس هذه الجماعات التي كفرت بأنبياء الله وكذبتهم وعذبتهم وآذتهم وقتلتهم وحاربتهم وخذلتهم أحياءً وتأتي اليوم لتسرقهم أمواتاً. إن من انتصر ليس بالطبع هذه الجماعات التي تأتي اليوم لتطالب بميراث ليس لها فيه حق. وحضارة لم يكن لها في صنعها نصيب. فتاريخ هذه الجماعات في غالبيته العظمى من صنع النساء الساقطات تفوح منه رائحة الاثم والخيانة والرذيلة وهو منسوج بخيوط الدسيسة والمكيدة والخديعة التي تؤدي إلى الاسراف في القتل وسفك الدماء والاستيلاء على الأرض واستيطانها بعد تدميرها وإبادة كل

مظاهر الحياة فيها.

بعض ما ينسب إلى سليمان من حكم

- جيل يمضي وجيل يأتي

والأرض قائمة أبد الدهور

والشمس تشرق والشمس تغرب

ثم تسرع إلى مكانها ومنها تطلع

تذهب الريح إلى الجنوب وتدور إلى الشمال

تدور وتدور ذاهبة ثم إلى مدارها تعود

- جميع الأنهار تجري إلى البحر

والبحر ليس بملآن

ثم إلى المكان الذي جرت منه الأنهار

هناك تعود فتجري أيضاً.

- لا تشبع العين من النظر

ولا تمتلىء الأذن من السماع

ما كان فهو الذي سيكون

وما صُنع فهو الذي سيصنع

فليس تحت الشمس شيء جديد

بل قد كان في الدهور التي كانت قبلنا

* * *

ـ التفتُّ لأنظر في الحكمة والجنون

والحماقة وماذا يفعل الإنسان

فرأيت أن الحكمة أفضل من الحماقة

كما أن النور أفضل من الظلمة

ـ للحكيم عينان في رأسه

أما الجاهل فيسير في الظلمة

لكني علمت أن مصيراً واحداً ينتظرهما

فقلت في قلبي

إن مصير الجاهل هو مصيري أنا أيضاً

إذن فلِمَ حكمتي هذه؟ . . .

إنه ليس من ذكر للحكيم

وللجاهل كليهما إلى الأبد

إذ في الأيام الآتية كل شيء يُنسى

ويموت الحكيم كالجاهل .

* * *

ـ إن الله يؤتي الإنسان الصالح حكمة وعلماً وفرحاً

ويؤتي الخاطىء عناء الجمع والادخار حتى يُعطي كل شيء لمن هو صالح أمام الله .

الموت:

ـ لكل أمر أوان ولكل غرض تحت السماء وقت.

للولادة وقت وللموت وقت

للغرس وقت ولقلع المغروس وقت.

صنع الله كل شيء حسناً في وقته

وجعل الأبد في قلوب الناس

من غير أن يدرك الإنسان أعمال الله من البداية إلى النهاية.

وكل شيء عطية من الله.

ـ إن كل ما يعمله الله يدوم إلى الأبد.

لا يُزاد عليه ولا ينقص منه

وقد عمله الله ليخشوه

ـ ما كان قبلاً فهو الآن

وما سيكون كان قبلاً

ـ رأيت في مكان الحق شراً وفي مكان البَر شريراً

فقلت في قلبي:

ان البار والشرير يدينهما الله لأن لكل غرض وقتا.

لكن على كل عمل حساب

* * *

ـ كل شيء يذهب إلى مكان واحد.

ـ كان كل شيء من التراب وكل شيء إلى التراب يعود.

ـ لا شيء أفضل من أن يفرح الإنسان بأعماله

ـ ملء راحة راحة خيرٌ من ملء كفين تعباً.

ـ اثنان خير من واحد. إذا سقط أحدهما أنهضه صاحبه

والويل لمن هو وحده فسقط

إذ ليس هناك آخر يُنهضه.

ـ الخيط المثلث لا ينقطع سريعاً

ـ ولدٌ مسكين وحكيم خير من ملك شيخ وجاهل لا يقبل التنبيه

ـ احترز لقدميك إذا أقبلت إلى بيت الله فإن الاقتراب للاستماع خير من تقديم ذبيحة الجهال الذين يعرفون انهم يصنعون الشر.

* * *

ـ إذا نذرت نذراً لله فلا تؤجل وفاءً فإنه لا يرضى عن الجهال. فأوف ما نذرت.

ـ إنْ لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفي.

ـ اخشَ الله أن رأيت ظلم الفقير.

ـ إن فوق العالي أعلى منه يسهر.

ـ الذي يحب الفضة لا يشبع من الفضة. والذي يحب الثروة لا يجني ثمرها.

ـ إذا زادت الخيرات زاد الذين يأكلونها

ـ نوم العامل عذاب سواء أكل كثيراً أم قليلا

وشبع الغني لا يدعه ينام.

ـ شر مؤلم رأيته تحت الشمس غنىً مدخر لشقاء مالكه.

ـ إن ولد إنسان مئة ولد وعاش عمراً طويلاً وكثرت أيام سنيه ولم تشبع نفسه من الخير ولم يكن له فأقول إن السقط خير منه.

ـ إن كثرة الكلام تُكثر الباطل.

ـ الظالم يُحَمِّق الحكيم والعطية تهلك القلب.

ـ لا تعجل إلى الغضب في قلبك لأن الغضب يستقر في صدور الجهال.

ـ في يوم السراء كن مسروراً وفي يوم الضراء تأمل، إن الله صنع هذه وتلك.

ـ لا تكن باراً بإفراط ولا تكن حكيماً فوق ما ينبغي.

ـ إن الشر جهل والجنون غباوة.

ـ إن الله صنع البشر مستقيمين أما هم فبحثوا عن أسباب كثيرة.

ـ ليس لأحد سلطان على الريح فيضبطه ولا سلطان على يوم الموت. ولا ينجي الأشرار شرهم.

ـ لما كان الحكم على العمل الشرير لا ينفذ بشرعة امتلأت قلوب بني البشر رغبةً في فعل الشر.

ـ هناك باطل يجري على الأرض: أبرار يعاملون بعمل الأشرار وأشرار يعاملون بعمل الأبرار.

المصير:

ـ الكلب الحي خير من الأسد الميت.

ـ كل ما تصل إليه يدك من عمل فاعمله بقوتك فإنه لا عمل ولا حسبان ولا حكمة في مثوى الأموات الذي انت صائر إليه.

ـ التفت فرأيت تحت الشمس أن ليس الجري للخفيف ولا القتال للأبطال ولا الخبز للحكماء ولا الغنى لذوي الفطنة ولا الحظوة للعلماء لأن الآونة والطوارىء تفاجئهم كافة.

ـ إن الإنسان لا يعلم وقته فإنه كالأسماك التي تؤخذ بشبكة مهلكة وكالعصافير التي تُصطاد بفخاخ كذلك يؤخذ بنو البشر في وقت السوء حين يقع عليهم بغتة.

الحكمة والجهل:

ـ الحكمة خير من القوة وحكمة المسكين مزدراة وكلامه غير مسموع.

ـ الحكمة خير من آلات الحرب.

ـ من يحفر حفرة يسقط فيها.

ـ من ينقض جداراً تلدغه حيَّة.

ـ لا تلعن الملك ولو في فكرك ولا تلعن الغني ولو في غرفة

نومك فإن طائر السماء ينقل الصوت وذا الجناح يخبر بالكلام . .

ـ الأحمق يكثر من الكلام .

ـ الذباب الميت يخمر طيب العطار .

ـ إذا ثار عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك فإن السكينة تجنب خطايا كثيرة

ـ ويل لك أيتها الأرض إذا كان ملكك ولداً .

ـ للفضة جواب على كل شيء .

ـ كما أنك لا تدري ما هو مسلك الريح وكيف تتكون العظام في جوف الحامل كذلك لا تدري عمل الله صانع كل شيء .

العمر:

ـ اذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام السوء وتزد السنون التي فيها تقول : «ليس لي فيها لذة» .

قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والكواكب وتعود الغيوم بعد المطر .

وينحني رجال البأس

قبل أن ينقطع حبل الفضة وينكسر كوب الذهب وتتحطم الجرة عند العين وتنقصف البكرة على البئر ويعود التراب إلى الأرض حيث كان . ويعود النفس إلى الله الذي وهبه .

خاتمة الكلام:

اتق الله واحفظ وصاياه

لأن الله سيحضر كل عمل فيدين كل خفيّ خيراً كان أم شرا[1].

نشيد سليمان

ان لم يَبْن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون

إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارسون

باطلاً لكم أن تبكروا في القيام وتتأخروا في المنام

آكلين خبز المتاعب والله يرزق حبيبه وهو نائم.

ها إن البنين ميراث من الرب وثمرة البطن ثواب منه

كالسهام في يد الجبار هكذا يكون أبناء سن الشباب

طوبى للرجل الذي ملأ جعبته منهم[2].

---

(١) انظر سفر الجامعة المنسوب لسليمان.

(٢) سفر المزامير رقم ١٢٧.



عصر التمزق والانفصال
مملكتا يهوذا والسامرة

التمزق أمر لا بد منه

ما إن توفي الملك سليمانْ في حدود العام ٩٢٣ ق.م. وارتفعت بوفاته قداسة النبوّة من بين هذه الجماعات اليهودية حتى تمزقت المملكة الموحدة وانشقت على نفسها إلى مملكتين منفصلتين قبل أن يمرَّ قرن واحد على أنشائها وسرعان ما ظهرت بينهما العداوة والبغضاء واستعرت المنازعات على أشدها ثم تطورت إلى حروب طاحنة استمرت حتى تم القضاء عليهما معاً على يد الاشوريين أولاً ثم البابليين فيما بعد.

كان من الطبيعي أن يحدث ذلك الانشقاق بين هذه الجماعات المختلفة والمتباينة في المولد والمنشأ والتي شكلت ما صار يعرف بالشعب الاسرائيلي.

فهؤلاء الغزاة كما يقول ديورانت لم تتألف منهم في يوم من الأيام أمة موحدة متماسكة بل ظلوا زمناً طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطاً مستقلين استقلالاً واسعاً أو ضيقاً نظامهم وحكمهم لا يقومان على

أساس الدولة[1].

وقد لعبت الفروقات الاجتماعية والثقافية والدينية والعرقية دورها في تمزيق هذه الأسباط وتفسخها، ولم تكن مرحلة المملكة الموحدة في عهد داود وسليمان إلا مرحلة قصيرة عابرة كان لوهج النبوّة وقداسة ساحتها وهيبتها أثر فعال في كبح جماح تلك الجماعات ولجم تمردها

مملكتا الانفصال

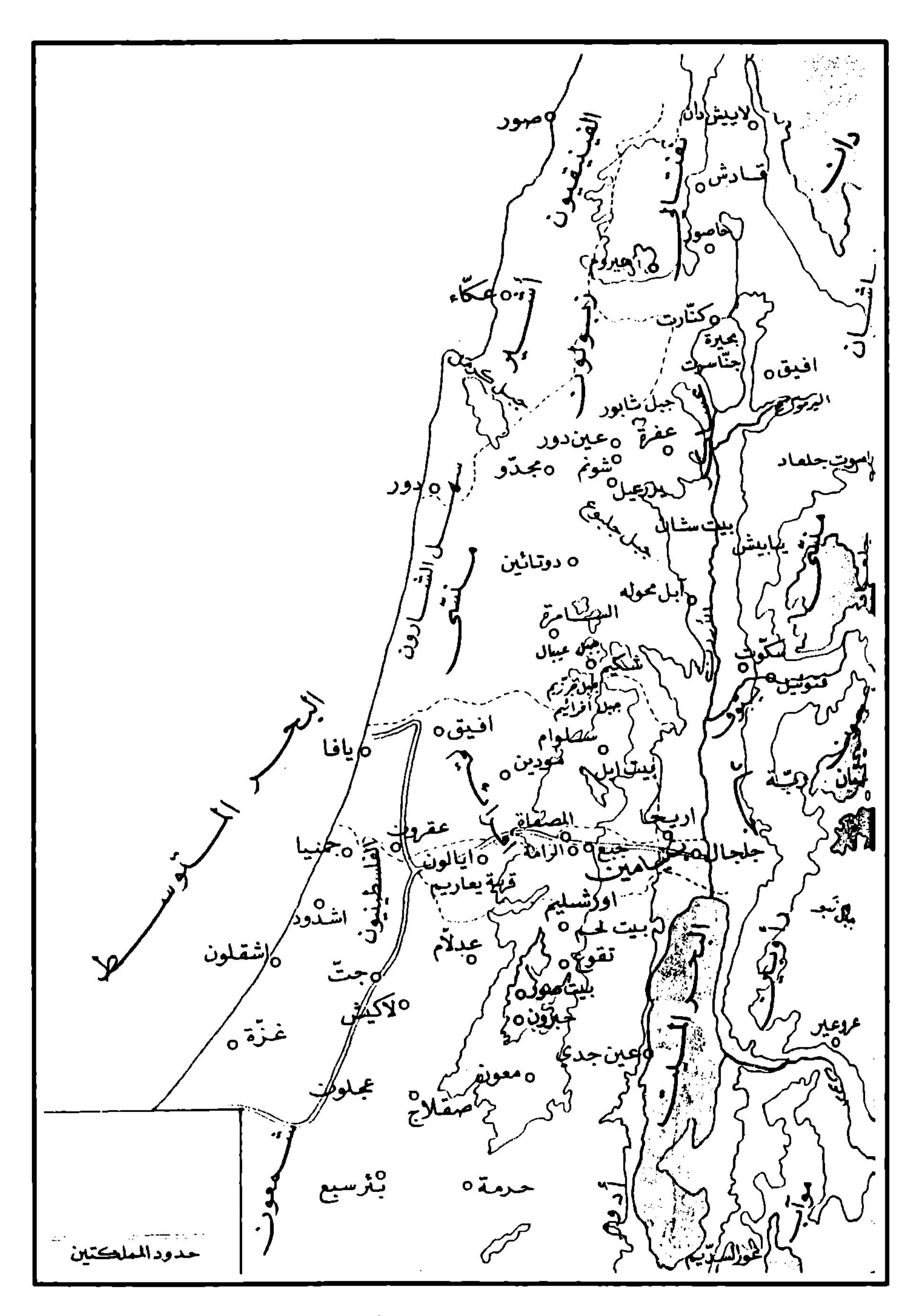
هاتان المملكتان هما:

ـ مملكة يهوذا في الجنوب وتزعمها رحبعام ابن النبي سليمان. ولم يكن رحبعام هذا يهودياً خالصاً وانما كان كأبيه وجده من أم عربيَّة عمونية اسمها (نعمة) وقد جعل أورشليم عاصمة مملكته التي تشكلت من سبطي يهوذا وبنيامين اللذين ظلا على ولائهما المطلق له وجُعِل الملك في عقبه.

ـ مملكة اسرائيل في الشمال تزعمها ياربعام بن نباط من سبط افرائيم مدعوماً من فرعون مصر شيشنق الأول رأس الأسرة الثانية والعشرين الذي كان قد لجأ إليه وأمدَّه بكل شيء. وقد جعل ياربعام عاصمة ملكه شكيم (نابلس) ثم أصبحت مدينة (ترزة) ثم (السامرة). وتشكلت هذه المملكة من الأسباط العشرة الباقية.

---

(١) راجع قصة الحضارة ص٢/٣٢٦.



مملكتا الانفصال

هذه آلهتك يا اسرئيل

كان داود وابنه سليمان من بعده قد عملا جاهدين على توحيد هذه الأسباط المتناحرة واخراجها من عالم الشرك والوثنيَّة إلىٰ عالم التوحيد والايمان. وقد رأينا فيما سبق كيف لقيا منها الأذى والتمرد وعدم الاستجابة للدعوة كما لقي من سبقهما من الأنبياء الكرام. وقد حاول رحبعام أن يسير على خطى والده في لمِّ شمل هذه الأسباط وتوحيدها لتبقى المملكة واحدة موحدة، فأرسل فور مبايعة سبطي يهوذا وبنيامين له أحد المقربين منه إلى إسرائيل ليدعو الأسباط إلى الوحدة والانضواء تحت حكم رحبعام فرجمه بنو إسرائيل بالحجارة فمات[1] فاضطر هو إلى الذهاب بنفسه لتحقيق هذه الغاية. وتوجه إلى شكيم فاجتمع بشيوخ الأسباط العشرة هناك لكنه لم يلق آذاناً صاغية لدعوته ورُفض طلبُه في الحال فاضطر إلى العودة سريعاً على مركبته ليهرب إلى أورشاليم[2].

ذلك أن هذه الأسباط كانت قد استدعت ياربعام من مصر وبايعته ملكاً على كل إسرائيل، وعند ذلك وقف ياربعام في وجه رحبعام وآثار قضية الضرائب الباهظة التي كان والده قد فرضها عليهم وساندته الأسباط في ذلك وأيدت أقواله وعندها عاد رحبعام إلى أورشليم خائباً يائساً وراح يجمع رجاله ليحارب هذه الأسباط المتمردة وحصَّن المدن وجعل فيها قواداً وخزائن طعام ومحارب ورماحا[3].

---

(١) سفر الأخبار (٢) اصحاح ١٠/١٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق اصحاح ١١/١١.

كما أن ياربعام هو الآخر أخذ يعبىء جنوده ويستعد للحرب وبدأ يتودد من بني إسرائيل فصنع لهم العجول الذهبيَّة التي كانوا يعبدونها وأقام عجلين كبيرين وقال لهم: «كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر». ثم وضع الأول في بيت إيل والآخر وضعه في دان[1] وأقام لكل واحد منهما هيكلاً وذبح للعجلين اللذين عملهما وأقام كهنة المشارف وجعل عيداً لبني إسرائيل وصعد على المذبح ليحرق البخور[2]. ولم يكن رحبعام وجميع مملكة يهوذا في الجنوب أفضل حالاً أو أكثر إيماناً. تقول التوراة:

«وأما رحبعام بن سليمان فملك يهوذا. وصنع يهوذا الشرفي عيني الرب وكانت إغارته له أشد من كل عمل آبائه بما خطئوه من خطايا وأقاموا هم أيضاً مشارف وأنصاباً وأوتاداً مقدسة على كل ربوة عالية وتحت كل شجرة خضراء»[3].

العودة المبكرة إلى الوثنية

هذه العودة السريعة لهذه الجماعات اليهودية بمختلف أسباطها إلى الوثنية وارتدادها إليها بهذا الشكل السريع والمبكر يؤكد صحة ما ذهبنا إليه سابقاً من أن هذه الجماعات لم تؤمن قط وعبر تاريخها كله بديانة التوحيد، وإن كل ما كانت تتظاهر به في عهد النبوَّة من إيمان كان نفاقاً ورياء فالإيمان الصحيح لم يلامس قلوبهم أبداً ويؤكد ذلك كاتب

(١) دان: احدى القُرى الواقعة في شمالي فلسطين.
(٢) سفر الملوك (١) اصحاح ١٢/ ٣١ ـ ٣٣.
(٣) سفر الملوك (١) اصحاح ١٤/ ١٢ ـ ٢٣.

التوراة حين يقول: «وأكثر جميع رؤساء الكهنة والشعب من المخالفة بحسب جميع قبائح الأمم ونجّسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم فأرسل إليهم الرب رسلاً بلا ملل فسخروا من رسل الله وازدروا كلامه وهزئوا من أنبيائه»[1].

اتساع شقة الخلاف

نشأت المملكتان على عداء مستحكم وخصام دائم بينهما راح يكبر ويزداد يوماً بعد يوم ويتعاظم حدةً وشراسة. وكانت إسرائيل غنية متقدمة على يهوذا وذات اقتصاد متين قائم على الفلاحة وزراعة الحبوب وخاصة القمح والأشجار المثمرة من زيتون وكرمة وفواكه نظراً لكثرة سهولها الخصبة ووفرة مياهها. أما يهوذا فكانت فقيرة الحال وذات طبيعة صحراوية جدباء واقتصاد يقوم على رعي الأغنام وتربية الماشية وكان سكانها يعانون من شظف العيش يتنقلون بمواشيهم من مكان لآخر شأن البدو في كل مكان[2]. ولم يطل الوقت حتى وقعت بين إسرائيل ويهوذا معارك طاحنة قاد فيها ياربعام حروب إسرائيل بنفسه بعد أن اجتمع إليه رجال كثيرون وتغلب على رحبعام بن سليمان الذي تصفه التوراة بأنه كان ضعيف القلب فلم يثبت أمامهم[3].

ووقعت الواقعة على يهوذا ونكل بنو إسرائيل بأبنائها شر تنكيل وقتل رحبعام بعد ذلك بقليل وملك بعده ابنه (أبيّام)[4] وشد هذا للأخذ

---

(١) سفر الأخبار (٢) اصحاح ٣٦/ ١٤ ـ ١٦.
(٢) العصور القديمة (براستد) ترجمة داوود قربان ص٢٢٥.
(٣) سفر الأخبار (٢) اصحاح ١٣/ ٧.
(٤) أبيَّام ويكتب أيضاً أبيّا.

بالثأر من أعدائه وتمكن من ياربعام وقهره وتصف التوراة المعركة فتقول.

«التفت يهوذا فإذا القتال من أمامهم ومن خلفهم فصرخوا إلى الرب ونفخ الكهنة في الأبواق وهتف رجال يهوذا فضرب الله ياربعام وكل إسرائيل أمام أبيام ويهوذا فانهزم بنو إسرائيل وأسلمهم الله إلى أيديهم فضربهم أبيام وشعبه ضربة شديدة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل منتخبون فاتضع بنو إسرائيل واعتز بنو يهوذا[1].

انقلابات واغتيالات

مرَّت إسرائيل بعد ياربعام بحالة من الفوضى والاضطراب والتفكك وكثرت فيها الانقلابات والمؤامرات والاغتيالات كان البارز منها تلك التي قام بها بَعْشَا بن أحيا على ناداب بن عمري فقتله وملك مكانه ولما ملك قتل كل بيت ياربعام ولم يترك ذا نسمة إلا أهلكه». ولما مات هذا خلفه ابنه إيلة فتآمر عليه ضابطه زمري فقتله وجلس مكانه على عرشه ثم ضرب كل بيت بعشا ولم يبق على بائل بحائط مع أقاربه وأصدقائه[2].

بعد أقل من أسبوع قام ضابط مغامر يدعى (عُمْري) فتآمر على الملك وانتزع الملك منه فما كان من الملك إلا أن دخل بيته وأحرق على نفسه بالنار ومات. وعندها انقسم الشعب الإسرائيلي شطرين ولكن عمري تمكن من السيطرة فيما بعد. غير أن عمري هذا كان أعظم شراً

(١) سفر الأخبار (٢) اصحاح ١٣/ ١٤ ـ ١٨.
(٢) سفر الملوك (١) اصحاح ١٦/ ٩ ـ ١١.

من كل من تقدمه[1] ولما مات ملك بعده ابنه آحاب وكان ذلك في حدود العام ٨٧٥ ق.م وهو الذي تزوج من (ايزوبعل) أو ايزابيل ابنة ايتوبعل الأول ملك صور فحكمت إسرائيل ونشرت عبادة البعل فيها كما حكمت ابنتها اتاليا يهوذا في أورشليم ـ بعد أن تزوجت من ملكها يهورام بن يهو شافاط مدة ٦ سنوات. وانتشرت عبادة البعل في أيامهما انتشاراً واسعاً في كل من إسرائيل ويهوذا معاً وكان آحاب بصورة خاصة مولعاً بعبادة البعل ويسجد له وأقام له مذبحاً في السامرة ووتداً مقدساً[2].

وآحاب هذا كان في عداد ملوك المنطقة الذين تغلب عليهم شلمناصر الثالث الأشوري سنة ٨٥٤ في موقعة قرقر على العاصي قرب حماه.

استمرت الحروب قاسية مريرة بين يهوذا وإسرائيل وكان أشرسها ما حدث عندما قام ياهو أحد ضباط الجيش على الملك يورام بن آحاب بن عمري بعد أن اتهم السلالة العمرية كلها بالفساد والانحلال الخلقي ومسح نفسه ملكاً على اسرائيل وراح يفتك ببيت آحاب بناء على طلب من رب إسرائيل كما تذكر التوراة:

«هكذا قال الرب آله إسرائيل فاضرب بيت آحاب سيدك وانتقم لدماء عبيدي فيبيد كل بيت أحاب»[3]. واستمر ينكل بهم حتى قضى على سلالة عمري بكاملها ولم تسلم الملكة الأم من القتل فطرحوها من النافذة وأكلت جثتها الكلاب[4]. وتوجه نحو يهوذا فضرب الملك

(١) المرجع السابق اصحاح ٢٥.
(٢) المرجع السابق اصحاح ٣٠ ـ ٣٣.
(٣) سفر الملوك(٢) اصحاح ٩/٧ ـ ٨.
(٤) المرجع السابق اصحاح ٣٦.

أحزيا بن يهورام فهرب هذا من طريقه ولكن رجاله لحقوا به وقتلوه ثم قتلوا إخوة الملك وأقاربه ذبحاً وكانوا حوالي ٤٢ رجلاً.

سقوط مملكة إسرائيل وتدميرها

ظلت هذه الجماعات تتناحر وتتقاتل فيما بينها تارة وفيما بينها وبين الأقوام العربية المحيطة بها تارة أخرى حتى جاء الطوفان البشري الكبير بقيادة شلمناصر الخامس الأشوري آتياً من نينوى فاجتاح في آخر سنة من حكمه ٧٢٢ ق.م مملكة إسرائيل واحتل عاصمتها السامرة عنوة في عهد آخر ملوكها هوشع.



تمثال الإله المجنح الأشوري

إن افضل وصف لحال هذه الجماعات اليهودية في المملكتين العبرانيتين هو ما جاء على لسان كاتب التوراة عندما قال:

«كان الرب قد أشهد على إسرائيل ويهوذا أن توبوا عن طرقكم السيئة واحفظوا وصاياي وفرائضي فلم يسمعوا وصلَّبوا رقابهم مثل رقاب آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم ونبذوا فرائضه وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم التي حولهم وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات وأقاموا وتداً مقدساً لجميع قوات السماء وعبدوا البعل وأمرُّوا بنيهم وبناتهم بالنار»[1].

ولما مات شلمناصر الخامس حركت مصر إسرائيل وفينيقيا ضد الأشوريين فجاء سرجون الثاني فحاصر صور والسامرة وشدد من ضغطه في الحصار وبقيت جيوشه محيطة بالسامرة ثلاث سنوات حتى تمكنت من فتحها وتقويض مملكة إسرائيل من أساسها فسبا من سكانها (٢٧٢٨٠) إلى آشور وهم الأسباط العشرة فأسكنهم حلاح وكوزان ووادي الخابور في الشمال الأقصى لبلاد ما بين النهرين وفي مدن ميدان[2]. وجلب من بلاد فارس أقواماً أخرى منهم الكوتيون Cuthiun إلى السامرة فأسكنهم مكان المسبيين وولى عليهم نواباً من قبله وفرض عليهم الجزية وأصبحت إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م ولاية اشورية[3]. ولم يبق في فلسطين سوى دولة يهوذا.

---

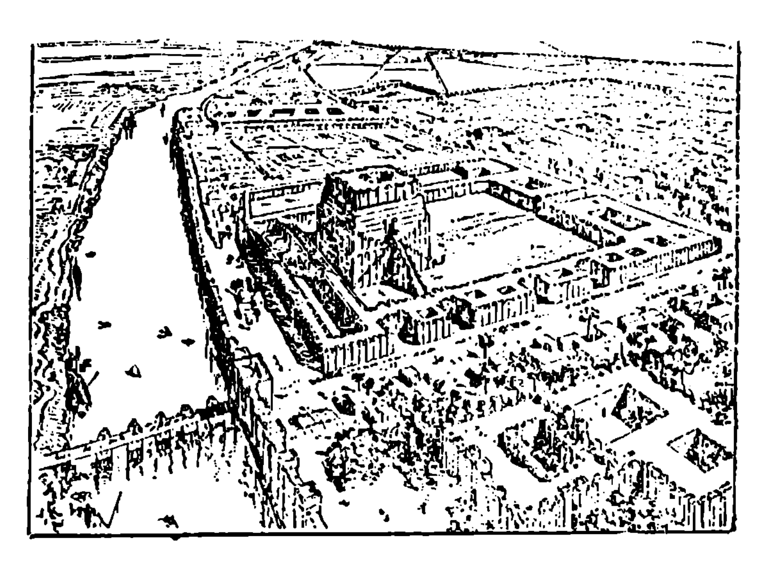
(١) سفر الملوك (٢) اصحاح ١٧/ ١٣ ـ ١٧.

(٢) المرجع السابق اصحاح ١٧/ ٥ ـ ٦.

(٣) دروز، تاريخ الجنس العربي ص١/ ١٣٤.

البابليون يتغلبون على الأشوريين

دب الوهن والضعف في الامبراطورية الأشورية وانحسر سلطانها القوي عن المناطق النائية عن العاصمة نينوى فاستغلت الشعوب الخاضعة لها مثل مصر وعيلام وباقي الدويلات الصغيرة في سوريا وفينيقية وفلسطين هذا الضعف واحداً بعد الآخر واستعادت استقلالها وكان على رأس أولئك البابليون الجدد أو الكلدانيون في الجنوب. فقد ثار الزعيم الكلداني بلادان على الأشوريين وحرَّرَ بابل ولكنه لم يعش طويلاً فخلفه نابو بولاصَّر (٦٢٥ ـ ٦٠٥ ق.م) الذي يعتبر مؤسس الدولة البابلية الثانية. فقضى على عاصمة الأشوريين نينوى عام (٦١٢ ق.م) بعد حصار لها دام ثلاثة أشهر فهدمها وأشعل فيها النيران ونهب قصورها ومعابدها واعتبر أن كل ما كان خاضعاً للأشوريين هو حق شرعي له.



إعادة لتصميم مدينة بابل في عهد نبوخذ نصر

معركة قرقميش وهزيمة الجيش المصري

حدث أن قام نخاو[1] الثاني ملك مصر مغتنماً فرصه سقوط الأمبراطورية الأشورية. فجمع جيشاً كبيراً وراح يكتسح البلاد منتقلاً من نصر إلى نصر حتى وصل إلى مدينة قرقميش على نهر الفرات، وقد انضمَّت إليه بقايا الجيش الأشوري المتحصِّنة في مدينة حران في سوريا[2] وهناك واجههم نبوخذ نصَّر بجيوشه المرابطة، ووقعت بني الفريقين معركة حامية اسفرت عن هزيمة منكرة للجيش المصري سنة ٦٠٥ ق.م.

وظل نبوخذ نصَّر يطارد فلول المصريين المنهزمين حتى مصر. وبهذا ثبَّت زعامته على جميع الممتلكات الأسيويَّة التابعة لمصرفي غربي آسيا[3]. وأصبحت الدولة الكلدانية هي الأقوى في البلاد كلها.

اجتياح أورشليم

كان نبوخذ نصر وهو يطارد المصريين بعد هزيمتهم في قرقميش قد اجتاح في طريقه بلاد الشام وفلسطين وفرض سلطانه عليها؛ ونصَّب

---

(١) نخاو الثاني (٦٠٩ ـ ٥٩٣) هو ابن بسمتيك الأول وحفيد نخاو الأول تبع خطة ابيه في السعي وراء استرجاع مجد مصر لاسترداد الممالك التي كانت لها أيام تحتمس الثالث ورعمسيس الثاني فاستمر في إدخال الاغريق في مصر وزاد في عدد الجيش وبنى أسطولاً حربياً في البحر الأبيض المتوسط وآخر في البحر الأحمر وهو الذي أرسل عدداً من الملاحين الفينيقيين للطواف حول افريقية فأتموا السياحة في ثلاث سنوات. وعمل كذلك على حفر الخليج الواصل بين البحرين الابيض المتوسط والأحمر ولكنه لم يتمكن من اتمام عمله. للزيادة راجع (تاريخ مصر إلى الفتح العثماني).

(٢) محاضرات في التاريخ القديم سليمان/ الفتيا ـ ص١٦٦.

(٣) د. فيليب حتى المرجع السابق ص١/٢١٨.

فيها حكاماً موالين له.

غير أن نخَّاو راح من مصر يحرِّض حكام تلك البلاد ويشجعها على التمرُّد والعصيان والقيام بثورة عارمة في وجه الكلدانيين، ويعلن عن دعمه ومساندته لهم.

وكـان يـوهـا قيـم ملـك يهـوذا أول المستجيبيـن لـه. فثـار علـى الكلدانيين؛ فاغتاظ نبوخذ نصَّر وجرَّد عليه حملة عسكريَّة كبيرة، فحاصر أورشليم وما لبث الملك اليهودي أن استسلم أمام عدوه الجبار وفتح أبواب المدينة مستسلماً ذليلاً. فدخلها الملك الكلداني سنة ٥٩٧ ق.م وقضى على الملك اليهودي وأعوانه وأنهى حركة العصيان فيها؛ ثم نهب قصورها وهياكلها وأشعل فيها النيران ثم غادرها بعد أن عيَّن يوهاقين ابن يوهاقيم ملكاً عليها وعاد إلى بلاده.

الملك اليهودي أسيراً بين يدي نبوخذ نصر

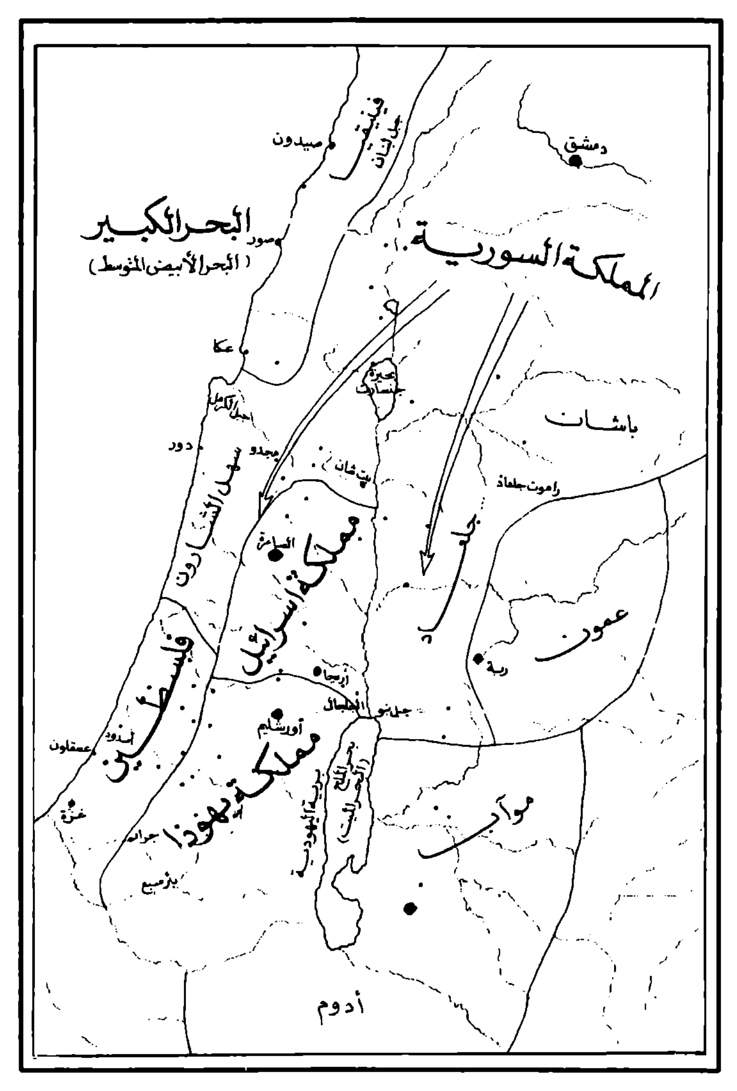
لم يطل الوقت بهذا الملك الجديد حتى استجاب كما استجاب أبوه لنداءات فرعون مصر وإغراءاته ودعوته له باعلان الثورة على الكلدانيين. فثار عليهم.

وهنا ندم نبوخذ نصر على تعيين هذا الملك مكان أبيه، فأرسل قائداً له على رأس قوَّةٍ كلدانية ضخمة لتأديبه وانهاء تمرُّده وعصيانه وإلقاء القبض عليه حيّاً. ولما وصل القائد الكلداني إلى المدينة استقبله هذا الملك مذعناً مستسلماً. وبعد التفاوض مع القائد الكلداني سلمَّه أُمَّه وبعض الشخصيَّات البارزة في عائلته ليكونوا رهائن لديه.

ولما أخبر هذا القائد ملكه بالأمر رفض رفضاً صارماً وأصرَّ على

إحضاره حيّاً وأصدر أمراً بالقبض على جميع شبان أورشليم والشخصيات النافذة كلها وسوقهم جميعاً إلى بابل. وهكذا كان.

وقبل أن يعود القائد إلى بلاده عيّن عمَّ الملك المخلوع مينا باسم صدقيا ملكاً على يهوذا وقيّده بمعاهدةٍ قاسية مدتها ثماني سنوات.



إسرائيل ويهوذا قبل تدميرهما

تدمير أورشليم ونهاية مملكة يهوذا

فيما كان نبوخذ نصَّر مشغولاً بحروبه مع الميديين نقض صدقيا المعاهدة وأعلن الثورة على الكلدان بعد أن أغراه ملك مصر كالعادة ووعده بتقديم المساعدة له. وما إن علم نبوخذ نصَّر بذلك حتى زحف على أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م وفي طريقه أحرق كل قرية من قرى يهوذا وقوَّض كل حصن وبرج فيها ولما وصل إلى أورشليم أغلقت المدينة أبوابها في وجهه فحاصرها ١٨ شهراً وهنا حاول ملك مصر أن ينجد حليفه فتلقاه نبوخذ نصر وانقض على جيشه وأجبره على الفرار على غير هدى وفي كل اتجاه.

الجدير ذكره هو أن نبوخذ نصَّر كان يحارب في وقت واحد وعلى مختلف الجبهات فقد كان يحاصر صور وأورشليم ويحارب في ميادين أخرى وينتصر على الجبهات كلها واتخذ مدينة ربلة مركزاً لعملياته الحربية.

أما صور فلما امتنعت عليه ضربها بالمنجنيق وقطع عنها المياه وظل يحاصرها مدة ١٣ سنة حتى تمكن من التغلب عليها.

وأما أورشليم فقد أصدر أمراً إلى قواده بإقامة جسر من الحجارة والتراب وسخّر الأسرى اليهود في ذلك حتى أصبح الجسر محاذياً للسور وعندها اقتحم البابليون الأسوار فهرب صدقياً وعائلته من باب سرِّي خلفي، ولكن الجنود شعروا به فتعقَّبوه حتى أدركوه عند مدينة جرش فأعيد إلى نبوخذ نصَّر فسمل عينيه بخنجره ثم أمر بتدمير أورشليم ثانية وأحرق الهيكل ـ الذي كانوا قد أعادوا بناءه ـ وقتل أبناء صدقيا وأقاربه

وأصدقاءه وقادته وأتلف كل غالٍ ونفيس بما في ذلك التوراة والتابوت الذي يحفظها ونقل الأوعية المقدسة من ذهب وفضة ونحاس إلى بابل.

وهكذا سقطت أورشليم بيد الكلدانيين البابليين كما سقطت السامرة من قبل بيد الأشوريين بفارقٍ زمني بلغ مئة وثلاثين سنةً تقريباً ونقل سكان يهوذا البالغ عددهم حوالي ربع مليون إلى بابل فسكنوا هناك وبذلك خلت فلسطين من اليهود تماماً. ذلك أن من بقي منهم فيها من الشيوخ والضعفاء فرَّ إلى مصر ولجأ إليها هرباً من القتل والإبادة[1]. وبهذا تمَّ السبي الثاني لليهود.

كان نبوخذ نصر العمود الفقري للدولة البابلية فلما مات سنة ٥٦٢ ق.م انهارت الامبراطورية كلها ولم تعش بعده طويلاً ذلك أن أباه مردوخ الذي حلَّ مكانه سرعان ما اغتاله صهره. وراحت الأمبراطورية تتفكَّك وتنحل حتى قضى عليها قورش الفارسي سنة ٥٣٩ ق.م بعد مرور أقل من قرن واحد على قيامها.

في رثاء المملكتين

بين موت سليمان سنة ٩٢٣ وتدمير إسرائيل سنة ٧٢٢ قرنان من الزمن هما كل ما استطاعت هذه المملكة أن تعيش فوق أرض فلسطين المقدسة[2]. وكانت طيلة هذين القرنين كابوساً ثقيلاً مزعجاً شديد الوطأة على العبرانيين جميعهم أولاً وعلى الأقوام العربية المحيطة بها ثانياً.

قرنان من الزمن عاشتهما المنطقة كلها في حروب مستمرة وفي

(١) لواء احمد عبد الوهاب ص٩٤.

(٢) وهي مدة أقصر من تلك التي بقي فيها الصليبيُّون في بلادنا بأكثر من خمسين سنة.

حالة عدم استقرار وعاشتهما إسرائيل في انقلابات متعاقبة متلاحقة وفوضى في الحكم لا نظير لها كثرت فيها الفتن والاغتيالات ولم يسترح الناس إلا بعد أن تم اقتلاع ذلك الكابوس وتم القضاء عليه باحراقه وذر رماده في مهب الرياح الأربع.

ولم تستطع شقيقتها يهوذا أن تعمر بعدها أكثر من مئة وثلاثين عاماً فيكون هذا الكابوس اليهودي قد عاش في سماء المنطقة ٣٣٠ عاماً ملأ الدنيا فيها حروباً ودماءً وقتلاً واغتصاباً وتشريداً واستيطاناً بغير وجه حق تماماً كما هي حال إسرائيل اليوم ولا أدري ما إذا كانت ستعيش في هذه المرة بقدر ما عاشته قبلاً. ولكن الله تعالى قضى بزوالها. والظلم حتماً إلى زوال. وأن هؤلاء اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله تعالى كما يحدثنا القرآن الكريم بذلك. ثم إن الأسباط لا تزال وهي منقسمة على نفسها وتحمل في طياتها بذور موتها وهي كالقنبلة الموقوتة لا تدري متى تنفجر.

وإذا كان هؤلاء اليهود يعيشون اليوم على الدم الأميركي الذي تمدهم الولايات المتحدة به ويستمدون اكسير الحياة منه فإن هذا الدم لن يدوم إلى الأبد (حتى إذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ـ الاسراء ١٠٤ ـ) فقد حكموا في الأولى وهم الآن في الآخرة وأملي كبير بأنهم في المرحلة الأخيرة منها وسيأتي وعد الله لا محالة.

ملوك يهوذا وإسرائيل

هذا ثبت بأسماء ملوك يهوذا وإسرائيل منذ موت سليمان وحتى تدميرهما كما ورد ذلك في التوراة وحسب التسلسل الذي أوردته:

ملوك يهوذا (٩٢٣ ـ ٥٨٦)

١ ـ رحبعام بن سليمان .

٢ ـ أبيام بن رحبعام أو أَبيّا .

٣ ـ آسيا .

٤ ـ يهو شافاط أو يوشافاط .

٥ ـ يهورام أو يورام .

٦ ـ أحِزْيا .

٧ ـ عَتَليا .

٨ ـ يوآشي أو يهوآشي .

٩ ـ أَمِصْيا .

١٠ ـ عزريا .

١١ ـ يوتام أو يهوتام .

١٢ ـ آحاز .

١٣ ـ حزقيا .

١٤ ـ مَنَسى .

١٥ ـ أمون .

١٦ ـ يوشيا .

١٧ ـ يوآحاز .

١٨ ـ يهوَياقيم .

١٩ ـ يهوياكين .

٢٠ ـ صدقيا.

ملوك اسرائيل (٩٢٣ ـ ٧٢٢)

١ ـ ياربعام الأول.

٢ ـ ناداب.

٣ ـ بَعْشا.

٤ ـ إيلة.

٥ ـ زمْري.

٦ ـ عُمْرِي.

٧ ـ آحاب.

٨ ـ أحِزْيا.

٩ ـ يورام آو يهورام.

١٠ ـ ياهو أو إلياهو.

١١ ـ يوآحاز أو يهو آحاز.

١٢ ـ يهو آش.

١٣ ـ ياربعام الثاني.

١٤ ـ زكريا.

١٥ ـ شلوم.

١٦ ـ منحيم.

١٧ ـ فقحيا.

١٨ ـ فاتح أو فاقيح.

١٩ ـ هوشع أو هوشارع.

كما تدين تُدان

اقتُلعت الجماعات اليهودية من أرض فلسطين بأسباطها الاثني عشر وسيقت أسيرة ذليلة مقهورة طائعة خاضعة إلى نينوى ثم إلى بابل ثم تفرقت وتلاشت في أنحاء العالم المعروف آنذاك وانتهت حكاية ذلك الكيان الدخيل الذي تسلل في غفلة من الزمن وانغرس في أرض فلسطين بعد أن اقتلع السكان الأصليين من أرضهم.

ذهبت غير مأسوف عليها وبقي أصحاب الأرض الحقيقيون في أرضهم في مدنهم وقراهم بعد أن زال الكابوس المرعب الذي رزحوا تحت وطأته زمناً واستراحوا منه بعد أن ملأ سماء المنطقة رعباً وتقتيلاً وقام بحروب إبادة جماعية للسكان ليغتصب الأرض ويستوطنها ويعطل دورة الحياة فيها لما كان عندها من طموحات توسعية وبما فرضته من وضع شاذ استمر مأساوياً دامياً طيلة مدة وجودهم فوق هذه الأرض.

ذهبت تلك الجماعات وتشردت في الآفاق غير مأسوف عليها فلم تبكها عين ولم يرف لفراقها جفن وشربت من نفس الكأس التي سقت منها شعوب المنطقة وراحت تندب حظها في أماكن سبيها الجديدة وتتلهف على أيام مجدها الغابر.

ملاحظات لا بد من تسجيلها

في محاولتنا إلقاء نظرة فاحصة على التاريخ المشؤوم لتلك الجماعات في فلسطين منذ أن طرأت عليها حتى اقتلاعها منها سجلنا ما يلي.

الملاحظة الأولى: هي العداء المستحكم فيما بينها فما أسرع ما ظهر الحقد الدفين وتفجر حروباً مدمرة لم تبق ولم تذر، وقد أوردنا في السياق بعضاً من جوانب تلك الحروب التي نشبت بين الدولتين وحدت في كثير من الأوقات بالمنتصر إلى أن يستأصل شأفة المنهزم ويقضي عليه ويدمره تدميراً كاملاً وقد حفلت التوراة بالكثير من حروب الابادة التي دارت بين المملكتين وهذه بعض نماذج من العناوين الكبيرة منها.

ـ كان بين رحبعام وياربعام حرب كل الأيام.[1].

ـ ضرب الله ياربعام وكل اسرائيل أمام أبيَّا ويهوذا فانهزم بنو إسرائيل من وجه يهوذا وأسلمهم الله إلى أيديهم فضربهم أبيَّا وشعبه ضربة شديدة فسقط قتلى من إسرائيل ٥٠٠ ألف رجل منتخبون[2].

ـ قتل بعشاناداب بن ياربعام وملك مكانه وقتل كل بيت ياربعام ولم يترك ذا نسمة إلا أهلكه[3].

ـ قال ياهو الملك: ها أنذا كانس بعشا وبيته. من مات لبعشا في المدينة تأكله الكلاب ومن مات له في البرية تأكله طيور السماء[4].

ـ مذبحة بيت إسرائيل الملكي ـ كان لآحاب سبعون إبناً في السامرة. أخذ رجال ياهو أبناء الملك وذبحوهم وجعلوا رؤوسهم في سلال وأرسلوها. ثم قتل ياهو جميع الباقين من بيت آحاب وجميع

---

(١) سفر الملوك (١) اصحاح ١٤/ ٣٠.
(٢) سفر الأخبار (٢) اصحاح ١٣/ ١٦ ـ ١٨.
(٣) سفر الملوك (١) اصحاح ١٥/ ٢٨.
(٤) المرجع السابق ١٦/ ٣ ـ ٤.

عظمائه ومقربيه وكهنته حتى لم يبق أحداً[1].

ـ ثم قبض على أخوة أَحِزْيَا ملك يهوذا وذبحوهم عند صهريج بيت عقد الرعاة وكانوا ٤٢ رجلاً[2].

ـ ثم توجه إلى السامرة وضرب جميع من بقي لآحاب حتى أبادهم[3].

ـ واجه يوآش ملك إسرائيل أمصيا ملك يهوذا في بيت شمس التي ليهوذا فانكسر يهوذا في وجه إسرائيل فقبض عليه يوآش ملك إسرائيل واتى به إلى أورشليم وهدم سور أورشليم من باب افرائيم إلى باب الزاوية على ٤٠٠ ذراع وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية التي وجدت في بيت الله عند عوبيد ادوم وخزائن بيت الملك ورهائن ورجع إلى السامرة[4].

ـ عندما ملك فاقح بن منحيم على إسرائيل تآمر عليه فاقح بن رمليا ضابطه وضربه في السامرة في برج بيت الملك مع ارجوب وآريه ومعه خمسون رجلاً من بني جلعاد وملك مكانه[5].

ـ تآمر هوشع بن ايلة على فاقح بن رمليا فضربه وقتله وملك مكانه[6].

(١) سفر الملوك (٢) اصحاح ١٠/ ١ ـ ١١.
(٢) المرجع السابق اصحاح ١٠/ ١٤.
(٣) سفر الملوك (٢) اصحاح ١٠/ ١٧.
(٤) سفر الأخبار (٢) اصحاح ٢٥/ ٢٠ ـ ٢٤.
(٥) سفر الملوك (٢) اصحاح ١٥/ ٢٣ ـ ٢٥.
(٦) سفر الملوك (٢) اصحاح ١٥/ ٣٠.

ـ سفك منسى ملك يهوذا دماً زكياً كثيراً جداً حتى ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب[1].

ـ تآمر وزراء أمون ملك يهوذا عليه وقتلوه في بيته ثم قتل الشعب جميع الذين تآمروا عليه[2].

هذه بعض لقطات من مشاهد الحقد الاسرائيلي المتأصل في نفوس تلك الجماعات، وهذه الروح العدوانية المستحكمة فيها والمستعرة أبداً والتي رافقتها منذ نشوئها حتى زوالها فهي لم تولد من العبث وإنما هي نتيجة حتمية لتلك الاختلافات العرقية والسلالية والفروقات الثقافية والاجتماعية والدينية فيما بينها ـ والتي أشرنا إليها سابقاً ـ جعلت الصراع على البقاء يحتدم ويشتد ويأخذ من وقت لآخر أبعاداً جديدة أكثر عنفاً وإرهاباً. فهذه الجماعات المختلفة في الأصل والمنشأ والعقيدة والتي شكلت ما عرف فيما بعد بالشعب الإسرائيلي كان من الصعب عليها أن تتجانس وتتآلف وتشكل فيما بينها دولة واحدة.

يقول السير (توماس. لـ. طومسون) وهو يهودي الأصل: «إن عداوة القدس للسامرة قديمة العهد، وإن اللاجئين من السامرة بعد زوالها عام ٧٢٢ ق.م. فضلوا الذهاب إلى الفينيقيين على الذهاب إلى أورشليم»[3].

---

(١) سفر الملوك (٢) اصحاح ٢٠/١٦.
(٢) سفر الملوك (٢) اصحاح ٢٨/٢٣.
(٣) توماس. ل ـ طومسون ـ التاريخ القديم للشعب اليهودي ص٢٨٣.

ويقول في مكان آخر: «إن التطورات الداخلية في فلسطين على مدى أربعة قرون تقريباً (أي مدة عهد الملكية) تميزت بحدة باضطراب السكان لا بتواصلهم. وان وحدة سكان المرتفعات في السامرة مع سكان الأراضي المنخفضة والمناطق الأخرى في فلسطين الكبرى والتي حاول ملوك إسرائيل السيطرة عليها لم تتم أبداً»[1].

ويقول في مكان آخر «إن أي افتراض بأن (ملكية موحدة) في مجال أصول إسرائيل يجب أنّ يعتبر بعيد الاحتمال[2].

وعلى المرء أن يتوقع اختلافات مماثلة في ثقافتهم المادية[3]. وإن التواريخ الاقليمية لأصول شعوب فلسطين الذين أصبحوا أخيراً يدعون (إسرائيل) على أساس التصور المستخلص من الجغرافيا والأركيولوجيا تفصل نفسها إلى حد كبير عن الآراء التاريخية التي قدمت على أساس الروايات التقليدية عن أصول إسرائيل. في الحقيقة الاثنان متعارضان ومتناقضان. روايات الأصول التي تشكلت ضمن مفهوم موجود أصلاً ليست متأثرة بالمسائل التاريخية لا ضمناً ولا مباشرة. والشيء الأساسي بالنسبة لفهم المسألة التاريخية المتعلقة بأصول إسرائيل هو الاقرار بأن المسألة تتعلق باصول الشعوب والمستوطنات نفسها التي أصبحت الروايات التوراتية فيما بعد تعتبرها إسرائيل[4].

الملاحظة الثانية: هي أن الأقوام العربية التي كانت تحيط

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٢.
(٢) المرجع السابق ص٢١٥.
(٣) المرجع السابق ص٢١٦.
(٤) المرجع السابق ص٢١٦.

بفلسطين المحتلة في ذلك الوقت من كنعانيين وحثيين وآراميين وعمونيين وآموريين وغيرهم بالاضافة إلى الأقوام العربية الأخرى التي ظلت في الأرض المحتلة والتي لم تغادرها لم تألف تلك الجماعات الدخيلة ولم تتعايش معها بل كرهتها واحتقرتها ولم تكفّ في يوم من الأيام عن مقاومتها ومقاتلتها لأنها دخيلة مغتصبة ولم تحاول يوماً أن تطبِّع علاقاتها معها أو تهادنها على الأقل إلا في حالات الضرورة القصوى.

إن سجل الحروب الطويلة الحافل بالمعارك الكبيرة والمقاومة شاهد على ذلك. فمنذ أيام اغتصابهم لهذه الأرض على عهد يوشع وأتباعه مروراً بعهد القضاة والملكية من شاؤل إلى داوود وسليمان وانتهاءً بعهد المملكتين المنفصلتين. وبالرغم من الارهاب والقسوة التي اعتمدها بنو إسرائيل في حروبهم مع هذه الأقوام فإنهم عجزوا تماماً عن السيطرة عليهم وظل لهم وجود وحضور فاعل لاسيما بنو عمون والموآبيون في المناطق الشرقية من البحر الميت والممالك الآرامية في سوريا والفينيقيون في لبنان الذين كانت سلطتهم تمتد على مناطق واسعة من الجليل وتصل إلى عكا غرباً وكذلك الفلسطينيون في الساحل الجنوبي من فلسطين حتى غزة وبعض مناطق بئر السبع وظلت هذه الأقوام العربية محتفظة بكياناتها وبلادها[١].

ـ فهذا ناحاش العموني الذي تقول التوراة عنه أنه عسكر على يابيش جلعاد فقال له أهلها اقطع لنا عهداً فنخدمك فقال لهم: أقطع لكم

(١) محمد عزة دروزة تاريخ الجنس العربي ص٤/١٦٨.

عهداً على أن أقلع كل عين يمنى لكم فأجعل ذلك عاراً على كل إسرائيل. ولما نقلوا هذا الكلام إلى مسامع الشعب رفع كل الشعب صوته بالبكاء[1].

ـ وهذا مِشاع ملك موآب المتحالف دائماً مع ملك عمون يتمرد على إسرائيل ويثور عليها بعد موت آحاب، وقد أقام هذا الملك نصباً تذكارياً نقش عليه قصة تمرده على إسرائيل وتحريره لمملكته من سيادتها وقد نقله السيد محمد عزة دروزة في كتاب (تاريخ الجنس العربي) عن كتاب تاريخ اللغات السامية (لإسرائيل ولنفستون) ص١٦٠ يقول فيه: «أنا ميشاع بن كموش ملك موآب الدبوني حكم والدي موآب ثلاثين عاماً وملكت بعد والدي. كان عُمري ملك إسرائيل اضطهد موآب عدة سنوات لأن (لكموش)[2] كان غاضباً على بلاده أثناءها. خلفه معاصري إبنه الذي قال أيضاً (سأظلم موآب(لكني أهلكته وبيته وإسرائيل هلاكاً ابدياً ـ وحفرت أقبية قورخاً بواسطة أسرى إسرائيل ـ ٢٢ ويقول دروزة إن ميشاع لم يكتف باسقاط سيادة إسرائيل وإنما استولى على بلاد كانت لإسرائيل في شرقي الأردن بعد أن أهلك وأسر كثيراً من أهلها الإسرائيليين[3].

ـ وهذا بِنْهَدَدْ الثاني الملك الآرامي على دمشق وخليفة بنهدد الأول يجمع كل جيشه ومعه اثنان وثلاثون ملكاً وخيل ومركبات يحارب السامرة ويحاصرها ويقول لملك إسرائيل «فضتك وذهبك هما لي

---

(١) سفر صموئيل(١) اصحاح ١/١ ـ ٤.

(٢) لكموش هو آله خاص لموآب.

(٣) محمد عزة درورة تاريخه من اسفارهم ص١٧٦ وما بعدها.

وأزواجك وبنوك الحسان هم لي».

فيجيبه ملك إسرائيل: «كما قلت يا سيدي الملك أنا وكل ما هو لي لك»[1].

ـ صعد حزائيل[2] ملك آرام فقاتل (جت) واستولى عليها ثم حول وجهه ليصعد إلى أورشليم فأخذ يوآش ملك يهوذا جميع الأقداس التي قدسها يهوشا فاط يورام وأحزيا آباؤه ملوك يهوذا وأقداسه وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إلى حزائيل ملك آرام فانصرف هذا عن أورشليم[3].

ـ وفي أيام يورام خرج الأدوميون من تحت أيدي يهوذا وأقاموا عليهم ملكاً ولا يزال الأدوميون خارجين من تحت أيدي يهوذا إلى يومنا هذا[4].

ـ آثار الرب على يورام روح الفلسطينيين والعرب فزحفوا على يهوذا واجتاحوها ونهبوا كل ما وجد من الأموال في بيت الملك وأسروا بنيه ونساءه فلم يبق له إبن إلايوآحاز[5].

ـ ويسلم الرب يوآحاز ملك أورشليم إلى يد ملك الآراميين فضربوه وأسروا منه جمعاً عظيماً وجاءوا به إلى دمشق[6].

(١) سفر الملوك (١) اصحاح ٢٠/١ ـ ٤.
(٢) حزائيل: ملك دمشق وابن بنهدد الثاني.
(٣) ملوك(٢) اصحاح ١٢/١٨ ـ ١٩.
(٤) المرجع السابق اصحاح ٢١/٨ ـ ١٠.
(٥) المرجع السابق ااصحح ٢٠/١٦ ـ ١٧.
(٦) اخبار (٢) اصحاح ٢٨/٥.

ـ وقد زحف الأدوميون وضربوا يهوذا وأخذوا أسرى وانتشر الفلسطينيون في مدن السهل والنقب واستولوا على بيت شمس وأيالون وجديروت وسوكو وتوابعها وتمنة وتوابعها وجمزو وتوابعها وسكنوا هناك[١].

أوردت هذا لأظهر بصورة لا يتطرق إليها الشك أن جميع الأقوام العربية قاومت وبلا هوادة تلك الجماعات الاسرائيلية الدخيلة التي استوطنت فلسطين طيلة مدة وجودها فيهاً ـ ويا ليتها فعلت ذلك قبلاً ـ. وأنها ظلت محتفظة بشخصيتها وكياناتها وأنظمتها وأن جميع حملات التطبيع والطغيان وتذويب الشخصية التي قامت بها المملكتان معاً على الأقليات العربية داخل المملكتين لم تجد نفعاً وإن السيطرة الإسرائيلية لم تغطِ فلسطين كلها بل اقتصرت على بعض الأقاليم القليلة منها. فالفينيقيون ظلوا في فينيقيا والآراميون في دمشق وظل بنو عمون في الأردن والموآبيون في الطرف الشرقي من البحر الميت والآدوميون في الجنوب كما ظل الفلسطينيون في القسم الغربي من فلسطين يحتلون أهم المدن الساحلية مثل غزة وجث وأشغلون (عَسْقَلان) وأشدود وغيرها. وليس هذا وحسب بل أن في كثير من الأوقات كان الفلسطينيون تارة والآراميون تارة أخرى يغيرون على أطراف المملكتين ويحررون منها أجزاء واسعة. حتى أن الجليل لم يخضع لسيطرة مملكة إسرائيل وهو واقع في شماليها. يقول السير طومسون المار ذكره سابقاً:

«لا يمكن أن يكون الجليل قد خضع لسيطرة السامرة. .

---

(١) المرجع السابق اصحاح ٢٨/١٧ ـ ١٨.

وسيطرتها عليه تبدو غير محتملة لأن الجليل عَكَسَ على الدوام تأثراً قوياً بالشمال والشمال الغربي وكان ذا طابع فينيقي واضح ولا سبب يدعونا لربط سكانه مع إسرائيل»[1].

أضف إلى ذلك أن ملوك إسرائيل ويهوذا كانوا حتى وهم في أكثر عهودهم عزة ومنعة خاضعين تارة للمصريين وتارة للأشوريين وتارات أخرى للحثيين والكلدانيين وكانوا دائماً العوبة بأيدي هؤلاء ولا تخرج سلطة الملك اليهودي عن كونها سلطة موظف لهذه الامبراطورية أو تلك.

إن كل أدعاء بإسرائيل كبرى هو ادعاء فارغ لا يستند إلى الحقيقة بشيء. وان كلَّ محاولة صهيونية لتصوير إسرائيل على أنها دولة ذات حضارة وتاريخ إنما هو تفاخر أجوف.

فإسرائيل لم تكن كبيرة في يوم من الأيام أو في حقبة من حقب التاريخ كما رأينا، وإنما هي جسم غريب ممسوخ ومشوَّه وُلد من حمل غير شرعي وفي ظروف غير طبيعية وفي غفلة من الزمن كانت شعوب المنطقة كلها فيه تعيش حالة من القلق والضياع وسط تصارع العمالقة وتحارب الامبزاطوريات المصرية والأشورية والحثية وتصاولها بين كرّ وفر، ولم يكن يتسنى لأي شعب من شعوب هذه المنطقة الضعيفة أن يقف في وجه هذا المخلوق الغريب ويحول دون نموه واستفحال خطره أو أن يرفع رأسه في مهب الرياح المتحركة علماً بأن جميع شعوب هذه المنطقة كانت خاضعة لعملية تجاذب مستمرة فساعة تتبع لمصر وساعة

---

(١) راجع توماس. ل ـ طومسون المرجع السابق ص٢٨٥.

لأشور وساعة أخرى للحثيين والكلدانيين وغيرهم.

ـ **الملاحظة الثالثة**: التي سجلناها حول هذه الجماعات الدخيلة. هي التفشي الواسع الكبير للوثنية في أوساطها سواء كان ذلك في إسرائيل أو في يهوذا. وقد قلنا غير مرة في هذا الكتاب أن اليهود لم يؤمنوا قط بديانة التوحيد حتى وهم في زمن الرسالات المقدسة التي جاء بها الأنبياء الكرام من إبراهيم إلى سليمان وكما سيكون حالهم في زمن عيسى ابن مريم إلى رسول الله محمد(ص). وقد أوردنا الأدلة الكثيرة على ما قلنا مستندين تارة إلى ما جاء في القرآن الكريم من وصف دقيق في ذمهم ولعنهم ونفاقهم وقتلهم للأنبياء وتكذيبهم لهم وتمردهم عليهم وتارة إلى دراسة السلوك العام لهم في تصرفاتهم وأخلاقهم وارتدادهم السريع إلى الكفر والالحاد والوثنية وعبادة العجول الذهبية والأفاعي النحاسية وتقديس البعل وإقامة المذابح له وحرق البخور وإقامة المشارف ونصب الأوتاد والسجود لعوارض الطبيعة.

كفر الأسباط

أسباط اسرائيل: عندما رمينا تلك الأسباط بالكفر والمروق من الدين لم نكن نظلمهم أو نتجنى عليهم ولم نقل ذلك عبثاً. وإذا كنا قد استشهدنا قبلاً بآيات بينات من القرآن الكريم فإننا نستشهد الآن بآيات من التوراة تصور لنا الواقع الديني والأخلاقي المنحط الذي كانت عليه تلك الأسباط والذي ارتفعت أصوات أنبيائهم ومصلحيهم برفضه والنهي عنه مهددة متوعدة منذرة في حال استمراره بالزوال والدمار. وهكذا كان.

تقول التوراة تحت عنوان خراب مملكة إسرائيل: «وكان ذلك لأن بني إسرائيل قد خطئوا إلى الرب آلهم الذي أصعدهم من أرض مصر وعبدوا آلهة أخرى وساروا بحسب ممارسة الأمم. . . وعمل بنو إسرائيل في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب وبنوا لهم مشارف في جميع مدنهم وأقاموا لهم أنصاباً وأوتاداً مقدسة على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء وأحرقوا البخور على جميع المشارف وعملوا أعمالاً سيئة وعبدوا الأصنام القذرة.

وكان الرب قد أشهد على إسرائيل قائلاً توبوا عن طرقكم السيئة واحفظوا وصاياي وفرائضي التي بلّغكم إياها عبيدي الأنبياء فلم يسمعوا وصلبوا رقابهم مثل رقاب آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلّههم ونبذوا فرائضه وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم التي حولهم ولم يعرضوا عنها وتركوا جميع وصايا الرب وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات وأقاموا وتداً مقدساً وسجدوا لجميع قوات السماء وعبدوا البعل وأمرُّوا بنيهم وبناتهم بالنار وتعاطوا العرافة والفراسة وباعوا أنفسهم لعمل الشر فغضب الرب غضباً شديداً على إسرائيل وأبعده من وجهه»[١].

أسباط يهوذا: «. . ويهوذا أيضاً لم يحفظ وصايا الرب وسار بحسب ممارسة إسرائيل التي صنعها فنبذ الرب جميع ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم إلى أيدي الناهبين حتى رذلهم من وجهه[٢].

---

(١) سفر الملوك اصحاح ١٧/ ٧ ـ ١٨.

(٢) المرجع السابق نفسح الاصحاح ١٩ ـ ٢٠.

وأكثر جميع رؤساء الكهنة والشعب من المخالفة ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم فأرسل إليهم الرب رسلاً بلا ملل فسخروا من رسل الله وازدروا كلامه وهزئوا من أنبيائه حتى لم يبق علاج فأصعد الرب عليهم ملك الكلدانيين فقتل فتيانهم بالسيف ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل أسلم الجميع إلى يده وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أخذها بأسرها إلى بابل وأحرقوا بيت الله ودمروا أسوار أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأتلفوا كل نفيس من آنيتها. والذين نجوا من السيف جلاهم إلى بابل حيث صاروا عبيداً له ولبنيه حتى قامت مملكة فارس»[١].

---

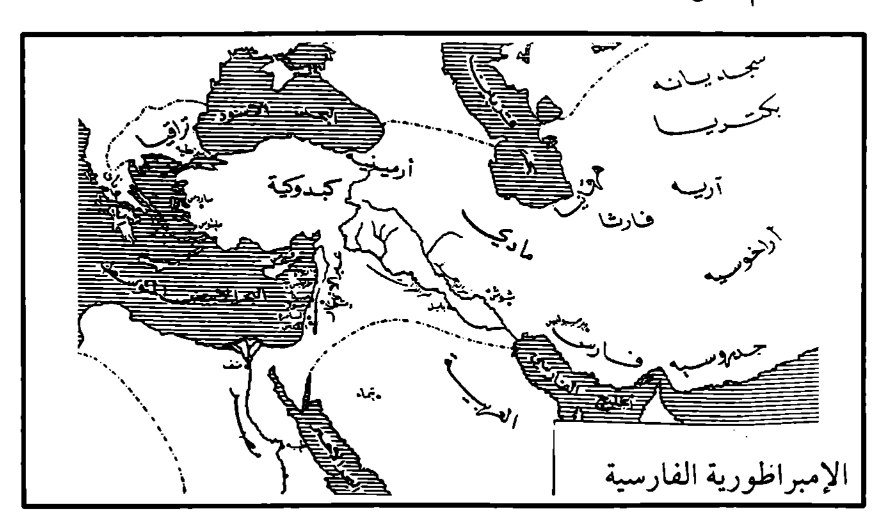
(١) سفر الأخبار(٢) اصحاح ٣٦/ ١٤ ـ ٢٠.

الفصل السادس

اليهود في العصر الفارسي

الفرس يبنون دولتهم

من الشعوب التي انتفضت على الأشوريين في أواخر عهدهم واستقلوا عنهم الماديون وهم قبائل إيرانية من أصل سامي كانت تعيش في الجبال الواقعة شرقي دجلة وقد أسسوا في حدود سنة ٦٠٠ ق.م مملكة واسعة الأطراف سرعان ما انتقلت زعامتها إلى أقاربهم الفرس حيث تولى زعامة السلطة فيها رجل قوي شديد المراس هو (قورش) وذلك سنة ٥٥٥ ق.م وراح يفتتح البلاد بسرعة مذهلة. وفي سنة ٥٣٩ ق.م تمكن من التغلب على الكلدانيين والقضاء عليهم ودخل عاصمتهم بابل واستولى عليها.



الإمبراطورية الفارسية

السماح لليهود بالعودة إلى أورشليم

في السنة الثانية من استيلاء قورش على بابل سمح للأسرى اليهود من سبطي يهوذا وبنيامين بالعودة إلى أورشليم. وقد جاء أمره ذاك على شكل نداء وجهه إلى الحكام الفرس في المقاطعات جاء فيه:

«هكذا قال قورش ملك فارس جميع ممالك الأرض قد أعطانيها الرب إلّه السماوات وأوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي بيهوذا، فمن كان منكم من شعبه أجمع فإلّهه يكون معه فليصعد إلى أورشليم التي في يهوذا ويبني بيت الرب لأنه في الحقيقة ذكر اسمي في نبوءات الأنبياء بأنني سأقوم بواجب بناء بيت له في أورشليم»[(١)].

وتذكر المصادر التوراتية أن الذين عادوا من اليهود إلى فلسطين بلغ عددهم ٤٢٣٦٠ أسيراً وأن الباقين منهم قد فضلوا البقاء حيث هم وخاصة في بابل وما حولها بعد أن أصبح لهم مصالح وأعمال تجارية وممتلكات. ويذكر أن قورش كان قد عزا سبب انتصاره على الكلدانيين إلى نبوءة لِنَبيٍّ مجهول سموه أشعيا الثاني لأنه سار على منهج أشعيا الأول في الوعِظ والارشاد والانذار ـ بقيام دولة الفرس وهدم الهيكل قبل ١٤٠ عاماً على أيدي البابليين.

وما كان لقورش ـ صاحب القلب الرحيم كما يصفه المؤرخون ـ

---

(١) سفر عزرا. اصحاح ١/٢ ـ ٣.
لا شك أن تحرير هذا النداء تم على يد الموظفين اليهود الذين استطاعوا أن يصلوا بما عندهم من مهارة ودهاء إلى الديوان الفارسي ويصبحوا من أكبر الموظفين فيه ـ المؤلف.

أن يصدر مثل ذلك البيان ـ الذي يساوي في أهميته وعد بلفور في وقتنا الحاضر ـ لو لم يحثه اليهود على قراءة النبوءة بعد أن وضعوها بين يديه، ويضيف قورش في بيانه فيقول: «ذلك هو الله الذي قال في رؤية سرية. «بإرادتي قد خصصت ذلك الرجل قورش ليكون ملكاً على العديد من الشعوب العظيمة ليعيد شعبي إلى بلده ويبني بيتي. وقورش رجل لا يقهر وأنه سيفتح بابل وينقذ اليهود من الأسر فيعودون إلى أورشليم ويشيدون هيكلاً جديداً ومدينة جديدة تكون جنة بحق «الذئب والحمل يرعيان معاً والأسد يأكل التين كالبقر أما الحية فالتراب طعامها»[1].

كما سمح قورش لليهود بأن يستردوا ما أخذه نبوخذنصر من الهيكل.

لكن العائدين هؤلاء لم يجدوا ترحيباً في وطنهم القديم ذلك أن أقواماً آخرين من الساميين قد استقروا مكانهم وتملكوا الأرض وأخذ هؤلاء ينظرون إلى أولئك بعين ملؤها الحقد والكراهية.

شعوب المنطقة يحتجون على عودة اليهود

وكما دخلت إسرائيل إلى فلسطين عام ١٩٤٨ بالقوة المسلحة للدول الأمبريالية المتسلطة دخل أولئك العائدون بالقوة المتسلطة أيضاً.

يقول وِل ديورانت «ولولا تلك الدولة القوية التي كانت تحمي

(١) راجع قصة الحضارة ص٢/ ٣٦٣.

اليهود العائدين لما استطاعوا أن يستقروا في فلسطين[١] ولم يكن المستوطنون الساميون من بابليين وعيلاميين وغيرهم وحدهم الذين رفضوا عودة المسبيِّين وحسب وإنما جرت احتجاجات رافضة ومحاولات كثيرة لمنع إدخال هؤلاء من جديد إلى هذه المنطقة وقامت محاولات كثيرة لوقف البناء قام بها حكام سوريا وفينيقيا وبقية الأقوام الأخرى وقدموا عريضة لقورش جاء فيها:

«إن اليهود يشيدون أسواراً حربية ويبنون الهيكل بحجارة ضخمة على شكل الحصون والقلاع وقالوا له: إن هؤلاء الذين وفدوا من عندكم إلى أورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون أسواراً فإذا بنوا هذه المدينة سوف لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة المعتادة فيتضرر الملك. وهذه المدينة مسيئة إلى الملوك وأن اليهود قد أثاروا فيها شغباً من قديم الدهر ولذلك خربت. فإذا ما أعيد بناؤها لا يكون للملك نصيب». وأجابهم الملك قائلاً: «إنه أمِرَ بالبحث فوُجدَ أن هذه المدينة قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنه وأمر بالكف عن البناء والتحذير من التهاون في هذا الصدد لئلا يتفاقم الفساد[٢].

وحدة الشعوب العربية تمنع اليهود من إقامة الهيكل

وهكذا استطاع سكان هذه المنطقة بوحدتهم وإجماع كلمتهم التأثير على الملك الفارسي والوقوف في وجه هذه الجماعات المتمردة من بني إسرائيل وليس هذا فحسب وإنما كانوا يقومون بهجمات كثيرة

(١) المرجع السابق ص٢/ ٣٦٥.
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

يتلفون فيها ما يكون اليهود قد بنوه وأقاموه لأن لهم معهم تاريخاً أسود حافلاً بالحروب والدماء والدموع وحافلاً بالقتل والإبادة والتشريد والبغي وسوء السيرة وفساد الأخلاق.

ظل بناء الهيكل متوقفاً بفضل ضغط الأقوام العربية في فلسطين وجوارها على ملوك الفرس ومسايرة هؤلاء لهم حتى جاء ارتحششتا الأول ٤٦٥ ـ ٤٢٤ ق.م. وعندها قام اليهود وبتحريض من أنبيائهم حجّاي وزكريا وبمشاركة زَرُبَّابَل الكاهن بمحاولة بناء الهيكل.

فتداعى سكان البلاد ومن حولها للوقوف بوجههم ومنعهم من إعادة البناء وقدموا عريضة للملك يحتجون فيها ويتمنون عليه أن يصدر أمراً بالمنع وذكروا له فساد أخلاق اليهود ومساوئهم وتمردهم على الحكام والملوك رفعها إليه رحوم الحاكم وشمشاي الكاتب وسائر زملائهما القضاة والسفراء والموظفين الفرس والأكوبيين والبابليين والعيلاميين وسائر الأمم وبقية الذين في عبر النهر[١]. وهذا نص العريضة.

«إلى ارتحششتا الملك من عبيدك القوم الذين في عبر النهر أما بعد: ليكن معلوماً لدى الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا وأتوا إلى أورشليم ويبنون المدينة المتمردة الشريرة ويرممون أسواراً بعد أن أحاطوا أساسها بسور. ليكن معلوماً لدى الملك أنه إن بنيت هذه المدينة ورممت أسوارها لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة فيلحق ضرر بدخل الملك. وحيث أننا نأكل ملح القصر لا يليق بنا أن

(١) سفر عزرا اصحاح ٤/٩ ـ ١٠.

نرى إهانة توجه إلى الملك فأرسلنا وأعلمنا الملك ليبحث في كتاب الذكريات وتعلم أن هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة إلى الملوك والأقاليم وأنهم قد أثاروا فيها فتناً في قديم الزمان ولذلك خربت هذه المدينة ونعلم الملك أنه إن أعيد بناء هذه المدينة ورممت أسوارها لا يكون لك نصيب في عبر النهر[١].

فأرسل الملك الجواب يقول: «إلى رحوم الحاكم وشمشاي الكاتب وسائر زملائهما الساكنين في السامرة وسائر الذين في عبر النهر. سلام!

أما بعد فإن الرسالة التي بعثتم بها إلينا قد قرئت أمامنا في ترجمتها وقد أمرت فبحث ووجد أن هذه المدينة من قديم الزمان قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة وقد كان على أورشليم ملوك أقوياء وتسلطوا على كل عبر النهر[٢]. فالآن أصدروا أمراً بكف هؤلاء الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر أمر مني واحذروا أن تتهاونوا في تنفيذ هذا لئلا يتفاقم الشر لأذى الملوك»[٣].

عزرا ـ (عزير) وموقف اليهود منه

إذا كان ارتحشستا الثاني قد منع اليهود من إقامة الهيكل فإن عهده قد تميز بعودة كبير كهنة اليهود الإسرائيليين المدعو (عزرا) ولعله هو نفسه الرجل الصالح الذي ذكره القرآن الكريم باسم (عزير) في قوله:

---

(١) سفر عزرا اصحاح ٤/ ١١ ـ ١٦.

(٢) تلميح مبالغ فيه يشير إلى اتساع مملكة داوود وسليمان ـ راجع الكتاب المقدس ص٨٤٤.

(٣) سفر عزرا اصحاح ١٠/ ١٧ ـ ٢٢.

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[1]. وقال فيه: ﴿أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها...﴾[2]. إلى آخر الآية الكريمة فراح يحث اليهود الإسرائيليين على عبادة الله الواحد الأحد ويدعوهم لنبذ الوثنية والإلحاد فاعتقدوا انه ابن الله (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً) فكفروا وضلوا ضلالاً بعيداً. وينتهي عزرا بنسبه إلى هارون أخي موسى كما تقول التوراة. وكان أمين سر للشؤون اليهودية في البلاط الفارسي[3].

عزرا البابلي يؤلف التوراة

عندما وصل عزرا إلى أورشليم وجد اليهود بلا توراة ولا تابوت للعهد ولا هيكل لأن البابليين كما ذكرنا كانوا قد أحرقوا كل شيء ووجد اليهود الذين كانوا قد سبقوه إليها أذلاًء صاغرين يعيشون على هامش المجتمع دون أن يكون لهم أي تأثير سياسي. يدير شؤونهم حاكم فارسي ويتولى الإشراف عليهم يساعده بعض شيوخهم وكان عزرا كبير الكهنة عند اليهود ويدعي انتسابه إلى هارون أخي موسى النبي.

استأذن عزرا الملك الفارسي ارتحششتا الأول بكتابة التوراة وبناء الهيكل. فسمح له الملك بكتابة التوراة ولم يسمح له ببناء الهيكل. فراح يستجمع من أفواه الكهنة والمتديِّنين ما كانوا يحفظونه من تعاليم العهد القديم ثم طلب إلى المغنين والمنشدين أن يضعوا له ترانيم وأناشيد

---

(١) الآية رقم ٣٠ من سورة التوبة المباركة.

(٢) الآية رقم ٢٥٩ من سورة البقرة المباركة.

(٣) راجع الكتاب المقدس ص٨٤٧.

نسبوها لسليمان وداوود. ثم ضمنوها مجموعة قوانين دينية عرفت منذ ذلك الحين بالديانة اليهودية.

وهكذا ولدت التوراة والمزامير معها ولكنها لم تكن أبداً التوراة التي أُنزلت على سيدنا موسى بأسفارها الخمسة، ولا مزامير داوود وترانيم سليمان فقد شوِّهت وحُرِّفت بعد أن اعتمد واضعوها على سماع العامَّة وظنهم ووضع فيها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا تمتّ إلى كلام الله تعالى مما أنزله على نبيِّه الكريم موسى ولا تمت إليه بصلة لا تربطها به رابطة بل هي ديانة أرضيَّة مبتدعة موضوعة لأنها من بنات أفكار تلك الجماعات التي أطلقت لخيالها العنان ـ خاصة بعد عزرا ـ وراحت تكتب كل ما من شأنه أن يستدر العطف والشفقة على هذا الشعب المسكين المظلوم والمضطهد في السبي والنفي والتشريد. وعلت فيها أصوات الصراخ والبكاء والنواح والعويل بفضل المزامير التي أدخلوها وأدخلوا معها قصصاً وأساطير وحكايا زعموا أنها مأخوذة من خطب أنبيائهم وأقوالهم وكلها تدعو إلى تكريس حقهم في فلسطين وكثير منها نسبوه إلى مؤلف مجهول.

وكان عزرا قد أنشأ كما تقول قصة الحضارة مجلس الكبار (الشيوخ) ومحكمة عليا في نفس الوقت بلغ عدد أعضائها سبعين عضواً أو يزيد وفرض القوانين والآداب وغرس فيهم فكرة وجود إلّه واحد قادر وصلاة هي: «استمعي يا إسرائيل الرب إلّهنا ـ الرب واحد[1]».

(١) راجع قصة الحضارة الجزء التاسع ص٥٢.

يوسيفوس[1] اليهودي والعهد القديم

ظلت تلك الكتابات فصولاً وأوراقاً غير منسقة وغير مجموعة إلى ما بعد التاريخ المسيحي[2] حين قام المؤرخ والكاهن اليهودي يوسيفوس فلافيوس (٣٧ ـ ٩٥ ب م) بترتيبها وتنقيحها وضم بعضها إلى بعض.

وكان المؤرخ الروماني الاسكندري في ذلك الوقت (ايبانوس)[3] قد كتب رسالة عن اليهود وصفهم فيها بأنهم قوم رعاع مرتزقة وشذاذ آفاق لا يرجعون إلى أرومة واحدة ولا إلى أصل واحد فرد عليه يوسيفوس هذا في كتاب سماه (الرد على ايبانوس) أشاد فيه باليهود ودافع عنهم بحرارة زائدة وتعصب سافر ثم ضمنه قصصاً وأساطير وروايات خيالية عن بطولات اليهود الكثيرة عبر تاريخهم منذ بدء الخليقة حتى حربهم مع الرومان. فابتعد في كل ما وضعه عن الحقيقة والتجرد والأمانة والصدق ومن المؤسف حقاً أن كتب هذا اليهودي الحاقد وعلى الأخص كتابه (تاريخ اليهود القديم) و(الحروب اليهودية)

---

(١) يوسيفوس فلافيوس: (٣٧ ـ ٩٥م) كاهن ومؤرخ يهودي. عينه اليهود سنة ٦٦م حاكماً للجليل. أسره الرومان سنة ٦٧م كتب (حرب اليهود) (تاريخ اليهود القديم) (منذ بدء الخليقة حتى حرب اليهود والرومان) ودفاع عن اليهود. كان يهودياً عنصرياً حاقداً لم يحترم الحقيقة.

(٢) جيمس هنري بريستد استاذ تاريخ الشرق ورئيس دائرة اللغات والعلوم الشرقية بجامعة شيكاغو.

(٣) ايبانوس أو إيبان مؤرخ روماني ولد في الاسكندرية ونشأ فيها عاش في القرن الثاني للميلاد عاصر الأباطرة تراجان ـ هادريان وأنطونيوس بيوس. كتب تاريخ روما في ٢٤ جزءاً لم تصل إلينا جميعها حفظ لنا قدراً كبيراً من المعلومات القيمة.

كانت مرجعاً رئيسياً للكثيرين من الكتاب المسلمين والعرب وهو المعروف بتعصبه لدينه وتحيزه ليهوديته. وهو في سبيل الدفاع عنهما ارتكب الأخطاء وشوه الحقائق وملأ العهد القديم بالادعاءات والأكاذيب التي وضعها وتصرف بها على هواه.

اسفار[1] التوراة ومجموعاتها

إن كل ما كتب عن اليهود تاريخاً وحضارةً مستند بصورة رئيسيَّة إلى ما جاء في التوراة من أحداث وأخبار سطرها اليهود بأنفسهم وكتبوها على هواهم وملأوها بالدس والتشويه وبالمغالاة والتعصب وشحنوها بالافتراءات والأباطيل ثم نسبوها إلى إلَههم (يهوه) بعد أن قسموها إلى أسفار بلغ عددها في بعض النسخ ستة وأربعين سِفراً مجموعة في أربعة كتب على الشكل التالي:

١ ـ كتب الشريعة وفيها خمسة أسفار هي: التكوين ـ الخروج ـ الأخبار ـ العدد ـ تثنية الاشتراع.

٢ ـ كتب التاريخ وفيها ١٦ سفراً هي: يشوع ـ القضاة ـ راعوت ـ صموئيل الأول صموئيل الثاني ـ الملوك الأول ـ الملوك الثاني ـ الأخبار الأول ـ الأخبار الثاني عزرا ـ نحميا ـ طوبيا ـ يهوديت ـ أستير ـ المكابيين الأول ـ المكابيِّن الثاني.

٣ ـ كتب الحكمة وفيها سبعة اسفار هي: أيوب ـ المزامير ـ الأمثال ـ الحامة ـ نشيد الأناشيد ـ سفر الحكمة ـ يشوع بن سيراخ.

---

(١) جمع سِفر: بمعنى كتاب وهو الذي يُسفر عن الحقائق ويكشفها.

٤ ـ كتب الأنبياء وفيها ١٨ سفراً هي: أشعيا ـ ارميا ـ المراثي ـ باروك ـ حزقيال ـ دانيال ـ هوشع ـ يونيل ـ عاموس ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ نحوم ـ حَبَقُّوق ـ صفنيا ـ حجَّاي ـ زكريا ـ ملاخي ـ فيكون مجموعها اثنين وأربعين سفراً مختلفة الأماكن والأزمان لا تزال موضع شك وجدل على مر العصور. بعضها ما هو تاريخي وبعضها ما هو ديني وبعضها تشريعي وأخلاقي.

يأتي على رأسها جميعها في الأهمّية (سِفر الخروج) لأن أحداثه ذات أهمية كبرى بحيث تعتبر مولد إسرائيل ونقطة انطلاق تاريخه. وهناك ثلاثة أمور يبرزها على وجه خاص وهي الانصراف من مصر على أثر سلسلة من الكوارث بدت كعلامات لتدخل الرب ـ كما يقول السفر[١] ـ وعبور البحر[٢] واللقاء بين إسرائيل والله على جبل سيناء أو على جبل حوريب[٣] وبعد ذلك دخلت القبائل الهاربة من مصر إلى فلسطين بعضها من الجنوب وبعضها من الشرق[٤]. وقد أظهروا أنفسهم فيها بأنهم شعب الله المختار وأن الله وعدهم بهذه الأرض الطيبة التي تدر لبناً وعسلاً. ومعروف أن الذين كتبوا التوراة ودونوا أحداثها هم يهود حاقدون متعصبون يأتي في مقدمتهم عزرا والحاخام (كوهين) إلى جانب بعض الأحبار والكهان الآخرين الذين حشوها بالكتابات الدينية خلال فترات متفاوتة ومتباعدة من الزمن كان من ورائها ومن وراء صراخ

---

(١) انظر سفر الخروج الاصحاح ٧ ـ ١٢.
(٢) سفر الخروج الإسحاح ١٩ ـ ٢٤.
(٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) الكتاب المقدس: ص٤٢.

أصحاب المزامير والأنبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء موقع اليهود الذي تتهدده الأخطار بين شقي الرحى من فوقهم دول أرض الجزيرة ومن تحتهم مصر[١].

أرتحششتا يأمر رعاياه بإطاعة عزرا

كان الملك الفارسي أرتحششتا قد سلم عزرا قبل مجيئه إلى أورشليم فرماناً ملكيّاً يأمر فيه رعيَّته بإطاعته جاء فيه:

«من أرتحششتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن: سلام كامل أما بعد إني أصدرت أمراً ان كل من شاء في مملكتي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع كما أصدرت أمراً لجميع الخزان الذين في عبر النهر أن مهما يطلب منكم عزرا الكاهن فليقضىَ عاجلاً. ونعلمكم أن جميع الكهنة والمغنين والبوابين وخدام بيت الله لا يؤذن أن يضرب عليهم خراج ولا جزية ولا ضريبة[٢].

الإمبراطورية الفارسية في طور التفكك والانحلال

ما إن انتهت عهود الملوك الأقوياء في الامبراطورية الفارسية بانتهاء عهد أرتحششتا الأول حتى عمت الامبراطورية كلها حالة من الفوضى والانقلابات دخلت البلاد معها في طور التفكك والانحلال. وهنا نشط اليهود الإسرائيليون وكانوا قد تغلغلوا في جميع مرافق الدولة والادارات العامة ووصلوا إلى البلاط الملكي وأصبح منهم المستشارون والموجهون. والجدير ذكره أن اليهود الإسرائيليين ومنذ زمن السبي

(١) قصة الحضارة ـ وِل ديورانت ص٢/ ٣٢٢.
(٢) سفر عزرا اصحاح ٧/ ١٢ ـ ٢١.

الأول الذي تم على يد الأشوريين سنة ٧٢٢ ق.م كان قد كثر فيهم الأنبياء والحكماء والمصلحون والوُعَّاظ أمثال إلياس وأليسع وذي الكفل وأرميا وأشعيا وحزقيل وغيرهم.

فتاة يهودية تتربع على عرش الإمبراطور الفارسي

وكان أن تأثر بهم داريوس الثاني وما أن بدأ عهده (٤٢٣ ـ ٤٠٤ ق.م) حتى لمسوا منه عطفاً عليهم واستجابة لتلبية مطالبهم ولكي يكملوا الطوق حوله استعملوا سلاح النساء كعادتهم فقدموا له أجمل فتاة عندهم لتكون زوجة له. فلما رآها هكذا واقفة أمامه بكل جمالها وفتنتها مد لها صولجانه الذهبي فأمسكت به ودخلت معه قاعة العزش.

وعندها قدمت له فرمان قورش المتضمن السماح لليهود بإعادة بناء الهيكل فأصدر داريوس هذا أمراً على الفور فبُحِث في بيت الخزائن حيث كانت المحفوظات موضوعة في بابل فوجد سفراً مكتوباً فيه مذكرة قورش السالف ذكرها وعندئذٍ أصدر أمراً باعادة البناء جاء فيه:

«إلى والي عبر النهر دعوا اليهود وشيوخ اليهود يعملون وليُبْنَ بيت الله مكانه وقد صدر أمر مني في بناء البيت وتعطى النفقة من مال الملك ومن خراج عبر النهر تعطى النفقة كاملة لهؤلاء الرجال لئلا يتوصلوا وما يحتاجون إليه من العجول والكباش والحملان ومن الحنطة والملح والخمر والزيت بحسب قول الكهنة الذين في أورشليم وكل من يخالف هذا الأمر تقلع عارضة من بيته وتنصب ويعلق عليها مصلوباً أنا داريوس قد أمرت فلينفذ تماماً[١].

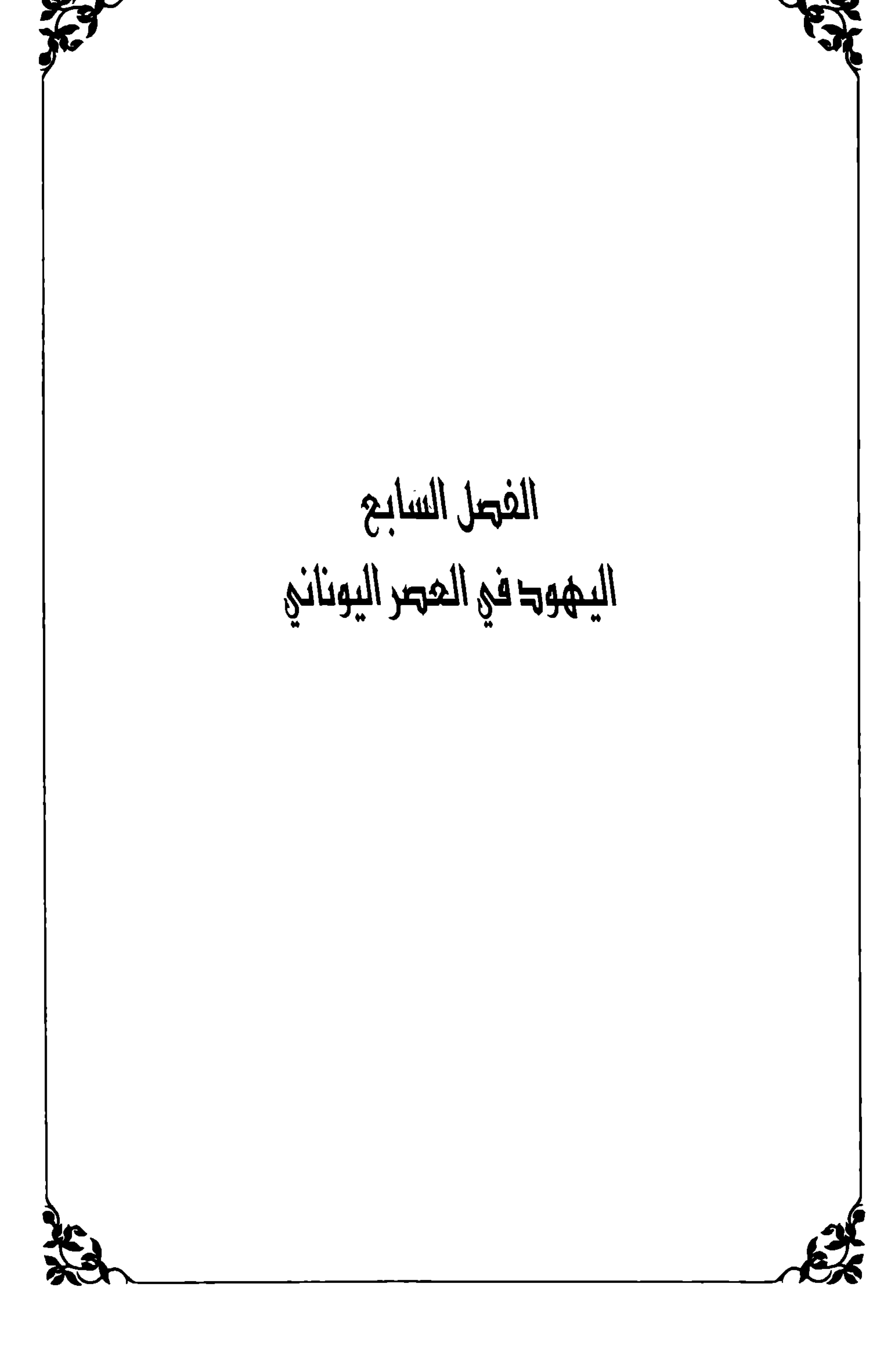
---

(١) سفر عزرا اصحاح ٦/٧ ـ ١٢.

هيكل ولا دولة

وهكذا أعيد بناء الهيكل في أورشليم دون أن يعود لليهود نظامهم السياسي فلم يستطيعوا أن يشكلوا دولة، ولم يتسنَّ لهم أن يقيموا كياناً خاصاً بهم مستقلاً عن الدولة المركزية كما كانوا من قبل وكان كبير كهنتهم يرعى شؤونهم ويدير مصالحهم بعد أن أصبح موظفاً خاضعاً للحاكم الفارسي على يهوذا والسامرة.

وظل اليهود يعيشون هكذا على هامش المجتمع أذلاء أشقياء وسط كره الأقوام العربية المحيطة بهم وعدائهم الشديد لهم. وانهارت مع مرور الزمن دولة الفرس بعد أن دب الضعف في جسمها وعجز ملوكها الضعفاء عن المحافظة عليها بعد أن أحبوا الترف وركنوا إلى الدعة والملذات وتركوا شؤون إمبراطوريتهم في أيديهم وموظفيهم. ولم تمتد المسافة بين قورش الكبير وداريوس الصغير أو داريوس الثالث (٣٥٩ ـ ٣٣٨ق.م) الذي انهارت الإمبراطورية الفارسية على يديه؛ لم تمتد تلك المسافة أكثر من قرنين من الزمن.



الفصل السابع

اليهود في العصر اليوناني

الاسكندر المقدوني والفتح الكبير

بسط الاسكندر المقدوني سلطانه على معظم أنحاء العالم المعروف آنذاك. وبعد أن وحّد بلاد اليونان واستولى على آسيا الصغرى ارتد على الفرس فهزمهم وحطم جيوشهم في معركة إيسوس في قلب خليج الإسكندورنة في ١٢ تشرين الثاني سنة ٣٣٣ ق.م. وعندها انفتح الشرق العربي أمامه فاحتل دمشق ثم احتل صيدا وتابع طريقه إلى صور فامتنعت عليه فحاصرها سبعة أشهر حتى تمكن من التغلب عليها وفتحها عنوة ثم نكل بأهلها. وفي حصار الاسكندر لها زاره سانبلاط وهو من الكوتيين وسكان السامرة كان الملك الفارسي داريوس الثالث قد عينه حاكماً على قومه السامريين في السامرة.



تمثال الاسكندر الأكبر

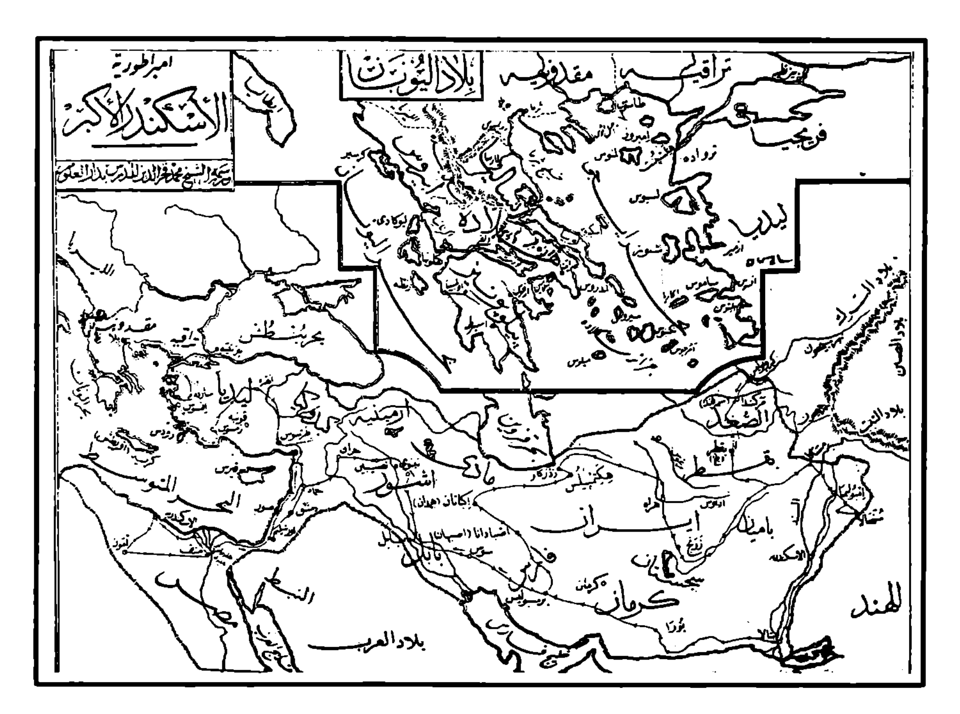
سانبلاط وعودة الخلافات بين اليهود

كان سانبلاط هذا قد زوّج ابنته إلى (مناسا) شقيق جدعيا رئيس كهنة أورشليم على أمل أن يجد تقارباً بين السامرة وأورشليم عن طريق هذا الزواج. غير أن كهنة يهوذا وأعوانهم عارضوا هذا الزواج ورفضوه لسببين. الأول لأن الكوتيين هم أعداء اليهود التقليديين. والثاني لأنه لا يجوز في عرف اليهود وتقاليدهم أن يتزوج أخو رئيس الكهنة من امرأة غير يهودية. وهكذا وقف اليهود في وّجه مناسا ومنعوه من دخول الهيكل ثم طردوه من أورشليم فلجأ إلى عمه سانبلاط والد زوجته في السامرة. عندما انتصر الاسكندر على صور انقلب سانبلاط على الملك الفارسي وتنكر له وانحاز إلى الاسكندر وذهب إليه على رأس حوالي ٧ آلاف من جنوده الكوتيين السامريين معلناً خضوعه له وعارضاً مساعدته. ثم اطلعه على قصة صهره مناسا وكيف طرده اليهود من أورشليم مع أنه أخو رئيس الكهنة. وطلب سانبلاط من الاسكندر أن يسمح له ببناء هيكل فوق جبل (جرزيم)[1] في السامرة على غرار هيكل اليهود في أورشليم، فسمح له الاسكندر بذلك. ولما عاد سانبلاط إلى السامرة شيد الهيكل فوق جبل جرزيم وعيَّن مناسا زوج ابنته كاهناً أكبر في السامرة وبهذا عاد الحقد والكره ليتفجر من جديد بين هذه الجماعات والجماعات المحيطة بها وعادت مع ذلك سياسة المحاور المتخاصمة والمتحاربة بين الطرفين.

بينما كان الاسكندر في طريقه بعد فتح صور إلى غزة عرَّج على السامرة استقبله الحاكم الفارسي سانبلاط فثبّته في حكمه عليها ولكنه

(١) جبل جرزيم أحد الجبال المطلة على (نابلس).

أقام إلى جانبه حاكماً عسكرياً مقدونياً من قبله يدعى (اندروماخوس) Andromachos . ثم انحدر إلى غزة غير مبال بأورشليم الساقطة بطبيعة الحال. ويرى العلماء الباحثون أن ما جاء في تاريخ يوسيفوس اليهودي من أن الاسكندر ذهب إلى أورشليم وسجد لجدعيا رئيس كهنة اليهود فيها هو حديث خرافة[1].



موت الاسكندر وتقسيم الامبراطورية اليونانية

كان الاسكندر قد بسط سلطانه على العالم في أقل من ١٢ سنة وخضعت له أقسام واسعة من أوروبا وآسيا وأفريقية فلما مات ذو القرنين سنة ٣٢٣ ق.م انقسمت إمبراطوريته الواسعة إلى أربعة قرون هم قواده

(١) دكتور اسد رستم: تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني الى الفتح الروماني ص٣٠.

الكبار فكانت كما يلي:

بطلميوس في مصر ـ انتيغونس في آسيا الصغرى ـ سلوقس في مملكة فارس في بابل وانتيباتر في بلاد اليونان. وراح كل واحد من هؤلاء القواد الأربعة يحاول توسيع مملكته على حساب الآخرين فجرت من أجل ذلك بينهم حروب كبيرة.

في سنة ٣٢٠ ق.م غزا بطلميوس الأول فينيقية وقسماً من سورية واستولى على فلسطين ونقل كثيراً من اليهود إلى مصر وبقيت فلسطين طيلة حكم البطالمة لها والذي امتد حوالي قرن من الزمن[١] ظل اليهود خلالها تابعين لحكام مصر. ولما توفي بطلميوس الأول سنة ٢٨٣ ق.م خلفه ابنه بطلميوس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م) وكان محباً للعلوم والمعارف والآداب فأمر بترجمة التوراة كما وضعها عزرا. من العبرانية إلى الإغريقية[٢]، كما حضّ مانيتون على تأليف كتابه الشهير (تاريخ مصر القديم)[٣].

البورجوازية اليهودية والحياة الهللينية

خلال تبعية فلسطين لحكم البطالمة في مصر استطاعت البورجوازية اليهودية والطبقة الموسرة فيها أن تنغمس إلى ما فوق أذنيها بنظام الحياة الهللينية ومدنيتها الجديدة وتبنّت عاداتها ولغتها وتخلت بشكل شبه كامل عن الدين والشريعة والعبادات كما تخلت عن لباسها

(١) الدكتور فيليب حتى المرجع السابق ص٢٦٠.
(٢) عن هذه الترجمة اخذ العرب.
(٣) تاريخ مصر إلى الفتح العثماني المرجع السابق ص١١٠.

وأسمائها. وظهر تأثير الحياة اليونانية بنوع خاص في الأمور التجارية الكبرى والصغرى معاً وامتلأت جيوب أبناء هذه الطبقة المترفة من اليهود وبيوتها بالذهب والثروات الطائلة بينما بقيت غالبية الجماعات الأخرى من عامة الشعب متمسكة بالتعاليم اليهودية التي أوجدها لهم عـزرا والأنبيـاء الآخـرون وراحـوا يجهـرون بعـدائهـم لتلـك الطبقـة الارستقراطية التي أثرت على حسابهم وتخلت فوق ذلك عن التقاليد والمعتقدات.

اليهود بين البطالمة والسلوقيين

في عهد انطيوخس الرابع (١٧٥ ـ ١٦٤ ق.م) وقع تنافس شديد في أورشليم بين اليهود المؤيدين للبطالمة في مصر من جهة واليهود المؤيدين للسلوقيين في انطاكية من جهة ثانية. على رئاسة الكهانة في أورشليم. وكان التنافس على أشده بين الأخوين: (أونيا) الكاهن الأعظم المتمسك بالتعاليم اليهودية وتقاليدها و(ياسون) المدعوم من الجماعات البروجوازية المترفة. وحدث أن ياسون توجه إلى انطيوخس الرابع ووعده إن هو استجاب لطلبه، بإعطائه (٣٦٠) قنطاراً من الفضة و(٨٠) قنطاراً من دخل آخر وضمن له (١٥٠) قنطاراً غيرها ووعده أيضاً بحمـل جميـع سكـان أورشليـم علـى تـأييـد انطـاكيـة والخضـوع لهـا. فاستجاب انطيوخس لطلبه وقلده رئاسة الكهنوت[1] وبرَّ ياسون بوعده فعمل على نشر الحياة الهللينية في أورشليم وبنى مدرسة للترويض وكلية للعلوم اليونانية. ولكن اليهود لم يعجبهم ذلك فثاروا عليه وأعلنوا العصيان فتدخل انطيوخس شخصياً لقمع التمرد فبطش بهم بقسوة وذبح

---

(١) الدكتور اسد رستم المرجع السابق ص١٠٧.

عدة آلاف ودنس الهيكل وصادر كل محتوياته وأمر أن يثقف اليهود بالثقافة الهللينية وأن يجعل الهيكل ضريحاً (لزيوس)[1] وأن يقام مذبح يوناني فوق المذبح القديم وأن يستبدل بالقرابين القديمة قرابين من الخنازير ثم ألغى تقديس السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية وجعل الختان جريمة يعاقب عليها بالإعدام. وأمر بإحراق كتاب الشريعة أنّى وُجد. ثم عاد بعد ذلك فأشعل النار في أورشليم وبيع سكانها في أسواق الرقيق وجيء بالأجانب ليقيموا مكانهم وشيد حصناً جديداً على جبل صهيون ووضعت فيه حامية من الجند لتحكم المدينة باسم الملك[2].

الثورة المكابية

وسرعان ما انفجرت بسبب تلك الضغوطات ثورة عارمة سنة ١٦٨ ق.م قادها الكاهن (مَتَنْيا) وأبناؤه الخمسة فمزقوا ثيابهم وتحزموا بالمسوح وناحوا مناحةً شديدة[3]. وما لبثوا أن التفَّت حولهم جماعات من اليهود الأصوليين المتمسكين بالشريعة والمعارضين للحضارة الهللينية اليونانية وأنصارهم. ولما توفي مَتَنْيا قام مكانه إبنه الثالث (يهوذا) والمسمى (المكابي). فنظم إخوته والجماعات المناصرة لهم في حرب عصابات كبيرة ضد القوات الملكية واستطاعوا أن يحرزوا بعض الانتصارات كان أبرزها انتصارهم سنة ١٦٥ ق.م على الجيش الذي أرسله انطيوخس لتأديبهم.

في ذلك الوقت كانت روما قد أخذت تتطلع نحو الشرق لبسط

(١) زيوس هو كبير الآلهة عند الاغريق وهو جوبيتر عند الرومان والمشتري عند العرب.
(٢) راجع قصة الحضارة لويل ديورانت الجزء التاسع ص٥٢.
(٣) راجع سفر المكابيين اصحاح ٢/ ١٤.

سلطانها عليه وراحت تتدخل في السياسة فيه بشكل ملفت. فعملت على أن يتولى الحكم في انطاكية ملك ضعيف تابع لها يمكنها بواسطته أن تفرض نفوذها على المنطقة ولذلك راحت تشعل نار الخلافات الداخلية وتؤججها، كما راحت تساعد اليهود وتحرضهم على الوقوف في وجه السلطة.

وتعاقب إخوة يهوذا على قيادة الجماعات اليهودية الإسرائيلية واحداً بعد الآخر. وفي سنة ١٤١ ق.م أصبح أخوه سمعان كاهناً أكبر فأقرَّهُ ديميتريوس الثاني (١٤٥ ـ ١٣٩ ق.م) حاكماً على أورشليم ومنحها نوعاً من الاستقلال. وهكذا نشأ أول كيان لليهود تحت الحكم المكابي متمتع باستقلال ذاتي في أورشليم بعد عودتهم إليها.

النبطيون العرب يهزمون المكابيين اليهود

وقد حاول المكابيون مراراً توسيع رقعة حكمهم على حساب المحيطين بهم فهاجموا غزة سنة ٩٦ ق.م فصدهم الفلسطينيون بقوة وساعدهم الأنباط على ذلك وكان المكابيون قد فاجأهم تعاظم قوة الأنباط العرب ونمو مقدراتهم فهابوهم واعترفوا بتفوقهم العسكري ثم هادنوهم. وظلوا هكذا حتى تكشف للأنباط أن للمكابيين مطامع توسعية كبيرة فهم يريدون أرض الأنباط نفسها وأن تقربهم منهم لم يكن إلا خديعة قاموا بها ريثما تحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليهم. لهذا هب الحارث الثاني ملك الانباط الملقب ابروتيموس (١١٠ ـ ٩٦ ق.م) لمساعدة غزة واشتبك مع المكابيين في معارك ضارية استمرت إلى زمن خلفه عبادة الأول (٩٠ ـ حوالي ٨٧ ق.م) الذي

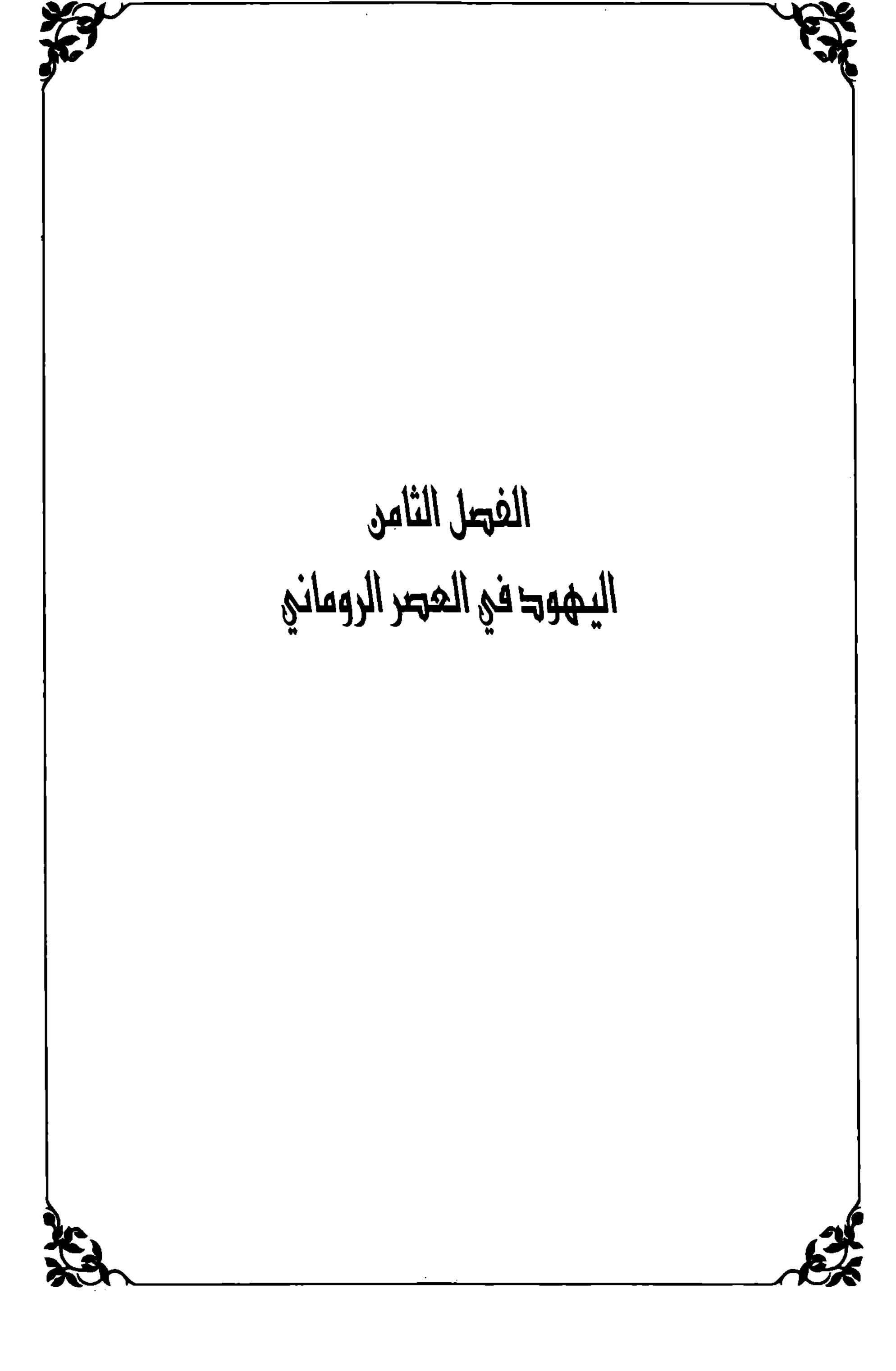
(٩٠ ق.م) معركة كبيرة على الضفة الشرقية لنهر الأردن تمكن خلالها من الانتصار عليهم وتمزيق صفوفهم وقد استولى على منطقة حوران[1].

وكاد اسكندر ملك المكابيين يلقى حتفه في تلك المعركة ولكنه نجا بأعجوبة بعد أن أفلت بسرعة وارتد هارباً إلى أورشليم ولم يتمكن المكابيون بعد ذلك من فرض سلطتهم على الضفة الشرقية لنهر الأردن.

بعد تلك المعركة تعاظمت قوة النبطيين العرب واشتدت شوكتهم وبلغت أوجها في عهد الملك الحارث الثالث (٨٧ ـ ٦٢ ق.م) الذي انتصر على السلوقيين في قانا الجليل في أرض فلسطين وقتل ملكهم انطيوخس الثاني في أرض المعركة ثم غزا المكابيين لتأديبهم فسارع الملك اسكندر إلى لقائه ولكنه هزم شر هزيمة واضطر إلى طلب الصلح حسب الشروط التي أملاها عليه الحارث كان من جملتها تخليه عن كل ما كان تحت يده من أرض وممتلكات في الضفة الشرقية لنهر الأردن[2].

---

(١) انظر جواد علي في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام.
(٢) انظر محمد عزه دروزه تاريخ الجنس العربي الجزء الرابع ص٣٤٨.



الفصل الثامن

اليهود في العصر الروماني

طوائف المجتمع اليهودي في عصر الميلاد

كان المجتمع اليهودي في عصر الميلاد يتألف من عدة طوائف متغايرة متباينة في الطقوس والمعتقدات. وقد عاشت في صراعات طويلة دامية فيما بينها استمرت حتى قضى الرومان عليها جميعها نذكر منها الطوائف الرئيسية الكبيرة التالية:

١ ـ **السامريون:** وينتسبون إلى السامرة ومعظمهم من الذين أتى بهم الأشوريون ووضعوهم مكان اليهود الذين سبوهم سنة ٧٢١ ق.م وقد تهوّد معظمهم بعد أن اختلطوا مع من تبقى من اليهود في السامرة ثم عاد المسبيون بعد سماح قورش لهم. وجاء بعد ذلك عزرا فكتب التوراة كما حفظها الناس فأبقى هؤلاء الأسفار الخمسة التي نسبت إلى النبي موسى ورفضوا كل الأسفار الأخرى واعتبروها إضافات غير شرعية واعتبروا واضعيها من الناس الجهلاء الضالين. والسامريون لهم توراتهم الخاصة المؤلفة من ستة أسفار بعد أن أضافوا إليها سفر يشوع الذي اعتبروه ملحقاً بها باعتبار يشوع كان خليفة لموسى. والسامريون خليط

غريب عجيب من مختلف الأسباط والمتهودين.

٢ ـ **الفرِّيسيون**: أو (فروشيم) أو المفروزون وهم جماعة من الكهنة وغير الكهنة ويمتازون بمعرفة دقيقة لعلوم الشريعة وبتقيد شديد بتعاليمها كالحفاظ على السبت والطهارة الشرعية وتأدية العشور ولهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي نظراً لاستزلامهم للرومان وإطاعة أوامرهم ولهذا كانوا طغاة ظلمة متعالين على الآخرين ولا يرون حمل السلاح ضد الرومان مجدياً وهم أشد خصوم المسيح.

٣ ـ **الصدوقيون**: وهم الأثرياء المحافظون وهم أتباع صدوق الكاهن الأعظم لداوود وسليمان ومن هنا ادعاؤهم الحق بالكهانة والقيام بأمرها منذ ذلك العهد ولذلك فهم يتشددون ضد كل ما هو غير يهودي. راضون قانعون بالحكم الروماني ويرون فيه قوة لهم وهم إلى ذلك راضون عن وضعهم الدنيوي ولا يهمهم ملكوت السماوات ولا يؤمنون باليوم الآخر ولا بخلود النفس ولا ببعث الأجساد وهم مكروهون من عامة الشعب.

٤ ـ **الأُساة**: يعتبرون أنفسهم اليهود الأقحاح الخلّص والمتبقين الوحيدين من الشتات والضياع وعليه فهم وحدهم من يحق لهم التكلم باسم الأمة العبرانية وأفرادها لا تجمعهم علاقات ودية ويعيشون على التناقضات فيما بينهم وفي وضع منعزل عن الجميع منطوٍ على نفسه.

٥ ـ **الغلاة**: وهم فرقة من الأساة انشقت عنهم وجعلت لنفسها نظاماً خاصاً. يحيون حياة متقشفة وفي قناعة مفرطة. كانوا ناقمين على الحكم الروماني ويقومون بنصب كمائن ضد جنوده في الخفاء بكل ما

فيها من وسائل العنف والقتل وقد أطلق عليهم الرومان إسم اللصوص. ويدعون انتسابهم إلى يهوذا أحد القادة المكابيين.

٦ ـ **الهيروديون**: وهم حزب العائلة الهيرودية الحاكمة وجواسيسها على مختلف طوائف الشعب وهم بطبيعتهم موالون للحكم وللرومان.

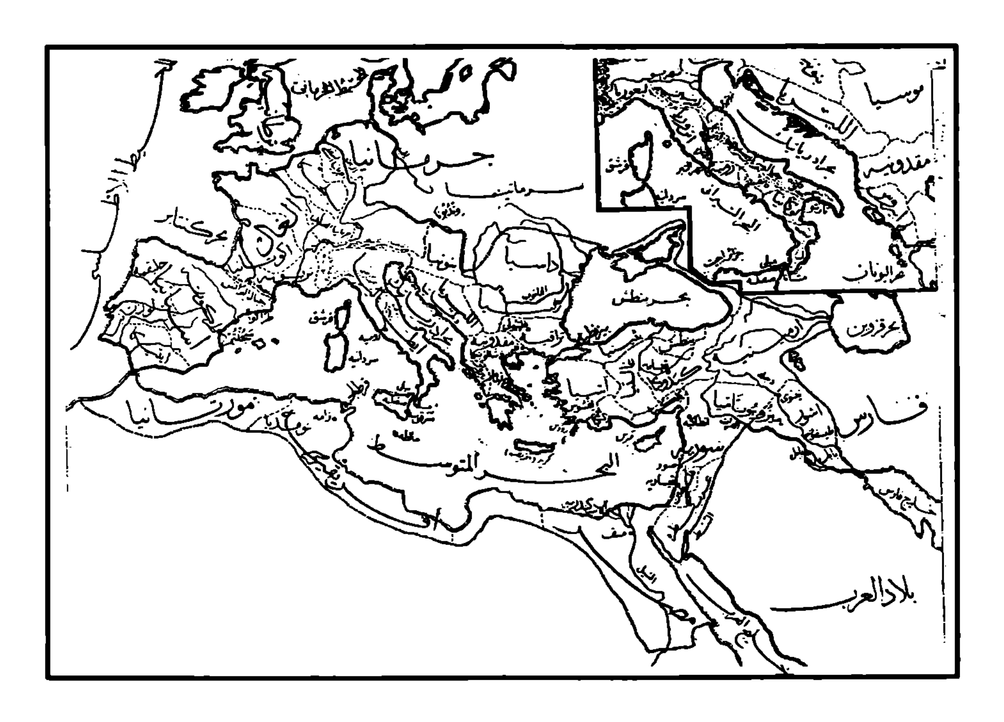
٧ ـ **الشيوخ**: وهم الأبكار الذين يخلفون آباءهم في رئاسة الأسرة وينعمون بالمراكز السامية ويمثلون جميع الطوائف والعائلات وهم رؤوس الأسباط والطوائف وتناط بهم مناصب دينية ودنيوية ولهم أعطيات خاصة.

بومبيوس فاتح الشرق

استمر اليهود في أورشليم متمتعين بالحكم الذاتي حتى جاء فاتح الشرق پومبيوس القنصل الروماني والقائد الأعلى للقوات الرومانية في البحر المتوسط فاحتل سوريا عام ٦٤ ق.م ثم فلسطين بعد ذلك بسنة فدخل أورشليم ووضع بدخوله حداً للاقتتال الداخلي والخلافات المستحكمة فيما بينهم وعندها أصدر حكماً يقضي بأن تحكم المقاطعات في سوريا وفلسطين من نائب قنصل روماني. فانتهى بذلك الكيان اليهودي المستقل وانتقلت البلاد كلها إلى الحكم الروماني الجديد.

عندما احتل بومبيوس هذه البلاد وجعلها كلها ولاية واحدة سميت ولاية سورية لكنه سمح لكل منطقة بممارسة نظامها الخاص ضمن السيادة الرومانية. وهكذا سمح للملوك العرب بالبقاء في حدود

ممتلكاتهم شرط أن يدفعوا الجزية للحكومة المركزية في روما وكذلك سمح للجماعات اليهودية في أورشليم بالبقاء فيها تحت الحكم الروماني وظلت السلطة السياسية فيها بيد الرومانيين[1]. ولكنه أنقص من سلطة الكاهن اليهودي الأعظم وحدَّ من صلاحياته وجرَّده من رتبته الملكية وفرض ضرائب ثقيلة على السكان وقسم يهوذا إلى خمسة أقاليم صغيرة غير أنه أبقى لهم نظامهم الخاص للأحوال الشخصية وإدارة دينية محدودة، وأعاد ربط السامرة وبيسان وغزة وغيرها بالولايات السورية[2].



الإمبراطورية الرومانية

---

(١) هنري بريستد: العصور القديمة ص٥٦٣.

(٢) الدكتور فيليب حتى ـ المرجع السابق ص٣١٠.

أغسطس قيصر وتنظيماته الإدارية

لما استولى أغسطس قيصر على مصر سنة ٣٠ ق.م أبقى معظم الأنظمة الداخلية كما كانت عليه في عهد البطالمة ونصب من قبله والياً على البلاد ومنح اليهود جميع الحقوق والإمتيازات التي كانوا قد اكتسبوها في زمن البطالمة وساواهم بالأغريق.

ولكن حدثت ثورات داخلية في مصر بسبب تباين السكان واختلافهم خاصة بين الإغريق واليهود فقد قامت بينهم ثورات كثيرة ظلت مشتعلة عشرات السنين كان أهمها ما حدث سنة ٣٨ ب.م عندما هاجم الإغريق الحي اليهودي في الاسكندرية وبطشوا بسكانه وذبحوا عدداً كبيراً منهم ولم ينفع تدخل الإمبراطور نفسه في الإصلاح بين الفريقين وظلت النزاعات مستمرة[١].

كان الرومان قد قاموا في عهد أنطونيوس ببعض التنظيمات منها كف يد الأسرة المكابية عن الحكم في أورشليم وتنصيب الأسرة الهيرودية في الحكم مكانها. وكان على رأس هذه الأسرة انتيباتر (ت ٤٣ ق.م) وهو أحد المقربين إلى قيصر روما وهو يهودي من أصل أدومي خلع إبنه هيرودس الأكبر (٣٧ ـ ٤ ق.م) اسمه على الأسرة التي حكمت في زمن السيد المسيح وقد حمل هيرودس الأكبر هذا اليهود في أورشليم على اعتناق الديانة الرومانية والسجود لآلهتها كما ساعد على تفشي الحياة الرومانية بكل مظاهرها في المجتمع اليهودي وعلى تشجيع المصالح الرومانية على حساب المصالح القومية للبلاد فأبغضه اليهود وكرهوه.

---

(١) عمر الاسكندري تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ص١٤٤.

ولما جاء بعده إبنه هيرودس الثاني (٤ ق.م ـ ٣٩ ب.م) سار على خط أبيه من الفظاظة والقسوة وسحق جميع المناهضين له. وكان كما يقول فيليب حتى ذا وجهين فهو يهودي في وطنه وهلليني خارجه[١]. وما ذلك إلا تقرباً من الرومان وتزلفاً لهم.

كيفية مقتل النبي يحيى (يوحنا المعمدان)

استبد هذا الملك فطغى وبغى واشتط في ظلمه وجوره وأبغضه اليهود بغضاً لا هوادة فيه لأصله الأدومي. وقد دشَّن عهده بقتل النبي يحيى بن زكريا الذي يسميه العهد الجديد (يوحنا المعمدان)[٢] وملخص ذلك أن هذا الملك اليهودي كان قد أولع بإبنة أخيه[٣] (سالومي) ولعاً شديداً ملك عليه عقله وافقده صوابه وراح يتردد عليها ويأتيها بموافقة أمها فغضب النبي يحيى عندما علم بالأمر وكان يتردد على هذا الملك ليعظه فزجره ووبخه ونهاه عن ذلك فأمسك هذا الملك بعض الوقت فشعرت سالومي بذلك فأخبرت أمها فحقدت عليه وأضمرت له الشر. وذات يوم زيَّنت الأم ابنتها حتى بدت بكامل فتنتها وغدت تأخذ بمجامع القلوب ثم أرسلتها إلى الملك قائلة لها: إذا طلب الملك منك حاجةً يقضيها لك فاطلبي منه رأس يحيى. وهكذا كان وبعث الملك بعض زبانيته فذبحوا النبي يحيى وقطعوا رأسه ووضعوه على طبق من ذهب وقدم لسالومي عربون وفاء من الملك فقدمته هذه بدورها إلى أمها[٤].

---

(١) فيليب حتى المرجع السابق ص٣١٣.

(٢) معناها: الرب يرحم.

(٣) وقيل زوجة أخيه فيليبُس.

(٤) لمزيد من المعلومات راجع الكتاب المقدس.

دعوة النبي يحيى وصفاته

كان النبي يحيى سيداً في قومه يجتمع إليه الناس فيعظهم ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وقد كان عابداً زاهداً منذ الصغر وآتاه الله الحكم صبياً وانقطع لعبادة الله تعالى فلم يتزوج ولم يلتفت إلى شيء من متاع الدنيا يأكل العشب ويلبس الليف ويبكي من خشية الله. وقد أثنى الله تعالى عليه في كثير من الآيات القرآنية المباركة منها ما جاء في سورة مريم:

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا، وحناناً من لدُنَّا وزكاةً وكان تقيّاً وبرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عَصِيّاً، وسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يُبعث حيا﴾[1].

ويقال أن النبي يحيى عندما بلغ سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه. وقد رزقه الله تعالى الاقبال على معرفة الشريعة حتى صار عالماً بها في صباه وكان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب ويغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا وقد اعتمد منه السيد المسيح[2] ويقول فيه الكتاب المقدس العهد الجديد:

بينما زكريا يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله أُلقيت القرعة جرياً على سنة الكهنوت فأصابته ليدخل مقدس الرب ويحرق البخور، فتراءى له ملاك الرب قائماً عن يمين مذبح البخور فاضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف فقال له الملاك لا تخف، لا تخف يا زكريا قد

(١) الآيات رقم ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ من سورة مريم المباركة.
(٢) عبد الوهاب النجار قصص الانبياء ص٤٤.

سمع دعاؤك وستلد لك امرأتك (اليصابات) إبناً فسمِّه يوحنا وستلقى فرحاً وابتهاجاً ويفرح بمولده أناس كثيرون لأنه سيكون عظيماً أمام الرب ولن يشرب خمراً ولا مسكراً ويمتلىء من الروح القدس وهو في بطن أمه.

وكان الطفل يترعرع وتشتد روحه وأقام في البراري إلى يوم ظهور أمره[1].

اليهود يقتلون نبي الله زكريا

إذا كان هيرودس ظالماً بهذا الشكل فإن شعبه اليهودي لم يكن أقل منه ظلماً، والناس على دين ملوكهم كما يقولون فقد اضطهدوا أباه زكريا وعذبوه ونشروه بالمناشير فقطعوه وهو التقي الورع وهو الذي تكفَّل السيدة مريم العذراء في صغرها وحماها ورعاها وكان عبداً صالحاً باراً مشتغلاً بالعبادة منقطعاً لها وقد أثنى الله تعالى عليه في كثير من الآيات المباركة: **﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذريَّة طيبةً إنك سميع الدعاء، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾**[2].

ولكن الله تعالى وسعت رحمته كل شيء لا يحجبها عن أحد من عباده. وهذا الشعب الكافر الضال كلما أمعن بالكفر والوثنية والضلال، وكلما تجاوز حدود الله وعطلها وكفر بشرائعه وسُننه كلما كان الله غفوراً

(١) انجيل لوقا ١/٨ فما فوق.
(٢) الآيتان ٣٨ ـ ٣٩ من سورة آل عمران المباركة.

رحيماً يرسل لهم من يعظهم ويهديهم ليعيدهم إلى طريق الخير والحق والصواب. من هنا كان النبي رحمة وهدى للعالمين.

دعوات الحق الأربع

وقضت حكمة الله تعالى أن تنطلق في آن معاً وفي ذلك الزمن الذي ظهر فيه الفساد والفجور وكثر الظلم والطغيان أربعة أصوات للحق، أربع حجج لله تعالى على تلك الجماعات الضالة من بني إسرائيل، بل أربع كلمات لله تعالى تدعو إلى عبادته وتوحيده في ذلك المجتمع الذي ارتد إلى الوثنية وكفر وأغرق في الكفر. زكريا وابنه يحيى ومريم وابنها المسيح عيسى.

أربعة صديقين طاهرين مطهرين مقربين من الله تعالى مسموعي الدعوات لو سألوا الله تعالى أن يزيل الجبال لأزالها أو يقطع دابر الكافرين لقطعه أو يمحق الجبارين لمحقهم ولكنهم لم يفعلوا وقابلوا الإساءة بالإحسان وأشفقوا على من عذبوهم وسامحوهم ـ وتلك أخلاق النبيين ـ وأروهم كيف تعفو الضحية عن قاتلها وكيف تنتصر عليه في النهاية. وهؤلاء البررة الكرام كلهم عُذِّبوا وكلهم أوذوا واضطهدوا ونالوا من ظلم اليهود وتكذيبهم لهم وافترائهم عليهم ألواناً وألواناً حتى سمي اليهود قتلة الأنبياء والمرسلين ولم يكثر الأنبياء فيهم إلا لأنهم شعب ضال جاحد.

مريم ابنة عمران

أما مريم ابنة عمران فترجع بنسبها إلى سليمان بن داود وكان لها عند الله تعالى الكرامة والمنزلة الرفيعة والقدر الجليل وقد ذكرها الله

تعالى أكثر من أربعين مرة في القرآن الكريم وفي ١٢ سورة مباركة منه من ضمنها سورة خاصة بها حملت اسمها وقدمها على نساء العالمين واصطفاها وطهرها وذريتها من رجس الشياطين ومسِّهم ولم يجعل لهم عليها سبيلا لأنها صدَّقت كلمات ربها وكانت من القانتين.

﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرَّراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت ربّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾(١).

ولما نشأت: نشأت على الطهر والعفاف وعبادة الله والبعد عن الدنس والرذيلة وكان من صفاتها ونقائها وخلوصها في العبادة أن صارت الملائكة تكلمها **﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. ﴾**(٢).

ثم راح يدافع عنها بعد أن حملت بعيسى أمام اتهام أهلها ولومهم لها ويصفها بالعفة والصيانة وردّ تهم اليهود عنها: **﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾**(٣).

(١) سورة آل عمران الآيات ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧.
(٢) سورة آل عمران الآيتان ٤٢ ـ ٤٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩١.

عيسى بن مريم كلمة الله ودعوته

اشتركت مريم مع ابنها بالآية والاعجاز ﴿**إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ـ ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين ـ قالت ربِّ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء ـ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل**﴾[1]

غير أن بني إسرائيل لم يصدقوا كل هذا فافتروا عليها وآذوها وسلقوها بألسنةٍ حداد شداد حتى دفعها الحال إلى أن تقول ﴿**يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا**﴾. فلم نجد فيهم واحداً يشهد ببراءتها حتى أنطق الله الصبي فكلمهم في المهد ودحض ادعاءاتهم وكان حجة الله عليهم وقد توعدهم الله بكثير من الآيات ﴿**وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً**﴾[2] ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله.** ﴾[3] فعيسى هو كلمة الله تعالى وقد حدد مهمته وأعلن دعوته فور أن مكنه الله تعالى من النطق وهو في المهد ليدحض مزاعم اليهود ويبطل اتهاماتهم لأمه الطاهرة وينزهها ويدفع عنها الشبهات.

وتلك الدعوة هي العبودية التامة لله تعالى وعدم الشرك به وإن كل

---

(١) آل عمران الآيات ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨

(٢) سورة النساء، الآية ١٥٦

(٣) جزء من الآية١٧١ من سورة النساء.

ما يقوم به من معجزات إنما هو بأمر الله تعالى وإرادته وعلمه.

﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ـ وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيّا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّا﴾[1].

﴿ومصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ولأحلَّ لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون﴾[2].

ولما جاء عيسى بالبينات **﴿قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ـ إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحْزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾**[3].

وعبودية المسيح عيسى بن مريم لله الواحد الأحد.

أولي الوصايا

جاء في الإنجيل كما رواه القديس مرقس وتحت عنوان: أولى الوصايا ما يلي: «ودنا إليه أحد الكتبة وكان قد سمعهم يجادلونه ورأى أنه أحسن الردَّ عليهم فسأله: ما الوصية الأولى من الوصايا كلها؟ فأجاب يسوع: الوصية الأولى هي: إسمع يا إسرائيل إن الرب آلهنا هو

(١) سورة مريم الآيات ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣.
(٢) سورة آل عمران الآيات ٥٠ ـ
(٣) سورة الزخرف الآيات ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥.

الرب الأحد فأحب الرب آلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قوتك»[1].

وعمل المسيح عيسى بن مريم على تطهير الهيكل من المرابين والدجالين والبائعين واللصوص ليعيد إليه غايته الحقيقية فدخل الهيكل وطرد كل هؤلاء منه:

يقول الإنجيل كما رواه القديس متى: «ثم دخل يسوع الهيكل وطرد جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل فقلب طاولات الصيارفة ومقاعد باعة الحمام وقال لهم: «مكتوب: بيتي بيت صلاة يدعى وانتم تجعلونه مغارة لصوص»[2].

ويقول: «لا تظنوا أني جئت لأُبطل الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لأبطل بل لأكمل»[3]. وفي هذا دليل واضح على أن عيسى بن مريم رسول من الله تعالى ونبي كريم جاء ليكمل رسالات الأنبياء الذين سبقوه وينقيها ويطهرها مما أدخله فيها المحرِّفون من أمور لا توافق شريعة الله وقوانينه ويهدي الناس إلى الشريعة الصحيحة ويعيد إليها معناها الحقيقي وتستعيد بساطتها الأصلية وهذا ما أكده لله تعالى عليه بقوله مخاطباً نبيه الكريم محمد(ص).

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا ـ ورسلاً قد قصصناهم

(١) انجيل مرقس: ١٢/٢٨ ـ ٣٠.
(٢) انجيل متى ٢١/١٢ ـ ١٣.
(٣) انجيل متى ٥/١٢.

عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾[1] .

دين التوحيد والمحبة والتسامح

ظل عيسى بن مريم يعظ قومه ويهديهم وفق التوراة التي نزلت على سيدنا موسى بعد أن أكملها وأزال منها كل ما كان اليهود قد أضافوه إليها من نصوص ومعتقدات تتعارض مع الدعوة الحق لعبادة الله وتوحيده وراح يبشر بالمحبة والرفق والاحسان والتسامح والسلام ويحارب الكفر والوثنية والشرك بالله ويعيب عليهم ما تفيض به نفوسهم من أحقاد وكراهية وانغماس بالشرور وارتكاب للمعاصي والآثام. فتألبوا عليه وحاربوه واضطهدوه، وكان شيوخهم ورؤساؤهم أشدهم عليه إفتراءً وأذى وأكثرهم له ظلماً وتسفيهاً **﴿فلما أحسَّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾**[2] .

فأبى أكثرهم إلا كفراً وطغيانا، وعندها أتى أورشليم فمكث فيها يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة حتى ضاق به اليهود ذرعاً فطلبوه وضيقوا عليه ثم رفعوا أمره إلى الوالي الروماني بنطوس بيلاطس[3] (٢٦ ـ ٣٦م) حاكم المدينة يومذاك وكان شرساً متحجّراً موصوفاً بالقسوة والعنف محباً لسفك الدماء وللرشوة والسلب.

---

(١) سورة النساء الآيات ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٢ .

(٣) الكتاب المقدس ص٢٤ .

الاختلاف في شأن عيسى

وقيل يومها إن عيسى بن مريم قد صُلِب، وما كان الله تعالى ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنما شُبّه لهم **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾**[1]. **﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم إني مُتوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا﴾**[2]. وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى اختلاف في شأن عيسى فقال تعالى: **﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ـ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ـ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يومٍ عظيم﴾**[3].

والاختلافات كثيرة في شأن عيسى بين النصارى أنفسهم والأناجيل المتداولة ليست إلا ترجمة لعيسى كتبها أشخاص بعد موته بمدة غير قصيرة واستقوا ما كتبوه من الرواة وقد احتوت كثيراً من أقوال عيسى وتعاليمه. والمتداول المعترف به منها وإن كان أربعة فقد كان أكثر من ذلك مع اختلاف في هذا العدد والنصوص. ومن الأناجيل غير المعترف بها انجيل (برنابا) وفيه تقريرات عن شخصية عيسى وحكاية لأقواله متطابقة مع ما احتواه القرآن من مثل ذلك في صدد توكيده أنه عبد الله ورسوله ودعوته إلى عبادة الله وحده وتنديد بالذين دعوه أو يدعونه إبن الله وتبشير بمبعث النبي محمد عليه السلام. وفي صدد إنكار

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(٣) سورة مريم الآيات ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧.

صلبه وتقرير كون المصلوب هو غيره وقد شبه به[1].

هكذا وقف اليهود ووقفت معهم تلك الطغمة الحاكمة من العائلة الهيرودية وغيرها في وجه دعوة الحق التي أطلقها أولئك الأربعة الكبار، الكبار في إيمانهم بالله وعبوديتهم التامة له. وحاربوها وعملوا على خنقها في مهدها وإطفاء نورها قبل أن يسمع بها الناس وتنتشر في صدور المؤمنين منهم ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾[2]. -

المسيح بين اليهود والرومان

وجدت المسيحية صعوبة بالغة قبل أن تأخذ طريقها إلى قلوب المؤمنين بها سيما في القرنين الميلاديين الأول والثاني. وقد تعرض أتباع هذه الديانة الجديدة لشتى أنواع الاضطهاد المرير من اليهود والأباطرة الرومان وولاتهم على حد سواء. فالرومان رأوا في هذه الديانة الناشئة شيئاً غير مألوف عندهم فأتباعها لا يقدمون للإمبراطور العبادة المطلوبة ولا لرموز السلطة الآخرين وأنه يعمل ليكون ملك اليهود. وأنه لا يعدو أن يكون ثائراً إجتماعياً أو صاحب فلسفة كغيره من الفلاسفة. واعتبروا أتباعه خارجين حقيقيين عن القانون لأنهم ينادون جهاراً بسقوط الدولة الرومانية[3].

وأما اليهود فكانوا أشد عليه قسوة وتعذيباً لأنه كان يعيش في

---

(١) محمد عزة دروزة المرجع السابق ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ الجزء الرابع.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٢.

(٣) راجع العصور القديمة ـ جيمس هنري بريستد ـ ترجمة داود قربان ص٦٢١ وقصة الحضارة.

وسطهم مباشرة وقد أزعجهم كثيراً وجوده بينهم فاضطهدوه وهجّروه مرة إلى مصر ومرة إلى الجنوب اللبناني بعد أن رأوه يؤمن برسالة (يوحنا المعمدان = النبي يحيى) وقد باشر مهمته فور دخول يحيى إلى السجن وراح يخطب في الناس مبشراً بملكوت الله ويقول:

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون.. أيها القادة العميان أيها الجهال والعميان، تركتم أثقل الناموس ـ الحق والرحمة والإيمان. تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافاً ودعارة... ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة.. تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياءً ونفاقاً إنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم؛ إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله[1]. وزاد خوفهم عندما عرفوا أنه هو عيسى المسيح بن مريم المنتظر وأنه يؤمن بما جاء به الرسل من قبله بعد أن قال لهم: لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل. الحق أقول لكم لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة أو تزول السماء والأرض[2] وندّد بالجهر بالصلاة والتظاهر بالصدقات والاحتفالات الفخمة بالجنائز ودعا الناس أن يحيوا حياة العدالة والرأفة والبساطة ـ وأن يطهروا قلوبهم من الشهوات والأنانية والقسوة والفجور.

وبكلمة فقد دعا إلى دين يخرج الناس من المراسم والطقوس

(١) قصة الحضارة المرجع السابق ص١١/ ٢٣١.
(٢) انجيل متى الإصحاح ١٧/٥ ـ ١٨.

ويدخلهم في الصلاح والاستقامة.

وكان أكثر ما أغاظ اليهود هو عفوه عن المخطئين والتحدث باسم الله فعند ذلك قالوا إن رسالة يوحنا عادت إلينا من جديد.

وقد أخذت المسيحية معظم معتنقيها الأوائل من اليهود أنفسهم الذين صدَّقوا بالمسيح ورسالته وقد تعرض المسيحيون واليهود معاً للإضطهاد العنيف من الحكام الرومان وأعوانهم لأن العقائد المسيحية الأولى احتوت على الكثير من المبادىء التي تشبه اليهودية وأن المسيحيين لم يكونوا يختلفون عن اليهود إلا في عدم لزومهم السبت واختتانهم[1].

الأسرة الكلودية

تولت الحكم في عصر الميلاد الأول جماعة من الأباطرة من أسرة كلوديوس وقد امتد حكمها من سنة ١٤ م إلى سنة ٦٨م وقد اشتهرت بصلابة الإرادة والبأس الشديد كما اشتهرت بالعبث وفساد الأخلاق والأعمال الشاذة والتهالك على الملذات وتشبَّهت هذه الأسرة بنيرون (٥٤ ـ ٦٨) المسرف بالظلم والقسوة والاستبداد.

وقد ساعد حكم هذه الأسرة على أن تكون نموذجاً يحتذى فتشبه بها حكام المقاطعات التابعين لها خارج روما فكان ظلمهم عظيماً. وشاء الله تعالى أن يظهر كلمته في ذلك الوقت. امتد تسلط نيرون على اليهود خاصة لأن المسيح ظهر بينهم.

---

(١) الدكتور فكتور سَحّاب ـ إيلاف قريش ص٧٥ ـ المركز الثقافي العربي/ بيروت.

ولما ثاروا محتجين على سوء المعاملة التي يتعرضون لها من جهة وعلى إدخال الطقوس الهللينية في معابدهم وإجبارهم على تقديم القرابين لجوبيتر الذي وضع نصب له في الهيكل واجههم بقسوة.

وعهد إلى فسباسيان القائد القضاء عليهم وإخماد ثورتهم مهما كلف الأمر. فجهز هذا جيشاً كبيراً من ٥٠ ألف مقاتل واتجه به نحو أورشليم لإخضاعها. وقبل أن يصل إليها توفي نيرون فحل محله فسباسيان على عرش روما.

طيطس يدمر أورشليم

عهد فسباسيان إلى إبنه طيطس القيام بالمهمة والقضاء على الثورة مهما كلف الأمر فتوجه طيطس فوراً إلى أورشليم ولما وصلها وجه إنذاراً إلى اليهود يدعوهم فيه إلى الاستسلام فرفضوا.

عندئذٍ ضربهم ثم استولى عليها. وقد ساعده مالكو الثاني إبن الحارث الرابع (٤٠ ـ ٧١م)ملك الأنباط فأرسل له ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة فهاجمهم بعنف ودمَّر أورشليم تدميراً سنة ٧٠م وأحرق المعبد وكان التدمير تاماً ووقعت على أثر ذلك مذابح مخيفة ـ (وما ظالم إلاّ سيبلى بأظلم) وقدر بأن ربع مليون يهودي هلكوا في تلك الحرب وأجبر كثير من الأسرى بأن يقاتل الواحد منهم الآخر أو يقاتلوا ضد الحيوانات المفترسة وبيع آلاف منهم في مختلف المقاطعات الرومانية وهرب قسم منهم في بقاع الأرض وتشتتوا ومنعت البقية الباقية من اليهود من الاقتراب من أورشليم وزالت اليهودية كدولة سياسية من الوجود وأصبح اليهود منذ ذلك الوقت شعباً بلا

وطن[1] ثم عاد طيطس إلى روما يجر وراءه أذيال النصر في موكب عظيم ومن ورائه صف طويل من الأسرى وقدر كبير من الغنائم مخترقاً شوارع روما وأقيم له فيها قوس نصر شهير لتخليد ذكرى هذا الانتصار الباهر ثم أجلس الأمبراطور فسباسيان ولده طيطس معه على العرش وعهد إليه قسطاً متزايداً من الحكم[2].

هدريانوس والقضاء النهائي على اليهود

عندما تربع هدريانوس (١١٧ ـ ١٣٨) على العرش الإمبراطوري الروماني حاول إعادة السلام إلى الإمبراطورية بعد أن كان تراجان (٩٨ ـ ١١٧) قد مزقها بحروبه المتواصلة ضد الجرمانيين والغاليين وغيرهم. وفي أواخر حكم هدريانوس هذا ثار اليهود سنة ١٣٢م في آخر محاولة لهم في التاريخ القديم لاستعادة حريتهم بزعامة شمعون باركوشيبا الذي ادعى انه هو المسيح المخلص فحاصرتهم الفيالق الرومانية في أورشليم حتى هزموا شر هزيمة ودمر الرومان ٩٨٥ قرية في فلسطين وذبحوا ٥٨٠,٠٠٠ يهودي ويقال أن الذين ماتوا من الجوع والمرض والحريق كانوا أكثر من هذا العدد[3]. وخربت بلاد اليهود كلها تقريباً وكان الذين بيعوا من اليهود في أسواق الرقيق من الكثرة بحيث انخفض ثمن الواحد منهم حتى ساوى ثمن الحمار[4]. ثم أراد أن يقضي على ما في اليهودية من قدرة على الانتعاش فحرَّم الختان والسبت والاحتفال بأي عيد من

---

(١) الدكتور فيليب حتى المرجع السابق ص٣٧٦.

(٢) قصة الحضارة ـ المرجع السابق ص١٠/ ١٥٠.

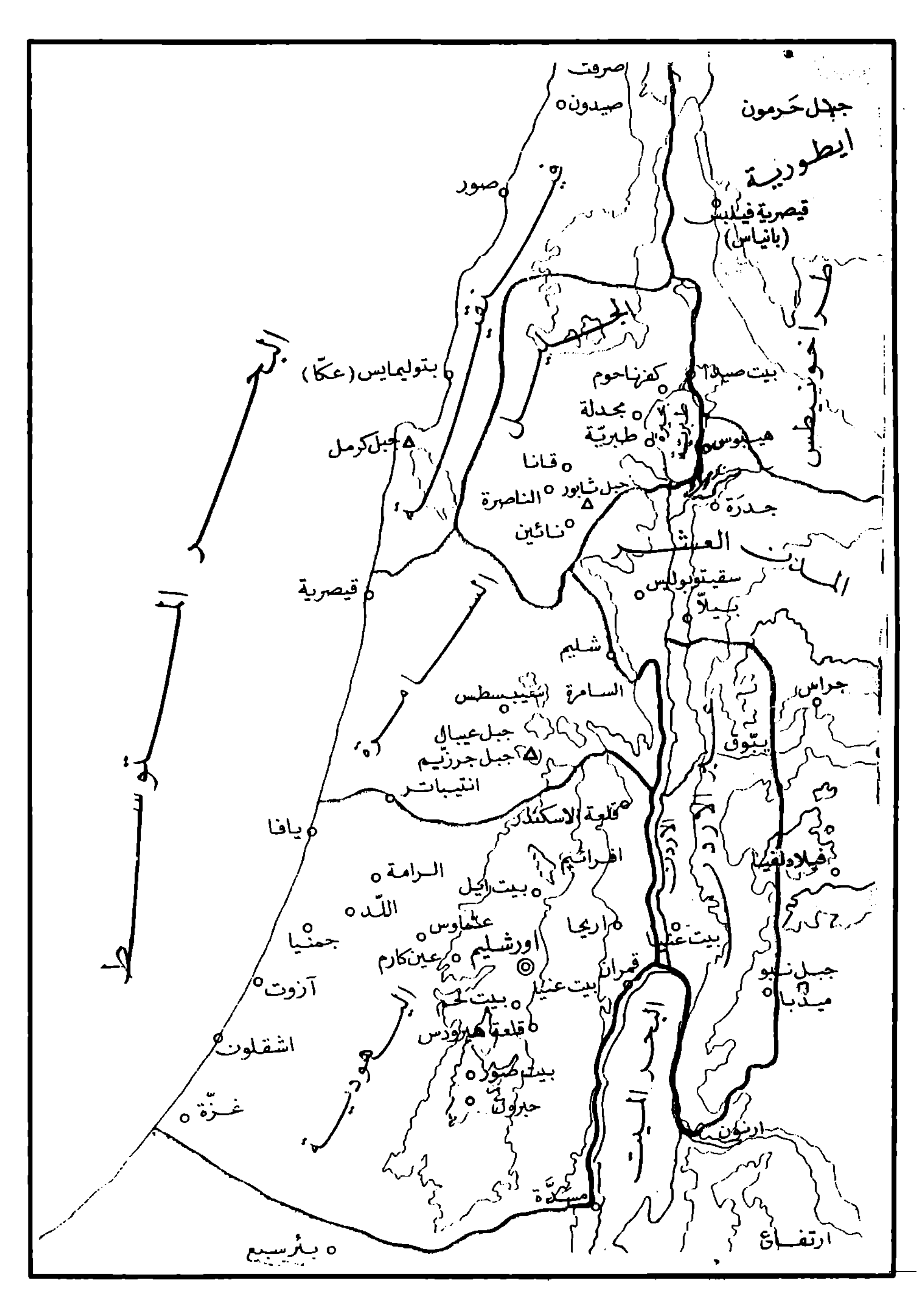
(٣) راجع قصة الحضارة ص١٩٥ الجزء الحادي عشر.

(٤) المرجع السابق.

أعيادهم أو إقامة أي طقس من طقوسهم وحرم عليهم دخول أورشليم إلا في يوم واحد محدد في العام يُسمح لهم فيه بالمجيء ليبكوا أمام خرائب الهيكل وأقام في موضع أورشليم مدينة على انقاضها سماها مدينة (إيليا كابتولينا) وشيد فيها ضريحين لجوبيتر وڤينوس وساحات للرياضة وملاهٍ وحمامات ومنع تعليم الشريعة جهرة وأنذر كل من خالف ذلك بالإعدام ثم عاد فطردهم وأخرجهم ليس من أورشليم فحسب وإنما من فلسطين كلها وهكذا شردهم في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولم يجدوا لهم صديقاً واحداً فاختبأوا في ظلمات الخوف والفزع وعادت البلاد إلى أهلها بعد أن غاب عنها اليهود في الشتات الطويل[١].

---

(١) راجع كتابنا الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس الجزء الأول ص٢٤٤.



فلسطين في أيام السيد المسيح

الفصل التاسع

من الشتات حتى ظهور الإسلام

ما بعد الشتات

قضى الرومان على اليهود، شعباً وكياناً سِياسِياً وطردوهم من أرض فلسطين فَتَشَتَّتُوا في الآفاق وكانت البلاد العربية أرأف بلادٍ بهم، فاسْتَقْبَلَتْهُم جماعاتٍ وأفْراداً، فتغلغلوا في مُخْتَلَفِ نواحيها، ينشدون الأمنَ والاستقرار. وقد شَهِدَتْ الأقطارُ العربيةُ كلُّها ومُنْذُ القرن الميلادي الأوّل نزوحاً يهودياً كثيفاً إليها.

اليهود في مصر

فقد تَوَجَّهَ قِسْمٌ منهم إلى مصر وحلُّوا بين جماعاتهم في الاسكندرية، من الذين كانوا قد سبقوهم إليها منذُ أيام نيرون، وأقاموا حَيّاً خاصّاً بهم في المدينة، عرف بالحي الإسرائيلي، وكان شوكةً حادَّة في خاصرة الجالية اليونانية في المدينة، التي شَهِدَتْ بِسَبب ذلك فِتناً طاغيَةً وحُرُوباً قاسية بين الفريقين، كان أقْسَاها ما حدث في أيام الإمبراطور تراجان حيث استمرَّ القتال بينهما عِدَّة أشْهُر، انتهى بطردِ اليهود إلى الصحراء بعد أن سُحِقَ مُعْظَمُ من كان منهم بالاسكندرية(١).

---

(١) تاريخ مصر: المرجع السابق ص١٤٦.

في الحجاز

وتوجَّه قسم آخر من اليهود خاصّةً من المتدينين والكهنة نحو الحجاز وأقاموا جالياتٍ مُغلقة على نفسها في كلٍ من يثرب وخيبر وفدك وأم القرى وتيماء. وهؤلاء كانوا يعلمون عن طريق التوراة أنَّ رسولاً لله سيهاجر إلى يثرب. وبهذا كانوا بذور الفتنة الأولى التي غُرست في تراب الحجاز لتنطلق فيما بعد شديدةً ضارية في وجه رسول الله(ص) وأصحابه والمؤمنين برسالته، على يد أحفادهم الذين سَيُشكِّلون قبائل بني النضير وبني قريظة وقينقاع وغيرهم فيما بعد. وقد نشط هؤلاء المتديِّنون من اليهود في نشر ديانتهم بين العرب فانجذبت إليهم بعض القبائل العربية والأفراد بعد أن أثَّرت فيهم تعاليم التوراة واتخذوها ديناً لهم.

في اليمن

وتوجَّه قِسْمٌ من هؤلاء اليهود إلى اليمن في أيّامِ مُلْكِ الحِمْيَرِيِّين لها، فوجَدُوا أنَّ أَتْبَاعَ المسيحيَّةِ قد سبقوهم إليها عن طريق نفوذ الأحْبَاش الذين كان لهم تأثير فاعلٍ فيها، والذين كانوا قد أسَّسُوا فيها أدْيِرَةً وكنائِسَ في عدن وظُفار وهِرْمِزْ؛ ونَجْران.

وبعد أن تمكَّن اليهودُ في اليمن راحوا ينافِسُون المسيحيِّين على اكْتِسابِ الأتْباع، ويكيدُونَ لهم، وقد اشتَدَّ النِّزاعُ بين اتْبَاعِ الدِّيانتين إلى أنْ كان عَهْدُ الملكِ الحميري (ذي نُواس) (٥١٥ ـ ٥٢٥م) الذي اعتنق اليهودية وأصبحت في أيامه دين الدولة. وقد دفعه هَوسُه وتَعَصُّبه،

وتحريض اليهود له إلى أن يوقِعَ في نصارى نجران مذبَحَةً عظيمةً، ذكرها الإخباريون العرب في كتبهم وقالوا أنَّ ضحاياها هم أصحاب الأُخدُود الذين ورَدَ ذكرهم في القرآن الكريم ﴿والسماءِ ذاتِ البُرُوجِ ـ واليومِ الموعود ـ وشاهِدٍ ومَشهُود ـ قُتِلَ أصْحابُ الأُخدُود ـ النَّارِ ذاتِ الوَقُود ـ إذ هَمْ عليها قعود﴾[1].

في العراق

وتوجَّه قِسْمٌ منهم إلى العراق وحَلُّوا على من كان قد سَبَقَهم إلى هناك في أيّامِ السَّبْي الأشوري والكلداني، كما توجَّه قِسْمٌ منهم إلى انطاكية وأسَّسُوا جالية كبيرة هناك، تعاظم خطرها حتَّى ثارت بوجه الملك فوقا (٦٠٢ ـ ٦١٠م) ثم انْقَضُّوا على النَّصارى وقتلوا بطرك المدينة، وكثيراً من أنْصَار الكنيسة، فنكَّلَ بهم فوقا تنكيلاً شديداً وأَرْغَمَ كثيراً مِنْهُم على التَّنَصُّر.

في فلسطين

وفي سنة ٦١٥م انتصر الفُرْسُ على البيزنطيِّين واسْتَولوا على بلادِ الشام وفلسطين فَتَنَمَّرَ اليهود وشرعوا ينتقمون لأنفسهم من النَّصَارى والسَّامِرِيِّين، فشهدت فلسطين المذابِحَ الأهليَّة مرَّة أُخرى، وقد كان اليهودُ يَشْتَرُونَ الأسرى النَّصَارى من الفُرْسِ ويذبحونهم. ولما انتصر هِرَقْلُ على الفرس سنة ٦٢٥م وأجلاهم عن فلسطين تَهَيّأ للنَّصارى أنْ يَنْتَقِمُوا من اليَهودِ فتجدَّدَتِ المذابح[2].

---

(١) سورة البروج، الآيات ١ ـ ٦.

(٢) تاريخ الجنس العربي ـ دروزه. إقرأ سورة الروم المباركة.

وقـد اعْتَنَـقَ المسيحيَّـة كثيـر مـن اليهـود، كمـا اعتنـق كثيـر منهـم الإسلامَ فيما بعد فأُصبَح بذلك عدد الذين بَقُوا على اليهودية في فلسطين قليلا.

في الشمال الأفريقي

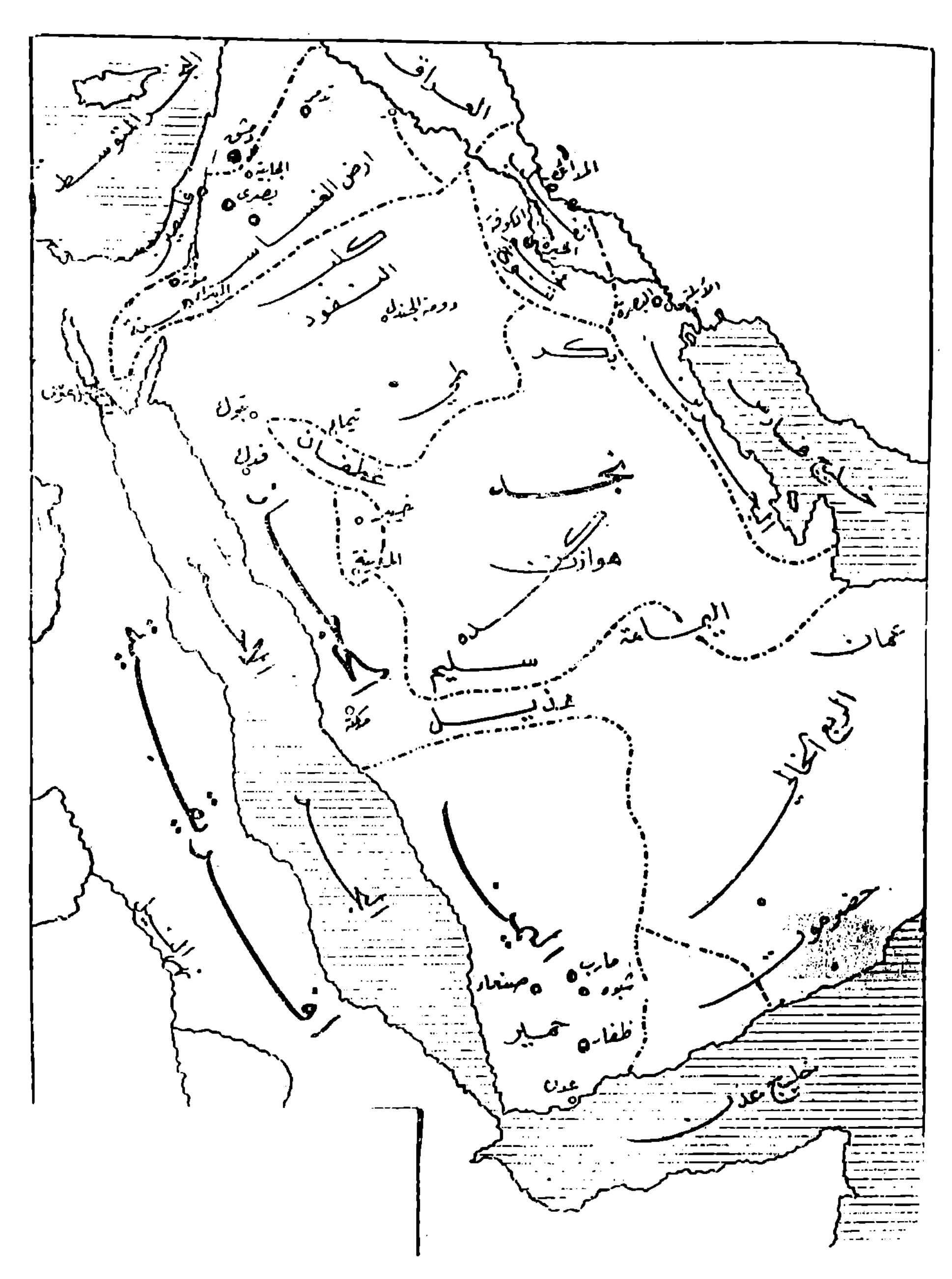
أما في الشمال الأفريقي، فقد تمكن اليهودُ من الوصول إلى القيروان عن طريق مصر.

غير أنَّ الدِّيانَةَ اليهوديَّة كانت قد انتشرت في المغرب منذ أيام الفينيقيِّين الذين كانوا قد حملوا معهم بعض الأفكار منذ أن أسَّسُوا قرطاجة في القرن التَّاسع قبل الميلاد. وانتشرت تلك الدِّيانة في بعض القبائل مع الدِّيانات الأُخرى، ثم سارت جَنْباً إلى جَنْب مع الدِّيانة المسيحيَّة التي وجدت طريقها إلى هناك بعد الاضطهاد الروماني لِكِلْتَا الدِّيانتَيْن معاً في القرنين الأول والثاني من الميلاد.

الانتشار اليهودي في العالم

الحقيقة أنَّ تَشْريدَ اليهودِ كانَ سَبَباً في انتشارهم في جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط والجزيرة العربيَّة وبلاد الحبشة وسوريا وفينيقيا. كما انتشروا عن طريق روما، وعشرات الآلاف من الأسْرَى التي بِيْعَت فيها في جميع بلادِ اوروبا والعالم المعروف يومذاك. وقد قال عنهم استرابون قبل سقوط أورشليم بخمسين عاماً قولاً لا يخلو من المغالاة التي أملتها عليه نزعته المعادية للسامية: «يَصْعُب على الإنسانِ أنْ يَجِدَ في العالم المعمور كُلِّه مكاناً واحداً خالياً من هذا الجِنْسِ من النَّاس»[1].

(١) راجع قصة الحضارة الجزء ١١ ص١٩٠.



الدول العربية الشمالية قبيل الاسلام

موقف العرب من اليهودية والنصرانية

لم تلق اليهوديَّة ولا المسيحيَّةُ بعدها نجاحاً بين العرب في مختلف ديارهم ووقف العرب منهما معاً موقف الحَذَرِ والعزوف عن اعتناق أيٍّ منهما وآثروا بغالبيَّتِهم المطلقة البقاءَ على الوثَنِيَّةِ نظراً للرَّخاء الواسع الذي كانوا يَنْعَمُون به، ولكثرة الملذَّات التي كانوا يتمتعون بها في ظلِّ الحياةِ القبليةِ والطبيعية للبدويِّ المرتحل والمتنقِّل من مكان لآخر التي كانوا يعيشونها وفي ظل نظامها الخاص الخاضع للعادات والتقاليد المُتَوَارَثة التي لا تحيد عنها: **﴿إنا وجدنا آباءنا على أُمَّةٍ وإنا على آثارهم مُقْتَدُون﴾**[1].

كان من الطَّبيعي أن يُعرضَ العربُ عن عبادةِ الله وتقواه أمام سهولة الحياة تلك وفي ظل الممالك العامرة والمدن الزَّاهرة التي أنشأوها والتي امتدَّت من اليمن إلى الشام والعراق. فازدهرت عندهم التجارة والصناعة والزراعة وبلغت في ذلك شأواً كبيراً، واتَّسَعَتْ مزارعُهم وحدائِقُهم بعد أن عَمَرُوا البلادَ واسْتَعْمَرُوها. وقد صَوَّرَ لنا القرآنُ الكريم بعض مَظَاهِرِ تلك الحياة الهانِئَةِ التي كانت عليها مملكة سَبَأٌ في عَهْدِها الزَّاهر فقال:

﴿لَقَدْ كانَ لِسَبأ في مسكنهم آية جنَّتَانِ عن يمينٍ وشمالٍ كلوا من رِزْقِ رَبِّكم واشكروا له بَلْدَة طيِّبَةٌ وربٌّ غفور. فأعرضوا فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ وبَدَّلْنَاهُم بِجنَّتَيْ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وإثْل وشيءٍ من سِدْرٍ قليل.

---

(1) الآية ٢٣ من سورة الزخرف المباركة.

ذلك جَزَيْنَاهم بما كَفَرُوا وهل نُجَازي إلاَّ الكَفُور﴾[1].

لماذا أحجم العرب عن الدخول في الديانتين؟

على أنَّ السَّبَبَ الرئيسي لاحجام العرب عن الدخول في الديانتين اليهودية والمسيحيَّة يكمن ـ كما أشرنا قبلاً ـ في نزوع العرب إلى الحرية والاستقلال ورفضهم الخضوع للسياسات الخارجية والاستسلام لها.

وقد بدا واضحاً أن جميع المعارك التي وقعت بين العرب أنفسهم مِمَّن اتبعوا هاتين الديانتين كانت تُفْرَضُ عليهم فرضاً تبعاً لِتَقَلُّبِ الأوْضَاعِ والموازين الدوليَّةِ في ذلك الوقت. وقد عمل على إشعال نيران تلك الحروب وإذكائها وتأجيج أوارها كل مِنْ البيزنطيين من جهة والفرس من جهة أخرى وكانا طَرَفَيْ الصِّراعِ الحقيقِيَّيْنِ في المنطقة العربية كلها لفرض السَّيْطَرَةِ عليها.

أبْرَهَة والهجوم على الكعبة

فقد أَخَذَ البِيزَنطِيُّون ينشرون الديانة المسيحية بعد أن أعتَنَقَها أباطِرَتُها من أجلِ مَدِّ نفوذهم السياسي إلى البلاد العربية من اليمن إلى سوريا والعراق معتمدين في ذلك على الحَبَشَة. وأَدْرَكَ الفُرْسُ حقيقة البيزنطيين وفهموا جيداً ما تَرْمي إليه سياستهم فراحوا يَعْتَمِدُون على اليهود كعملاء سياسيين لهم ويَعْمَلُونَ على نشرِ اليهودية. وقد حاول (أبْرَهَة) القائد الحَبَشِي عند هجومه على ذي نواس في اليَمَن أن يَنْشُر المسيحيَّة في كل أرجاء الجزيرة كتمهيد لبسط السيادة البيزنطيَّة. فتودَّد إليهم وحاول إغراءهم، فبنى في مدينة صنعاء كنيسة ضخمة سماها

---

(١) الآيات ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧. من سورة سبأ المباركة.

القليس، بالَغَ في تشييدها وزخرفتها وزينتها لتجذب قلوب العرب إليها عوضاً عن مكة. وحَثَّهم على الحجِّ إليها بدلاً من الحج إلى الكعبة بمكة. ولكن محاولاته أخفقت وباءت بالفشل الذَّريع. فقد اعتبر العرب أن الكعبة مكان مركزي لآلهتهم وأن الحج إليها مظهر لعباداتهم القومية وقد بناها إبراهيم وابنه اسماعيل جدًّا العرب.

وهنا اغتاظ أبرهة كثيراً من عدم الاستجابة لطلبه سيَّما بعد أن تعرضت تلك الكنيسة لانتهاكات مشينة. فحاول تدمير الكعبة وتقويض بنيانها وقاد جيشاً لهذا الغرض كان الفيل في مَقَدِّمته ولهذا سُمِّيَ ذلك العام بعام الفيل[1].

بين أَبْرَهَة وعبد المطلب

كان الفيل سلاحاً جديداً أدخله الأحْبَاش في حروبهم ولم يكن العرب تسمع به من قبل فتخوَّفوا منه. وظلَّ أبْرَهةُ مواصلاً زحفه باتجاه مكة حتى صار على بعد بضع مئاتٍ من الأمتار منها فعسكر بجيشه هناك ثم أرسلَ طلائعه لاستكشاف المكان وزوَّدها بتعليمات عن السؤال ومعرفة سيدها وصاحب الأمر فيها. فذهبت واستطلعت فكان الجواب أن عبد المطلب ـ جد النبي ـ هو سيد مكة وصاحب الكلمة فيها. وتجمع الروايات على اختلافها على أن طلائع أبرهة كانت بقيادة رجل اسمه حَنَّاطة الحميري، فلما دخل على عبد المطلب قال له:

«يقول لك أَبْرَهة أنه لم يأتِ لحربكم وإنما جاء ليهدِمَ البيت فقط. وقد أَمرني أن آتيه بك وهو الآن بانتظارك».

---

(١) وهو العام ٥٧١ من السنة الميلادية.

ولما دخَل عبد المطلب على أَبرهَة ـ وكان قَدْ أُخبر بأن رجال أبرهة قد أخذوا كل ما وجدوه في طريقهم من الإبل والأغنام وكان بينها مئتا بعير لـه ـ قـال أبْـرَهَـة لتـرجمـانـه: سلـه مـاذا يـريـد؟ . . فقـال عبد المطلب: هذا بيت الله الحرام. وبيت خليله إبراهيم. فإن يَمْنَعْك منه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلِّ بينك وبينه فوالله ما عندنا دَفْعٌ عنه. ثم قال للترجمان: قل لسيِّدِك أنْ يَرُدَّ عليَّ ٢٠٠ بعير التي أخذها رجاله مني. فلما أبلغ الترجمان أَبْرَهة بذلك قال له:

«لقد سقط هذا الإنسان من عيني وكان قد أعجبني حين رأيته. أَمَّا بعد أنْ كلَّمني فقد زَهِدْتُ فيه لأنه يطلب ٢٠٠ بعير ويترك البيت الذي هو دينه ودين آبائه».

فقال عبد المطلب للترجمان بعد أن أَخْبَره: «أنا ربُّ الإبل ولذلك أُطالبُ بها أما البيت فإنَّ له رَبَّاً يَرُبُّه وسَيَمْنَعُهُ ويحميه» فقال أبرهة: ما كان البيت ليمتَنِع مني! . . فقال عبد المطلب: أَنت وذاك وسنرى! .

ثم رد أبرهة لعبد المطلب إبِلَه ومضى في تحقيق غايته.

لكن الله عزَّ وجل كان قد هَيَّأ الكعبة المشرَّفة لعبادته وتوحيده كما دعا لذلك سيدنا إبراهيم وبناها على هذا الأساس، لا كما أرادها العرب من بعده مركزاً للشِّرك ومكاناً لعبادة الأصنام ـ وطهَّرها النبي محمد(ص) بعد ذلك ـ فكان الله تعالى لأبرهة بالمرصاد فَصَدَّه عنها وهزَمَ جيشه بعد أن وقف كل العرب في وجهه وأنزل الله تعالى في ذلك سورة الفيل:
﴿أَلَمْ تَرَ كيف فعَلَ رَبُّك بأصْحابِ الفيل ألم يجعل كيدَهم في تضليل ـ وأَرْسَلَ عليهـم طيـراً أبـابيـل ـ تـرميهـم بحجـارةٍ مـن سِجيِّـل ـ فجعلهـم

كعصف مأكول﴾[1].

العرب والكعبة المشرفة

وهكذا فشلت الحملة على الكعبة فبقيت صامدةً شامِخةً بأمرِ ربِّها وجعل الله كَيْدَ الأَحْبَاشِ في تضليل فانهزموا وانتصرت قريش وعظمت في أعين العرب ومات أبرهة في الطريق.

لعبت الكعبة المشرَّفة دوراً أساسياً في حياة العرب وعملت على توحيدهم وتآلفهم وجمع كلمتهم. وكانت على الدوام موضع إجلالٍ واحترام وتقديس من قبائل العرب جميعها على اختلاف عقائدها وعباداتها. يفدون إليها في موسم الحج من كل حدبٍ وصوب ويعقدون فيها خلال الأشهر الحرم اجتماعات مركزيَّة يتعارفون فيها ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويعقدون المجالس الأدبيَّة والندوات، يحلون فيها مشاكلهم ويتداولون في أوضاعهم الاجتماعية والسياسية والدينية ومختلف النشاطات الثقافية والفكريَّة. وقد كرَّم الله تعالى الكعبة المشرَّفة في كثير من الآيات القرآنية فقال: **﴿إن أوَّل بيتٍ وُضِعَ للناس لَلَّذِي بِبَكَّةَ مباركاً وهدى للعالمين ـ فيه آيات بَيِّنَات مقام إبراهيم ومن دَخَلَه كان آمناً ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وإذ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾**[4] وغير ذلك من الآيات الشريفة.

---

(١) سورة الفيل المباركة.
(٢) الآيتان ٩٦ ـ ٩٧ من سورة آل عمران المباركة.
(٣) الآية ١٢٥ من سورة البقرة المباركة.
(٤) الآية ٢٦ من سورة الحج المباركة.

وقد حَظِيَتِ الكعبة بهذه المنزلة الرَّفيعة من الإجلال والتعظيم منذ أنْ بناها سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل على التَّقْوى بِنِيَّةٍ صادقَةٍ ونفسٍ شريفةٍ وإخلاصٍ لله تعالى غير محدود. والله تعالى يقول: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوى مِنْ أوَّل يَوْم أحقُّ أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يُحِبُّون أن يتطَهَّرُوا والله يُحبُّ المطَّهرين﴾[1] وقد دعا سيدنا ونبيُّنا إبراهيم لدى بناء الكعبة ربَّه قائلاً:

﴿ربنا إِني اسْكَنْتُ من ذُرِّيتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المُحَرَّم ـ ربَّنا ليقيموا الصَّلاة فاجْعَل أَفْئِدَةً من الناسِ تَهوي إليهم وارزقهم من الثَّمَرات لَعَلَّهم يَشْكُرُون﴾[2].

وقد استجاب الله تعالى دعاءه فجعلها مكاناً آمناً لمن دخله.

منزلة إبراهيم في الإسلام

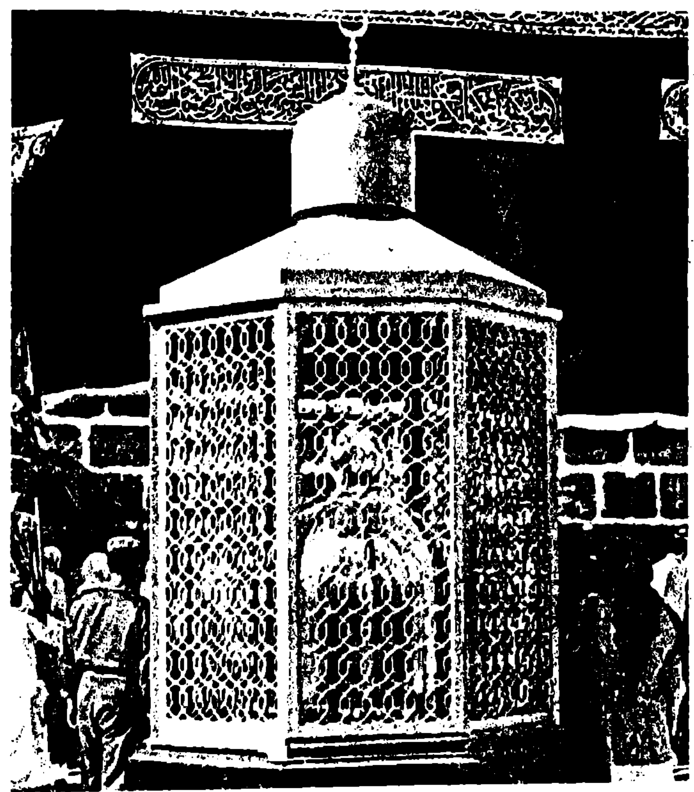
كان سيدنا إبراهيم ذا مكانة رفيعة عند الله تعالى وهو أول المسلمين وأبو الأنبياء وصاحب أوَّلِ صلاةٍ يقول فيها وهو خاشع بين يدي ربِّه: ﴿إني وجَّهْتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[3]. ويقول في مكان آخر: ﴿إنَّ صلاتي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأَنا أَوَّلُ المسلمين﴾[4].

وقد كان إبراهيم قانِتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً

---

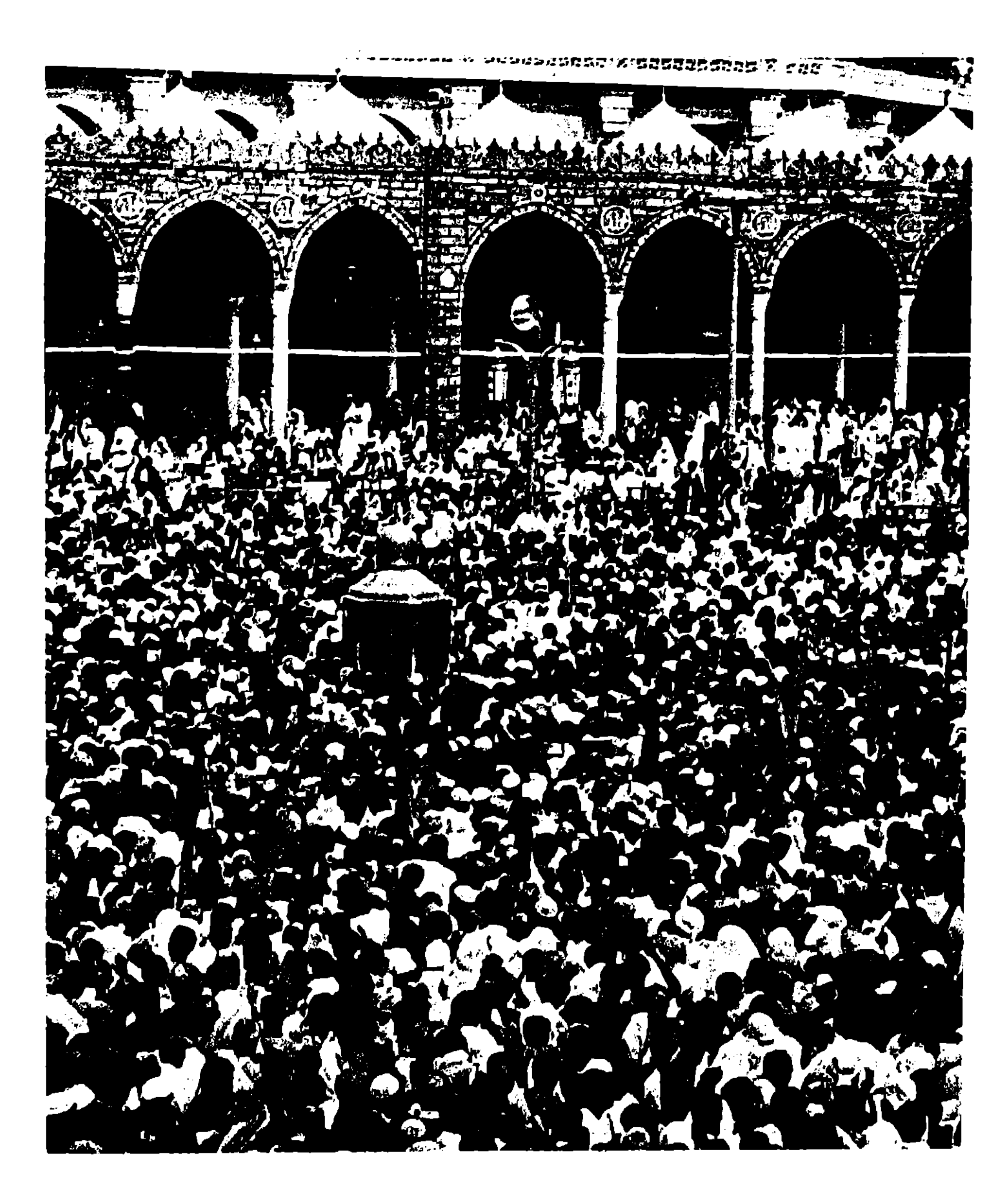
(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة المباركة.
(٢) الآية ٣٧ من سورة إبراهيم المباركة.
(٣) الآية ٧٩ من سورة الأنعام المباركة.
(٤) الآيتان (١٦٢ ـ ١٦٣) من سورة الأنعام المباركة.

لأنعمه اجتَبَاهُ وهداه إلى صراطٍ مستقيم ـ ﴿وآتيناه في الدنيا حسنةً وإنَّه في الآخرة لَمِنَ الصالحين﴾[1] وأنْبِياءُ الله تعالى كُلُّهُم كانوا على مِلَّةِ إبراهيم التي هي مِلَّةُ التَّوْحِيد وتَنْزيه الله تعالى عن الشريك. والتوحيد هو أَصْلُ الدِّين وأَسَاسُه. وأُصول الدين كلها لا تَتَغَيَّر ولا تتبدَّلُ في الشَّرائع وفيها يَنْدَرِجُ المَبْدَأُ والمعادُ والحَشْرُ والجَزَاءُ وغير ذلك. وجميعُ الأنبياء من إبراهيم إلى نبيِّنا محمد(ص) كانوا يتحركون ضمن هذه الدائرة. دائرةِ التوحيد الذي هو الهُدى المُطْلَق. وقد أَمَرَ الله تعالى محمداً باتِّباعِ إبراهيم بقوله: ﴿ثم أَوْحَيْنَا إليْكَ أَن اتَّبع مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين﴾[2].



مقام إبراهيم

(١) الآيات ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ من سورة النَّحْل المباركة.
(٢) الآية ١٢٣ من سورة النَّحْل المباركة.



الحجاج عند مقام إبراهيم بالبيت الحرام

الحنيفيّة ملة إبراهيم

عرفت الحنيفيَّةُ التي هي مِلَّةُ إبراهيم انتشاراً ملحوظاً في مختلف البلاد العربية ومشت جنباً إلى جنب مع اليهودية والنصرانيَّة وكان أتباعها من الطبقة المثقَّفةِ الذين آمنوا بوحدانية الله وتنزيهه عن الشريك ونبذوا الأصنامَ وقَدَّسُوا الكعبة ودعوا إلى التخلص من عاداتِ الجاهلية كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر ونبذ عبادة الأوثان.

وكانوا منتشرين في كل البلاد التي مرَّ بها إبراهيم في رحلته التوحيدية الميمونة من العراق إلى سوريا وفلسطين ومصر والجزيرة العربية. إلا أن هذه المِلَّة أو الدعوة كانت تمهيدية للدعوات الأخرى والرسالات السماوية التي جاءت بعدها ولهذا فهي لم تعالج مشاكل الإنسان ولا أساليب حياته. كذلك فإنها لم تتطرَّق إلى النواحي الإجتماعيَّة وعلاقاتِ النَّاس بعضهم ببعض، ولا هي حَوَتْ نظاماً أو دستوراً أو شرائع كما كان لليهودية والنَّصرانية وكما كان للإسلام فيما بعد. ولذلك لم يتقبلْها العرب بأعدادهم الكبيرة ولم يُقْبلوا عليها إقبالهم على الديانات السماويَّة الأخرى.

رُوّادُ المدرسة الحنيفيّة

شكَّل أتباعُ الحنيفيَّة مدرسة كبيرة كان فيها الأدباء والمفكرون والزُّهَّادُ والشعراء الكبار نَذْكُرُ منهم:

اسْعَد أبو كَرْب الحِمْيَري

الذي شمل سُلْطانُه جميع أنْحاءِ جنوب الجزيرة والذي جَعَلَتْه الحنِيفيَّة يُؤمِن بالنبي محمد(ص) قبل أن يُبْعَثَ بأكثر من قَرنين ونصف القرنِ من الزَّمن وقال في أحد أشعاره:

شَهِـــدْتُ علـــى أحْمَـــدٍ أنَّـــهُ ... رَسُـــولٌ مِـــنَ الله بـــارِي النَّسَـــمْ
فَلَـــوْ مُـــدَّ عُمْـــري إلـــي عُمْـــرِهِ ... لَكُنْـــتُ وزيـــراً لَـــهُ وابْـــنَ عَـــمْ
وأُلْـــزِمُ طـــاعَتَـــهُ كُـــلَّ مَـــنْ ... علـــى الأرْضِ مِـــنْ عَـــرَبٍ أَوْ عَجَـــمْ

وقد أوصى هذا الملك أولاده وولاته بتطهير الكعبة وألاَّ يُقرِّبوها دماً ولا ميتةً ولا مِئلاةً وجعل لها باباً. ويروي الإخباريون له هذه الأبيات بعد أن كسا الكعبة:

وكسَـــوْنـــا البَيْـــتَ الـــذي حَـــرَّم الله ... مُـــــلاءً مُنَضَّـــــداً وبـــــرودا
فـــأَقَمْنَـــا بـــه مـــن الشَّهْـــرِ عَشـــراً ... وَجَعَلْنـــا لِبَـــابِـــه إقْلِيـــدا
ونَحَـــرْنـــا بـــالشِّعْـــب سِتَّـــةَ أَلْـــفٍ ... فَتَـــرى النَّـــاسَ نَحْـــوَهُـــنَّ وُرُودا
ثـــمَّ سِـــرْنـــا عَنْـــهُ نَـــؤُمُّ مَهيـــلا ... فَـــرَفَعْنَـــا لـــواءَنـــا مَعْقُـــودا

وقالت سُبَيْعَةُ بِنت الأجب بن زبينه لإبْنٍ لها اسمه خالد تُعَظِّمُ عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتَذْكُر تُبَّعاً فتقول:

أَبُنَـــيَّ لا تَظْلِـــم بِمَكَّـــةَ ... لا الصغيـــرَ ولا الكبيـــرْ

واحْفَظْ مَحَارِمَها بُنَيَّ ... ولا يُغرَّنْكَ الغُرور
أُبَنَيَّ من يَظْلِمْ بِمَكَّة ... يَلْقَ أطراف الشُّرور
أُبَنَيَّ يُضْرَبُ وَجْهُهُ ... وَيَلُحْ بِخَدَّيْهِ السَّعِير
أُبَنَيَّ قَد جَرَّبْتُها ... فَوَجَدْتُ ظَالِمَها يَبُورْ[1]
اللهُ آمَنَها وَمَا ... بُنِيَتْ بِعَرْصَتِها قُصُورْ
واللهُ آمَنَ طَيْرَها ... والعُصْمُ تَأمَنُ في ثبير[2]
ولَقَدْ غزاها تُبَّعٌ ... فَكَسَا بَنِيَّتَها الحَبير[3]
وأَذَلَّ رَبي مُلْكَه ... فيها فَأوفي بالنُّذُور
يَمْشي إليها حافياً ... بفنائها ألفا بَعير
وَيَظَلُّ يُطعِمُ أَهْلَها ... لَحمَ المهارِي والجَزُور[4]
يَسْقِيهُمُ العَسَلَ المصَفَّى ... والرَّحيضَ من الشَّعِير[5]
والفيل أهْلَك جيشه ... يُرْمَوْنَ فيها بالصُّخور
والملك في أَقْصَى البلادِ ... وفي الأعاجم والخَزير[6]
فاسْمَعْ إذا حُدِّثْتَ وافْهَمْ ... كيفَ عاقِبَةُ الأمور[7]

وكان تُبَّع هذا إذا قَدِمَ مَكَّةَ طاف بالبيت ونَحَر عنده وحَلَقَ رأسَه، وأقام فيها ستة أيام يَنْحَرُ بها للناس ويُطعِمُ أهْلَها ويسقيهم العسل المصَفَّى. وقد أرِيَ في المنام أنّه يكسو البيت فكَسَاهُ الأنْطاع والبرود.

(١) يبور بمعنى يهلك.
(٢) العُصْم بمعنى الوعول لأنها تعتصم في الجبال. وثبير أحد جبال مكة.
(٣) بنيَّتها بمعنى الكعبة والحبير ضرب من ثياب اليمن الموشَّاة.
(٤) المهاري: الإبل الضراب النَّجيبة.
(٥) الرَّحيض: المصفَّى.
(٦) الخزير: هم الخزر إحدى أمم العجم.
(٧) راجع سيرة ابن هشام الجزء الأول ص٢٧.

زَيْد بن عمرو بن نُفَيْل:

وهو ابن عم الخليفة عمر بن الخطاب. لم يَدْخُل في يهودية ولا نَصْرانية وفارق دين قومه فاعْتَزَل الأوثان والميتَةَ والدَّمَ والذَّبائِح التي تُذْبَحُ على الأَوثان ونهى عن قَتْلِ الموءودةِ وقال أَعْبُدُ ربَّ إبراهيم وبادى قومَهُ بِعَيْبِ ما هُمْ عليه: وكان يُسْنِدُ ظهْرَهُ إلى الكعبة ويقول:

يا معشر قُرَيْش: والذي نَفْسُ زَيْد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غَيْري ثم يقول: اللَّهمَّ لو أني أَعْلَمُ أيَّ الوجوهِ أَحَبُّ إليك عَبَدْتُك به. ولكني لا أَعْلَمُه. ثم يَسْجُد على راحلته: وقيل: إن النبي(ص) قال: إن زيد بن عمرو يَبعثُ أُمَّةً وحده. وقال في فراق دين قومه وما كان لقي منهم في ذلك.

أَرَبّـــاً واحِـــداً أمْ أَلْـــفَ رَبٍّ	أديـــنُ إذا تَقَسَّمَــتِ الأُمُـــورُ
عَـزَلْـتُ الـلاَّتَ والعُـزَّى جميعـاً	كـذلـك يَفْعَـلُ الجَلْـدُ الصَّبُـورُ
فــلا العُـزَّى أَديـنُ ولا ابْنَتَيْهـا	ولا صَنَمَـيْ بَنـي عَمْـرٍ أَزُورُ
ولا هُبَـلاً أديـن وكـان رَبّـاً	لَنَـا فـي الـدَّهْـر إذْ حِلْمِـي يَسِيـرُ
عَجِبْـتُ وفـي اللَّيـالـي مَعْجِبـاتٌ	وفـي الأَيَّـام يَعـرِفهـا البَصيـرُ
بـأنَّ اللهَ قَـدْ أَفْنَـى رِجـالاً	كثيـراً كـان شـأنَهُـم الفُجُـورُ
وأبقـى آخـريـنَ ببـرِّ قَـوْمٍ	فَيَـرْبِـلُ مِنْهُـمُ الطِّفْـلُ الصَّغيـر
وَبَيْنَـا المـرْءُ يَفْتِـرُ ثـابَ يَـوْمـاً	كمـا يَتَـرَوَّحُ الغُصْـنُ المطيـرُ
ولكـنْ أَعْبُـدُ الـرحْمـنَ ربـي	لِيَغْفِـرَ ذَنْبِـيَ الـرَّبُّ الغَفـورُ
فَتَقْـوَى الله ربِّكُـم احْفَظُـوهـا	مَتـى مَـا تَحْفَظُـوهَـا لا تَبُـوروا
تَـرَى الأَبْـرارَ دارَهـم جِنَـانٌ	ولِلكُفَّـارِ حـامِيَـةٌ سَعِيـر

وخِــزْيٌ فــي الحيــاةِ وإن يمــوتــوا يُــلاَقُــوا مــا تَضِيــقُ بــه الصُّــدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل أيضاً:

وأَسْلَمْــتُ وَجْهــي لِمَــنْ أَسْلَمَــتْ لَــهُ الأرضَ تَحْمِــلُ صَخْــراً ثِقــالا
دَحَــاهَــا فَلَمَّــا رآهَــا اسْتَــوَتْ علــى المــاءِ أَرْسَــى عليهــا الجبــالا
وأَسلَمْــتُ وَجْهِــي لِمَــنْ اسْلَمَــتْ لــه المُــزْنُ تَحْمِــلُ عَــذْبــاً زُلالا
إذا هـــي سيقَـــتْ إلـــى بَلْـــدَةٍ أطــاعَــتْ فَصَبَّــت عليهــا سِجــالا

وخرج من مكة يطلبُ دين إبراهيم(ع) ويسألُ الرُّهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها. ثم أقبل فجال الشام كلَّه حتى إذا توسَّط بلاد لخم عَدَوْا عليه فقتلوه.

ورقة بن نَوْفَل بن أسد

هو ابن عم السيِّدة خديجة بنت خويلد. وقد رَغِبَ عن عبادة الأصنام. وقد حدثته خديجة بما أخبرها به رسول الله(ص) من نزول الوحي فقال ورقة: قُدُوسٌ قدوس. والذي نفس ورقه بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه لنبي هذه الأمة فقولي له فَلْيَثْبُتْ. فرجعت خديجة إلى رسول الله(ص) فأخبرته بقول ورقة بن نوفل. فلما قضى رسول الله(ص) جِوارَه وانصرف، صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فَلَقِيَهُ ورقة وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي: أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره رسول الله(ص) فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى: ولَتُكَذَّبَنَّهْ، وَلَتُخْرجَنَّهْ، ولَتُقَاتلنَّهْ. ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يَعلَمُه ثم أدنَى

رأسه منه فقبّل يافوخَهُ[1].

لقد آمن ورقة بن نوفل بالنبي(ص) قبل البعث وقال عندما أخبرته خديجة:

لَجِجْتُ وكُنْتُ في الذكرى لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيجا[2]
وَوَصْفٍ مِنْ خَديجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طالَ انْتِظَاري يا خَديجا
بِبَطْنِ المكَّتين على رَجائي ... حَدِيثَك أنْ أرى مِنْهُ[3] خُرُوجا
بما خَبَّرْتنا من قولٍ قَسٍّ ... مِنَ الرُّهْبان أَكْرَهُ أنْ يَعُوجا
بأنَّ مُحَمَّداً سَيَسُودُ فينا ... وَيخصِمُ من يَكونُ له حجيجا
وَيظْهَرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ ... يُقيمُ به البَرِيَّةَ أنْ تموجا
فَيَلْقَى مَنْ يُحارِبُه خَساراً ... وَيَلْقَى من يُسَالِمُه فُلُوجا[4]
فَيَا لَيْتِي إذا ما كان ذاكُمْ ... شَهِدْتُ فكُنْتُ أوَّلَهم وُلُوجا
وُلوجاً في الذي كرهت قُرَيْشٌ ... ولو عَجَّتْ بِمَكَّتِها عَجيجا
أُرَجِّي بالذي كَرِهُوا جميعاً ... إلى ذي العَرْشِ إنْ سَفَلُوا عُروجا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غيرُ كُفْرٍ ... بمن يَختارُ مَنْ سَمَكَ البُرُوجا
فإنْ يَبْقُوا وأَبْقَ تَكُنْ أُمُورٌ ... يَضُجُّ الكافرون لها ضجيجا
وإنْ أهلك فكُلُّ فتىً سَيَلْقَى ... مِنَ الأقْدارِ مَتْلَفَةً[5] حَروجا[6]

(١) راجع السيرة الجزء الأول ص٢٥٤.
(٢) النَّشيج: البكاء مع الصوت.
(٣) منه: الضمير يعود على الحديث.
(٤) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.
(٥) متلفة: مهلكة.
(٦) السيرة المرجع السابق ص ١/ ٢٠٣.

سلمان الفارسي:

وكان مجوسِيّاً فتَنَصَّرَ، ثم تَرَكَ النّصرانية وراح يبحث عن العقيدة الحقة ورحل إلى الشام ثم إلى يثرب، ثم التقى بِمُحَمَّد(ص) بعد الهجرة واعتنق الإسلام وأضحى من مشهوري الصحابة، وهو الذي أشار بحفر الخندق، فحمى المدينة من هجوم الأحزاب وقد اشتهر بالزُّهد والتَّقَشُّف.

أُمَيَّة بن أبي الصِّلْت الثَّقَفِي:

كان يقول أشعاراً يصف فيها السماوات والأرض والشمس والقمر والملائكة. وذَكَرَ الأنبياء والبَعْث والنُشور والجنَّة والنار. وكان يُعَظِّم الله عزَّ وَجَلَّ ويوحِّدُه وهو الذي يقول:

الحمدُ لله لا شريكَ له ... مَنْ لَمْ يَقُلْها فَنَفْسَه ظَلَما

ووصَفَ أهل الجنة فقال:

فلا لَغْوٌ ولا تأثيمَ فيها ... وما فاهوا به لَهُمُ مُقيمُ

قسّ بن ساعدة الإيادي:

كان نصرانياً فترك. وظل لقبُ قس ملازماً له وهو صاحبُ الخُطْبَةِ المشهورة: أيّها الناس اسمعوا وعوا والتي يقول فيها: أَقْسَمَ قيسٌ بالله قَسَماً لا حانِثاً فيه ولا آثماً أنَّ لله ديناً هُوَ أَرْضَى مِنْ دِينٍ أَنْتُم عَلَيْه. وقَدْ تَرَحَّمَ عليه رسول الله(ص) فقال: رَحِمَ الله قسّاً إني لأرجو أن يبْعَثَهُ الله أُمَّةً وحْدَه[1].

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي الجزء الأول ص٧٠.

حاجة العرب إلى دين جديد

كان هؤلاء الرِّجال وغيرهم كثير روَّاد حركة إصلاحيَّة كبيرة ظهرت واتَّسَعَت قُبَيْلَ ظهور الإسلام بفترةٍ وجيزة. وقد تنادى العرب لإحياء دين إبراهيم كردَّة فعل مِنْهُم للتَّمَسُّكِ بشخصيَّتِهم وكياناتهم.

فقد اعتبروا المسيحيَّة غريبةً عنهم لأنَّها جاءت عن طريق الغزو الحَبَشي لليمن. والأحْبَاشُ أحلاف البيزنطيين، فهي إذن دين القُوَّة المستعمرة. كما اعتبروا اليهوديَّة ديناً خاصاً ببَني إسرائيل، وهؤلاء يَعْتَزُّون بِجِنْسِهِم، ويعتبرون أنْفُسهم شعب الله المختار ويحتقرون سائر الأجناس. وفوق هذا فهم عملاء للفرس ولهذا أعرضوا عن اليهوديَّة فلم تَلْقَ مِنْهم نجاحاً يُذْكَر. ولهذا شعروا أنهم بحاجةٍ لدين جديد يَحِلُّ مَحَلَّ هذه الديانات يكون أرقى منها وأكْثَر شمولية، وذا تعاليم سماويَّة تُبَدِّل نُظُم الحياة التي اعتادوها، وتُصْلِح الفَرْدَ والمجتمع، وتُرسي مبادىء الحق والحريّة والإخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية. كما شعروا أنهم بحاجة لنبيٍّ مصلح ومُرْشد جديد يوحِّدْهم ويؤلف بين قلوبهم ويقضي على العصبيَّة القبليَّة بينهم، ويقيم مجتمعاً واحداً ذا نظام سياسيٍّ واحد يزيل الحزازات القديمة وروح الثأر من النفوس.

الإسلام روح الجسم العربي

من هنا رأينا أنه ما إن ظهر محمد(ص) حتى رأيت الجزيرة العربية كلها هَبَّت للترحيب به وتَلْبِيَة دعوته الروحيَّة الجديدة التي هي الإسلام.

لقد وحَّد الدين الجديد كل العرب فأقبلوا عليه بِشَكْلٍ منقطع النظير وراحوا يدخلون في دين الله أفواجاً، وما هي إلا سنوات قليلة

حتى عمَّ الإسلام دنيا العرب كلها فعمل على خلق مجتمع عربي واحد، متوحد ومتماسك وأصبح الإسلام رسالة جديدة غيرت مجرى التاريخ وبدَّلت نظم الحياة وسمت بالإنسانية وارتفعت بكرامة الفرد والمجتمع.

ومحا الإسلام مظاهر البداوة في المجتمع العربي وأقام حضارة اجتماعية جديدة، وخلق شعوراً جديداً يقوم على الإيمان بمبادىء الحق والعدالة الاجتماعية والحرية والمساواة[1] وقد أبدى العرب حماسةً كبيرة للإسلام بعد أن نبذوا المعتقدات الأخرى فحموه وذادوا عنه وحملوه في قلوبهم وصدورهم ونَشَرُوه في كل أصقاع العالم.

الإسلام يقضي على العنصريّة القبليّة

شَكَّلَ الإسلام حلقةً تامَّة قائمةً بذاتها فصلَت بين ما مضى من تاريخ العرب وبين حاضرهم ومستقبلهم، وكان خاتمةً لعهد الظُّلم والطُّغيان التي مارسها عليهم الطّغاة المستعمرون. وقد فهم المسلمون حقيقة دينهم، دين التوحيد الدَّاعي إلى عبادةِ الله الواحد الأحد، وإلى تآخي المسلمين من العرب وغير العرب عملاً بما جاء في القرآن الكريم ﴿**إنما المؤمنون إخْوَة**﴾[2] وإلى نَبْذِ التَّفاخُر بالعنصرية، والتَّباهي بالمعصيَّة والأنساب عملاً بما جاء على لسان الرسول الكريم: (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)[3]. فقضى بقوةِ الإيمان على العنصريَّة والقبليَّة وساوى بين جميع الطبقات في المجتمع وجعل التفضيل للمؤمنين

---

(١) التاريخ الموحد للأمة العربية ـ المرجع السابق.

(٢) سورة الحجرات المباركة الآية رقم ١٠.

(٣) انظر كتابنا: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس الجزء الثاني ص١١ يراجع المؤلف بشأنها.

العاملين على خدمة الإسلام والمسلمين فأصبح الناس متساوين في الحقوق والواجبات، لا يستبد القوي بالضعيف ولا الغنيُّ بالفقير.

دين التوحيد والوحدة

وأخذ الإسلام طريقه بسرعة قياسية إلى العقول والصدور وتغلغل في النُّفوس واستقرَّ فيها عزيزاً منيعاً كريماً مُقدَّساً، فحرَّرَها من الأثرةِ والأنانية والأحقاد والتَّباغُض وأقام العدْلَ ميزاناً لأعمال النَّاس. فانتصَرَ للمظلوم من الظَّالم، واقتصَّ للمُعْتَدَى عَلَيْهِ من المُعْتَدي وللمسلوب من السَّالب، وأُقيمَ القَوَدُ والقصَاصُ لينالَ كل امرىءٍ عقابَه. فلا ظَلَمَة ولا ظالمون ولا مُتَحَكِّمون مُسْتَبِدُّون، ولا قياصرة ولا أكاسِرَة ولا أباطِرَة يَجْتاحون البشَرَ والحَجَر ويَحْرِقُونَ الحَرْثَ والنَّسْلَ ويهدمون المُدُنَ ويَبيعُونَ سُكَّانَها عبيداً في أَسْواقِ الرَّقيق.

وسادَت الشُّورَى مُسْتَضِيئَةً بآياتِ الله البيِّنات. أنَّه دين الإسلام، دين التوحيد الدَّاعي إلى عبادةِ الله الواحد الأحد المُنَزَّهِ عن الكفْؤ والشريك والصاحِبَةِ والوَلَدفلا أصنامَ ولا أوثان ولا جبَابِرَة يُزَيِّنُونَ رؤوسَهم بالتِّيجان وملابِسِ الأُرجوان المُحَلاَّةِ بالذَّهَبِ والياقوتِ والمرجان. لا شيء إلاَّ الدين القائم على الأخوَّة والمحبَّةِ والتَّسامُحِ والتآلُفِ والتَّعاوُن.

من الصين إلى بحر الظلمات

بهـذه العقيـدة السَّمْحَـاء اقْتَحَمَ العربُ البلادَ وساروا على اسم الله العظيـم لِتَحْـريـرهـا فـاتَّجهـوا نحـو الشَّـرق حتـى دَقُّـوا أبـواب الصيـن. ثـم اتَّجهـوا نحـو الغـرب حتـى وصلـوا إلـى شـواطـىء بحـر

الظُّلُمات[1]. فالجهادُ الذي آمنوا به كان خير وسيلةٍ لِنَشْرِ أَلْوِيَةِ الدِّين خَفَّاقَةً في مشارق الأرض ومغاربها.

وهذا الجهاد دفع بهم إلى خوض المهالك، وحَبَّبَ إليهم اقتحامَ ميادين القِتالِ بعد أن رَخَصتْ نُفُوسُهم في عيونهم وصاروا يؤْثِرون الموتَ في سبيلِ نُصْرَةِ الدِّين على الحياة التي هانت في أنظارهم، بل صاروا يَحْرِصُون على الموتِ لِتُكْتَبَ لَهُمُ الشَّهادة في سبيل الله وإعلاء كلمته ونشر الرِّسالة المجيدة.

المسلمون الأوائل

وقد هيَّأ الله تعالى لهذا الدين القديم في أيامه الأولى رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فكان الرَّعيلُ الأول منهم بقيادة سيِّد البشر محمد بن عبد الله(ص) يضمُّ أبطالاً غير عاديِّين كَحَمْزَة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وسعد بن عبادة وأبي دُجانة وضرار بن الأزوَر وغيرهم من القادة العظام الذين قاتلوا الكفار ونَصروا الإسلام وذادوا عنه وثَبَّتُوا أرْكانه، ثم كانت الفتوحات في عَهْدَي الخليفتين أبي بكر وعمر يقودها قادة كبار من أمثال أبي عبيدة بن الجرَّاح والمُثَنَّى بن حارثة الشَّيْباني وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة والمقداد بن الأسود وعمرو بن العاص وغيرهم.

اليهود في الجزيرة العربية

كان اليهود قد لَجَأوا إلى الجزيرة العربية ـ كما ذكرنا ـ بعد تشريدهم على يد القائد الروماني هدريان سنة ١٣٥م. بعد أن أحْرقَ

---

(١) بحر الظلمات هي التسمية العربية القديمة للمحيط الأطلسي.

الهيكل في القدس وحطَّمَ المعبد وهدَّم المدينة فاتجهت أعداد كثيرة منهم إلى الحجاز وتجمعوا حول يثرب وما جاورها. وأقاموا لهم تجمعات كبيرة فيها. وأهم القبائل اليهودية التي استوطنت هناك: بنو قريظة وبنو النَّضِير وبنو قينقاع، في حين كان فيها من العرب قبيلتان كبيرتان هما: الأوْسُ والخَزْرَج. وأصلهم من عرب الجنوب وقد هاجروا إليها من اليمن على أثر سَيْل العَرِم الذي حدث كما تقول الرِّوايات في عهد الملك الحِمْيَرِي شُمَّرْ يَرْعِشْ (٢٧٥ ـ ٣٠٠م).

لَمَّا قامت الخلافات بين الأوْسِ والخَزْرَج على زعامة المدينة وتَطَوَّرت إلى صدامات مسَلَّحة، دَخَلَت قبائل اليهود بينها تُؤَجِّجُ النَّار وتُضرمُ الفِتَن وتَمْلأ الصُّدور بالأحقاد والإحَن.

اليهود ينقسمون على أنفسهم

وبُغْيَة الإمعان في ذلك انقسم اليهود إلى قسمين على تَوافقٍ بينهم فكان بنو قَيْنَقَاع ولِفُّهُم حلفاء الخزرج. وبنو النضير وقُرَيْظة ولِفُّهُم حلفاء الأوس. وكانت إذا وقعت بين الأوس والخزرج خلافات بسيْطة أو فَرْدِيَّة انتهزها اليهود لتوسيع شُقَّتِها وإضرام نار الفِتَن بين القبائل وفُروعِها فَيَخْرُج بنو قَيْنَقَاع مع الخزرج ويخرج بنو النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل واحد من الفريقين حُلَفَاءَه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءَهم[1].

مشركو قريش في مواجهة الرسول(ص)

كان مشركو قريش قد آذوا النبي(ص) كثيراً في مكة، حتى قبل أن يجهر بدعوته، حين راح يُسَفِّهُ دينهم ودين آبائِهم ويدعوهم إلى نبذ

(١) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثاني ص١٨٨.

الأوثان وعبادة الله الواحد الأحد، فأظهروا عداوته وأغروا به سُفَهاءَهم وكذَّبوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، حتى ألجأوه إلى الاستخفاء في شعاب مكة ليصلي هو وابن عمه علي بن أبي طالب. ولما صدع بأمر الله تعالى وجَهَرَ بالدَّعوةِ زاد أذى المشركين له. ووثبت كل قبيلةٍ على من فيها من المسلمين فحبسوهم وعذبوهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحرّ، ثم راحوا يفتنونهم عن دينهم حتى اضطر رسول الله(ص) إلى تركِ مكة والهجرة إلى المدينة بعد أن أخبره الله تعالى بتآمر القبائل عليه حين نزل قوله تعالى عليه:

﴿وإذ يَمكرُ بك الذين كفروا ليثبّتوك أو يخرجوك ويمكرون ويَمْكُرُ الله والله خير الماكرين﴾[1] وكان رأي القبائل قد قرَّ على أن يؤخذ من كلٍّ واحدةٍ منها رجل مسلَّح بسيف حاد فيضربوه ضربه رجل واحدٍ فيتفرَّق دمه في القبائل ويضيع ولا يتسنَّى لأحد أن يطالب به. وأمر الرسول(ص) علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه تلك الليلة ثم خرج من مكَّة مهاجراً إلى يثرب، وقبل أن تغيب عنه معالم مكة التي احتضنت الوحي نظر إليها وقال:

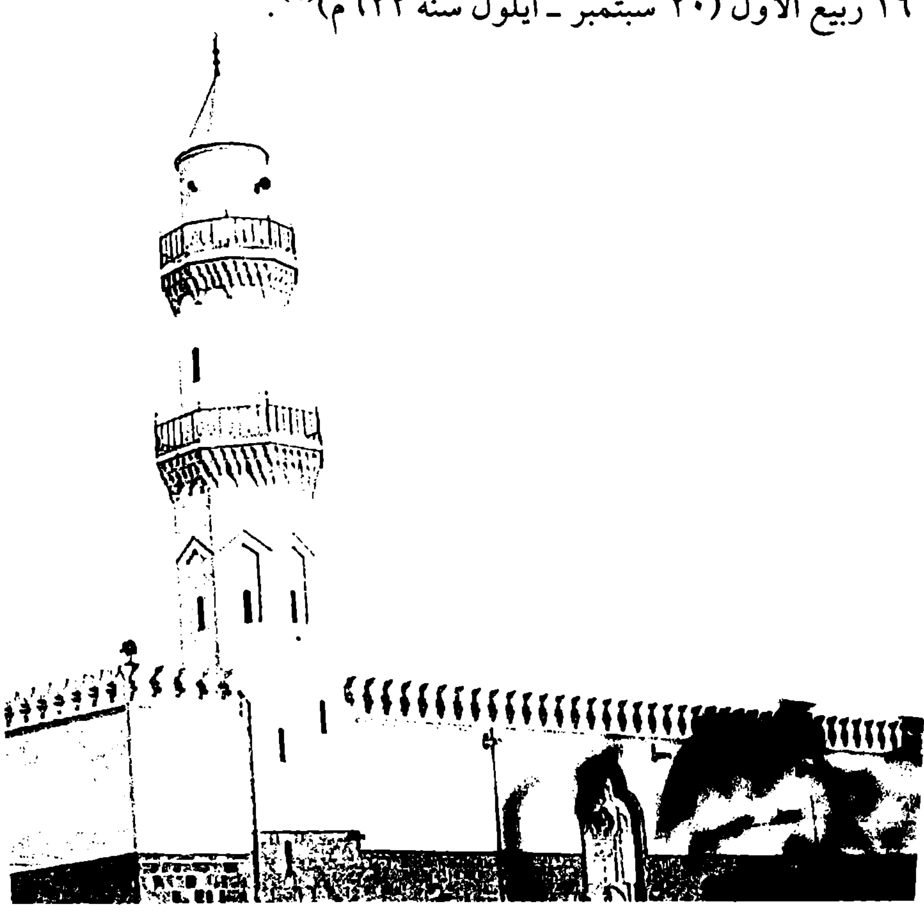
«والله يا مكَّة إنَّك أحبُّ البلادِ إليَّ ولولا أن ظلمني أهلُك وآذوني لما خرجت منك».

وراح الرسول(ص) وصحبه يُغِذون السير في تلك الأرض الوعرة الموحشة باتجاه المدينة حتى وصل وصحبُه إلى قُباء فحلَّ على عمرو بن عوف وبنى فيها مسجده الشريف. وبينما هم هناك لحق بهم علي بن أبي

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

طالب بعد أن كان قد رَدَّ الودائع التي كانت عند رسول الله(ص) لأصحابها من أهل مكة ثم سار الجميع باتجاه يثرب فوصلوا إليها في ١٦ ربيع الأول (٢٠ سبتمبر ـ أيلول سنة ٦٢٢م)[١].



مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام

(١) النفاق والمنافقون ـ المرجع السابق ص٧٧.
ونحب أن نشير هنا إلى أنه سنة ٦٢٢ ميلادية أقبل على رسول الله(ص) في مكة سرّاً ٧٣ رجلاً من أهل المدينة ودعوه إلى الهجرة إلى بلدهم واتخاذها موطناً له. فسألهم هل يدافعون عنه كما يدافعون عن أبنائهم فأقسموا أن يفعلوا، ولكنهم سألوه عمّا يجزون به إذا قتلوا في أثناء دفاعهم عنه فأجابهم بأن جزاءهم هو الجنَّة ـ راجع قصة الحضارة الجزء ١٣ ص٣٠



محراب مسجد قباء

الرسول(ص) في يثرب

عندما وصل الرسول(ص) إلى يثرب التي صارت تعرف باسم المدينة المنورة منذ مقدمه الشريف إليها ـ كان الإسلام قد سبقه إليها فأسلم كثير من أهلها من قبائل الأوس والخزرج وبعض اليهود، فألَّف الإيمان بين قلوبهم جميعاً وامَّحَتْ بدخول النبي(ص) معالم القبليَّة والعشائريَّة وزالت تَسْميتُها من الوجود واستقبلهُ أهل المدينة بالترحاب والأهازيج. وإذا بالأوس والخزرج يصبحون إخواناً وَيَنْضَوُون جميعاً تحت اسم الأنصار. ويؤاخي النبي(ص) بينهم وبين المهاجرين معه إلى المدينة من المسلمين لِيُذهِبَ عنهم وحْشَةَ الغربة ويؤنِسُهم من مفارقةِ الأهل والعَشِيرة ويشد أَزرهم بعضهم ببعض، فكان ذلك حدثاً اجتماعياً جديداً بالمدينة لم يكن لمجتمعها حتى ولا للعرب عموماً قبل الإسلام

عهدٌ به، فَقَوِّى إيمانهم وتَوثَّقت الروابط فيما بينهم واشتد ساعدهم في مواجهة الأعداء المشركين.

كان الرسول(ص) المقاوم الأول ضد اليهود

كانت تلك المؤاخاة أوّل صَدْمَةٍ تلقاها يهود المدينة فنزلت نزول الصاعقة عليهم وعلى أولئك الذين بقوا على كفرهم ممن لم يؤمنوا من الأوس والخزرج الباحثين عن الزعامات القبليّة المتعصِّبة وعلى الأخصِّ قبائل اليهود على اختلافها الذين أكل الحقدُ قلوبهم على رسول الله(ص) وأنصارِه من المسلمين فراحوا يحيكون الدسائس والمؤامرات ويعملون على خلق الفِتَن والنزاع بين الناس. ويوقظون الأحقاد والكراهية ويستذكرون حروب الجاهلية وراح شعراؤهم يرثون قتلى قريش في بدر كما تظاهر بعض أحبارهم بالإسلام رياءً ونفاقاً.

لقد أزعج اليهود كثيراً ظهور نبيٍّ عَرَبيٍّ من غير جنسهم، وفي أناسٍ غير أُناسِهم وهم الذين يعيشون على التَّرَفُّع عَمَّن سواهم ويحتقرون كل شعب غير شعبهم ويعتقدون أنهم وحدهم شعب الله المختار، وأنه فَضَّلَهم على جميع الشعوب. وكل الناس عندهم نوعان: يهود وغير يهوْد، ولا فرق في احتقارهم لشعب عن شعب طالما هو غير يهودي.

وكل من هو غير يهودي فهو باعتقادهم كافر، نجس، وثني، لا فرق بينه وبين البهيمة.

وفي التلمود أَن غير اليهود هم ملك لليهود، ولهم حقُّ التَّسَلُّطِ عليهم في أشْخَاصِهم وأَمْوالِهم ولذلك يرون أن قتل غير اليهودي أمْرٌ لا

يُعَاقَبُ عليه. ولذلك أيضاً استباحوا الكذب والنفاق والغِشّ وتدبير المكائِد والفتن لجميع العالم[1].

الرسول(ص) يبني مجتمع المدينة

عندما راح النبي(ص) ينظِّم مجتمع المدينة تنظيماً سياسياً واجتماعياً ويعمل على تدعيم الوجود الإسلامي الفاعل فيها، لينطلق بعد ذلك إلى الجهاد ضد قوى الشرّ المناوئة للإسلام والمكونة من مشركي قريش واليهود. قام بإجراءات عديدة ليوجد مجتمعاً إسلامياً موحداً ومتماسكاً. كان من بين تلك الإجراءات:

ـ المؤاخاة بين المسلمين التي تكلمنا عنها قبلاً، وبناء المساجد لإقامة الشعائر الدينية وإعداد النفوس المؤمنة.

ـ العمل على رصِّ الصفوف وجمع المسلمين في كتلة واحدة متراصة تكون نواةً لولادة جيش إسلامي قادر على حماية المسلمين ودحر أعدائهم.

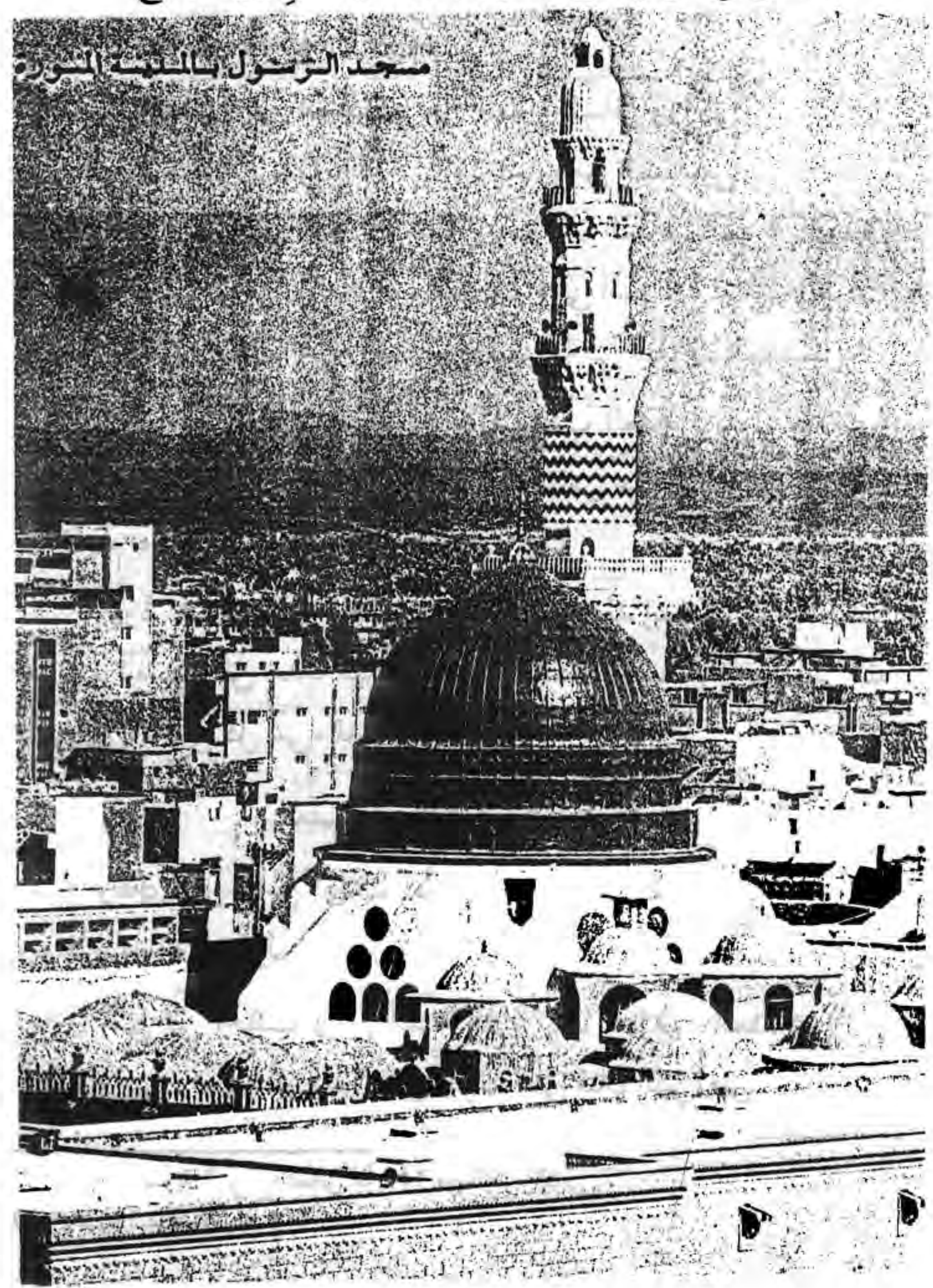
ـ إرسال المبعوثين من المسلمين الذين قوي الإسلام في نفوسهم وتَرَسَّخَ فيها، إلى خارج الجزيرة لشرح العقيدة ودعوة الناس للدخول في دين الله.

ـ كما عقد معاهدة مع اليهود لتحييدهم والتفرغ لنشر الإسلام وبناء الدولة والمجتمع. كانت تلك المعاهدة جامعة بحيث دخل فيها بالإضافة إلى قبائل اليهود المختلفة بعض من لم يؤمنوا من العرب

---

(١) النفاق والمنافقون المرجع السابق إبراهيم علي سالم.

وتخلَّفوا عن الإسلام. وكانت تلك المعاهدة تتضمَّنُ في بنودها عَدَمَ الاعتداء من أيِ طرفٍ على الآخر بُغْيَةَ إحْلالِ الأمْنِ بين الجميع.


مسجد الرسول بالمدينة المنورة

لكن لم يَمْضِ وقتٌ طويل على عَقْدِ تلك المعاهدة حتى أظهر اليهود عدم احترامهم لها فخرقوها بالاعتداء بالضرب على بعض المسلمين مغترِّين بِتَفَوُّقهم وغلبتهم.

ثم انضموا إلى المشركين في العداء السافر وراحوا يساعدونهم على إلحاق الأذى برسول الله(ص) وبأنصاره من المسلمين ويُزعجونهم ويُكْثرون من التَّشْويش على الرسالة وَيخْتلقُونَ المتاعب سواءٌ بالجدال العقيم والتَّعَنُّت وإظهار الوقاحة وقِلَّة الحياء في السؤال، أو بالمؤامرات وإشعال الفتن وإيجاد الفُرْقَة وَبَثِّ رُوح الهزيمة في صُفُوفِ المسلمين.

كان أَحْبَار اليهود هم الذين بَدؤُا بنصب العداء لرسول الله(ص) غيظاً وحسَداً. وكانوا يجهدون في ردِّ الناس عن الإسلام ويُثبِّطون عزائِمهَم بما استطاعوا[1] فأنزل الله تعالى فيهم:

﴿ودَّ كثير من أَهْل الكتاب لو يَرُدُّنكم من بَعْد إيمانِكم كُفَّاراً حَسَداً من عندِ أنْفُسِهم من بعدما تَبَيَّنَ لهم الحقُّ فَاعْفُوا واصْفَحُوا حتى يَأتي اللهُ بأَمْرِه إنَّ الله على كُلِّ شيء قدير﴾[2].

بعض أحبار اليهود ورؤساؤهم

وكان على رأسِ أولئك الأحبار جماعة من أشد خَلْقِ الله كذباً ونفاقاً وعداوة للرسول وأصحابه منهم:

حُيَيّ بن أَخْطَب رأس الفتنة الذي كان يحرِّض المشركين من قريش وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب على قتال النبي(ص) وقال له:

---

(١) السيرة النبوية المرجع السابق ص٢٥٥ من الجزء الثاني.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

«إن قومي وقريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعماية مقاتل وخمسين مقاتلاً وظل يحاور قومه من بني النضير ويغريهم على قتال محمد(ص) ولاسيما رئيس القبيلة كعب بن أسد حتى أقنعه وعند ذلك نقض كعب بن أسد عهده ومزَّق (الكتاب) الذي كان بينه وبين رسول الله(ص).

وكان منهم أيضاً أخوا حُيَي أبو ياسر وجُدَي وسلاَّم بن مشكم وكنانة بن أبي الحقيق وأخوه سلام أبو رافع الأعور الذي قتله أصحاب رسول الله(ص) في خيبر، وكعب بن الأشرف وزيد بن اللصيت وشأس بن عُدَي، ومالك بن عوف وكروم بن كعب ووهب بن يهوذا وكنانة بن صوربا وسلسلة بن برهام ورافع بن حريملة ورفاعة بن زيد بن التابوت وغيرهم.

عبد الله بن أبيّ ومسجد الضرار

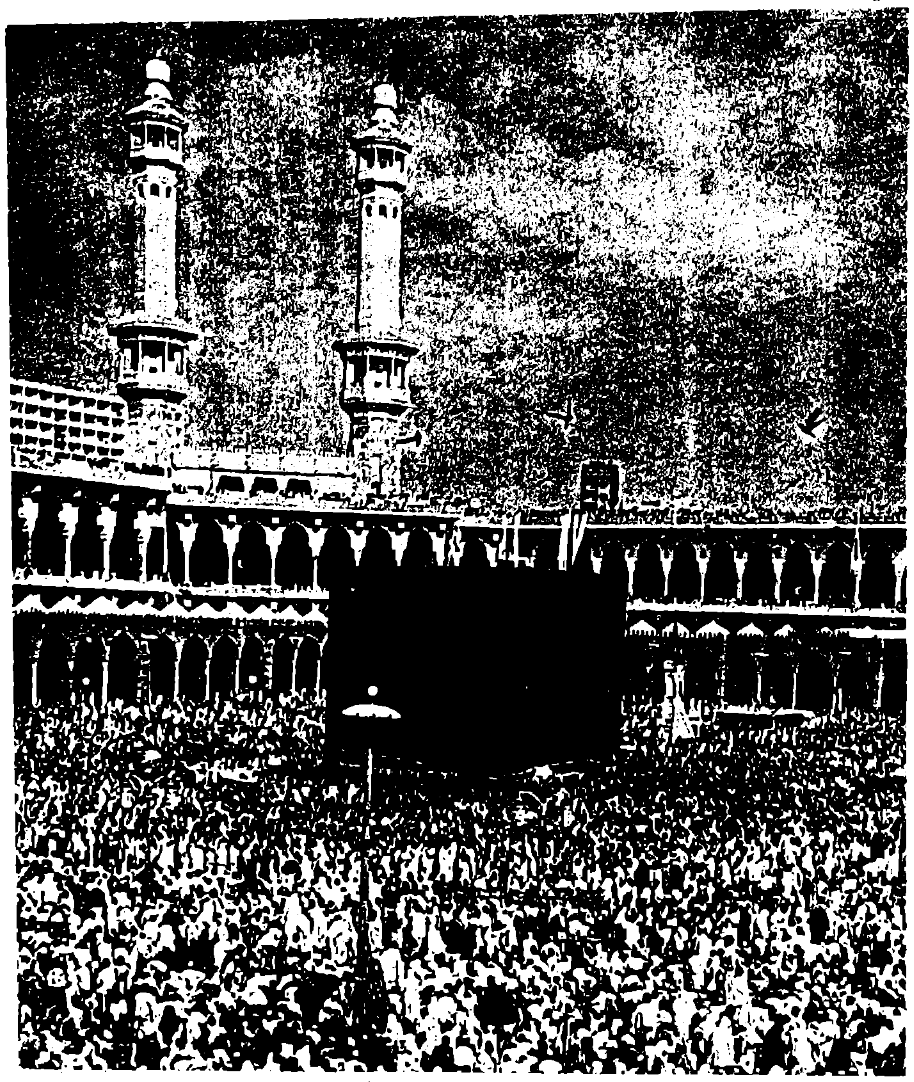
احتضن هؤلاء الأحْبَار وأتباعهم رؤساء المنافقين من العرب مثل أبي عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك أحد أقطاب الأوْس من بني ضبيعة وشجَّعُوه على بناء مسجد الضرار في مقابِل مسجد قباء[١] ليكون مركزاً للمنافقين من أعداء الإسلام ومكاناً لاجتماعاتهم للتآمر وتدبير المكائد ولكي لا يحضروا خلف الرَّسُول(ص) أوْ يُصَلُّوا وراءَه. كما زينوا لمنافقٍ آخر هو عبد الله بن أُبَيّ بن سلول العوفي ووعدوه بتقديم الدَّعْم المالي والمعْنَوي ومُسَاعدتِه على تَتْويجه ملكاً إنْ هُوَ وقَفَ في وجه محمد(ص) وحارب دَعْوتَه وأنْصَارَهُ.

---

(١) مسجد قباء هو أول مسجد بني في الاسلام ـ وقد دمَّر المسلمون مسجد الضرار وأحرقوه.

تحويل القبلة

وقد ثارت ثائرة اليهود واشْتَعَل الغيظ في نفوسهم أكثر ما يكون عند تحويل القِبْلَة من المسجد الأقصى في القدس إلى المسجد الحرام في مكة المشرفة؛ عندما أمَر الله تعالى نبيَّه محمداً(ص) بقوله:



الكعبة المشرفّة

﴿قَد نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّماء فَلَنُوَلِّيَنَّك قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسْجِد الحرام، وحيث ما كُنْتِم فَوَلُّوا وجوهَكم شَطْرَه، وإن الذين أُوتوا الكتاب لَيعْلَمُون أنَّه الحق من ربِّهم وما الله بِغَافلٍ عما يعملون﴾[1].

كان ذلك الحدث العظيم قبل موقعة بدر بحوالي شهرين، وكان اليهود يزعمون أمام المسلمين حينما يحاولون أن يَفْتِنُوهم عن دينهم أنَّ دينهم أفضل لأن الرسول يتبع قبلتهم ويتوجّه إليها عند كل صلاة.

وقد جاء إلى رسول الله(ص) على أثر تحويل القبلة جماعة من اليهود يَحْتَجُّون. كان في مُقدِّمتهم رفاعة بن قيس وكردم بن عمرو وكعب بن الأشرف والربيع وأخوه كنانة بن أبي الحقيق وغيرهم فقالوا:

«يا محمد! ما ولأَّك عن قِبْلَتِكَ التي كُنْتَ عليها وأَنْتَ تَزْعَم أنَّك على مِلَّةِ إبراهيم ودينه؟.. إرجع إلى قبلَتِك التي كنت عليها نَتَّبِعْكَ ونُصَدِّقْك». ثم أشاعوا على إثر ذلك أنهم قالوا: قد عاد محمد(ص) إلى طريقة آبائه واشتاق إلى دينهم ولو ثَبَت على قبلَتِنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبنا، الرسول المنتظر المُبَشَّرُ به في التَّوْراة[2].

وكان الله تعالى بما يقولون عليماً فأنْزَلَ تعالى:

«سَيَقُولُ السُّفَهاءُ من الناس ما وَلاَّهُم عن قِبْلَتِهِم التي كانوا عليها، قُلْ لله المشرقُ والمغرِبُ يَهْدي من يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم. وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسَطَاً لتكونوا شُهَداءَ على النَّاس ويكونَ الرَّسُولُ عليكم

(١) الآية الكريمة ١٤٤ من سورة البقرة المباركة.
(٢) راجع الفخر الرازي في تفسيره الجزء الثاني ص٣٠.

شَهِيدا ـ وما جَعَلْنَا القِبْلَةَ التي كُنْتَ عليها إلاَّ لِنَعْلَمَ من يَتّبَعُ الرَّسُولَ ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيْه وإنْ كانت لَكَبيرةً إلاَّ على الذين هَدَى الله، وما كانَ الله لِيُضيعَ إيمانكُم إنَّ الله بالنَّاس لَرَؤوفٌ رحيم»[1].

موقعة بدر ودور اليهود فيها

كان أول صدام مسلح وقع بين المسلمين ومشركي قريش وأعوانهم من اليهود في موقعة بدر في السنة الثانية للهجرة يوم أخذت المشركين العِزَّة بكثرتهم واغْتَرُّوا بأعدادهم الكبيرة المضافة إلى دعم اليهود الحاقدين ومساندتهم لهم وقد أنزل الله تعالى بذلك قوله: **﴿إذ يقولُ المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ غرَّ هؤلاء دينهم ومن يتوكَّل على الله فإن الله عزيزٌ حكيم﴾**[2].

عندما اطْمَأنَّ المنافقون والذين في قلوبهم مرض من اليهود إلى قوتهم قَذَفُوا إلى المعركة بحوالي ألف راجلٍ ودارع، يضاف إليهم أعداد كبيرة من الفِتْيَان والنِّساء يضربون بالدفوف ويُغَنُّون وَينْشدون أشعار الهجاء الجاهلي الذي يثير الحماس ويوغر الصدور ويملأها بالضَّغائن والأحقاد. في حين لم يكن عدد المسلمين سوى ٣١٣ رجلاً كما ذكر المؤرخون. وقبل احتدام المعركة بشَّرَ الرسول(ص) أصحابه بالنَّصْرِ فقال: (والله لكأني أنْظُرُ إلى مصارعِ القوم).

وكانت النتيجة كما تَوقَّع الرسول(ص) انتصاراً ساحقاً للمسلمين حيث قتلوا في تلك المعركة أئمَّة الكفر ورؤوس المشركين والمنافقين

---

(١) الآيتان الكريمتان ١٤٢ ـ ١٤٣ من سورة البقرة المباركة.

(٢) الآية الكريمة ٤٩ من سورة الأنفال المباركة.

وهزموهم شرَّ هزيمة. كما شَكَّلَ ذلك ضربة شديدةً قاسِيَة لليهود الذين كان قد راودهم الأمل الكاذب بالتَّغَلُّب على المسلمين والقضاءِ عليهم. فتحطَّمت أحْلامُهم على صَخْرةِ الإيمانِ الصلبة وداخَلَهُم الخوف والرعب.

وحُمِلَتْ تباشير النَّصْرِ بموقعة بدر إلى مكة وجوارها ففرح المسلمون وحمدوا الله على ذلك وأسلمت إثر ذلك أعداد كبيرة من الناس في مختلف مدن الجزيرة وراحوا يدخلون في دين الله أفواجاً.

تطهير المدينة من بني قينقاع

لما عاد رسول الله(ص) من معركة بدر ظافراً عظم ذلك على اليهود بعد أن فاجَأَتْهم النَّتائج وأذهلتهم فحاولوا تكذيبها فعمدوا إلى اختلاق الأكاذيب ثم جاهروا بكفرهم ونَقَضُوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله(ص). فجمعهم(ص) بسوق بني قينقاع وحَذَّرهم قائلاً: «إحذروا ما نزل بقريش وأسلموا فإنكم عرفتم أني رسول الله».

فقالوا: يا محمد لا يَغُرَّنَّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. إنا والله لئن حاربناك لَتَعْلَمَنَّ أنا نحن الناس. وعندها أنزل الله تعالى على رسوله(ص): ﴿**قل للذين كفروا سَتُغْلَبُون وتُحْشَرون إلى جَهَنَّمَ وبِئْسَ المهاد**﴾[1].

غير أن يهود بني قينقاع صَمُّوا آذانهم عن قول رسول الله(ص) وعَتَوْا واستكبروا استكباراً ولجأوا إلى حصونهم فاحتموا فيها. لكنَّ

(١) الآية الكريمة ١٢ من سورة آل عمران المباركة.

حصونهم لم تَمْنَعْهُم من أمر الله فغزاهم الرسول(ص) بجماعة من المسلمين يتقدمهم عَمُّه الحمزة بن عبد المطلب يحمل اللواء فحاصرهم خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه[1] وسلموا أنْفُسَهم وطَهَّرَ المدينة منهم[2].

حلف التآمر والغدر

كان هناك حلف قائماً بين بني النّضير من جهة يتزعَّمه اليهودي الحاقد حُييّ بن أخطب. وبين بعض من تخلّف عن الإسلام من الخزرج بقيادة عبد الله بن أبيّ من جهة ثانية. وقد ظهر التناغم واضحاً بين طرفي هذا الحلف على بعد الشِّقَّة بينهما منذ مقدم النبي(ص) إلى المدينة. ثم توثَّق بينهما بتعاونٍ كليّ في موقعتي بدر وأحد[3].

لكن بعد أن تغلب المسلمون على بني قينقاع وطردوهم من المدينة، ظهر هذا الحلف ثانية إلى العلن، وأُحكمت أواصر الصِّلة بين أطرافه، وراح كل فريق يعمل جهده على إلحاق الأذى بالرسول(ص) ومن معه من المسلمين.

تطهير المدينة من بني النضير

وكما فعل رسول الله(ص) ببني قينقاع قبل قتالهم فعل كذلك ببني النَّضير وكان هؤلاء قد أعانوا قريشاً في غزوة أُحُد وأمدوها بالرجال

(١) الكامل في التارخي لابن الأثير الجزء الثاني ص١٣٨.
(٢) قدَّرت الإحصاءات أن عدد بني قينقاع كان يومها نحو ٧٠٠ نفس.
(٣) كان التواطؤ واضحاً بين ابن أبي واليهودي رفاعة بن زيد بن التابوت وكان على صلة عظيمة به يدير معه المكائد وكان ابن أُبيّ قد قال ليهود من بني النضير: أُثبتوا وتمنَّعوا فإنا لن نُسْلِمكُم، وإن قُوتِلْتُم قاتلنا معكم. وإن خرجتم خرجنا معكم.

والسلاح في حربهم ضد محمد(ص) فذهب إليهم مع بعض أصحابه ليردعهم عن غيِّهم وينذرهم سوء العاقبة. فما كان منهم إلا أن همّوا بالغدر به حيث علا رجل منهم سطح البيت الذي كان الرسول(ص) يجلس بجوارِ جدارٍ منه وبيده صخرة كبيرة ليلقيها على الرسول(ص). ولكن الله أنقذه وأعْلَمه الحقُّ تعالى بما عزم عليه اليهود، فقام من تحت الجدار مظهراً أنَّه يقضي حاجته خوفاً من أن يفتك اليهود بأصحابه ثم غادر مسرعاً إلى المدينة. ثم التحق به أصحابه. وقد أنزل الله تعالى سورة الحشر في بني النضير.

بعد ذلك أرسل إليهم رسول الله(ص) أن اخرجوا من بلدي وقد هممتم بما هممتم به من الغدر[1]. ولكن حييّ بن أخطب مضى راكباً رأسه مصرّاً على عناده فأرسل إلى رسول الله(ص) يقول:

«إنا لن نخرج من ديارنا فافعلِ ما بدا لك» فكبَّر رسول الله(ص) وكبَّر معه المسلمون وقال: (حاربت يهود)[2]. ونادى مناديه بالسَّير إلى بني النضير فحاصرهم وتمَّ له النَّصر عليهم وأخرجهم من المدينة وذهبوا باتجاه خيبر وفيهم رؤساء الفتنة كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم.

وبهذا تكون المدينة قد طهرت من بني قينقاع ومن بني النضير ولم يعد فيها من اليهود سوى بني قُريظة[3].

---

(١) الذين كانوا مع الرسول هم: أبو بكر وعمر وعليٌ والزبير وطلحة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة.

(٢) في بعض المصادر (خربت يهود).

(٣) ساعد بنو قريظة أبا سفيان بن حرب قائد أحلاف قريش في حربه ضد محمد(ص) في وقعة الأحزاب ولما انتصر النبي(ص) عليهم خيَّرهم بين الإسلام والموت.

اليهود يتحوَّلون من أعداء سافرين إلى منافقين

على أثر انتصار المسلمين على بني النضير وبني قينقاع قبلهم، تدعَّمت قواعد الإسلام واشتد عوده وقوي ساعده، وأحس اليهود بالذل والإنكسار وشعروا أن لا طاقة لهم بالنَّيل من المسلمين، وعندها تحوَّلوا من أعداء سافرين إلى منافقين يعملون في الخفاء على حبك الدَّسائس والمكائد وإيقاد الفتن وتأليب النَّاس على محمد وأتباعه.

اليهود يُجيِّشون القبائل ضد الرسول(ص)

أمَّا رؤساؤهم مثل حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأخوه كنانه وهوذه بن قيس وأبو عامر الوائلي فراحوا يعملون علانية على تحزيب الأحزاب وتجميعها وتكتيلها وحشدها لقتال محمد(ص) وأصحابه. وتوجّهوا إلى مكَّة فاجتمعوا برؤساء قريش وحضُّوهم على الحرب والقيام بوجه الدين الجديد ومما قالوه لهم:

«سنكون معكم عليه حتى نستأصله». فقال لهم رجال قريش:

«يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأوَّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد! أفدينُنا خيرٌ أم دينه؟. فقالوا:

«بل دينكم خيرٌ من دينه وأنتم أوْلى بالحق منه».

ثم توجَّه أولئك النَّفر من اليهود إلى قبائل غطفان فذكروا لهم نفس ما قالوه لقريش ودعوهم إلى حرب الرسول(ص) وأكدُّوا لهم أنَّهم سيكونون معهم عليه[١]. ثم اتصلوا ببعض القبائل الأخرى مثل بني

(١) السيرة الجزء الثالث ص٢٢٦.

فزارة وبني مرَّة وبني أشجع وتهامة وكنانة وسواهم وراحوا يحضُّونهم على حرب الرسول(ص) حتى التخلّص منه.

وعلم رسول الله(ص) بالأمر فاستعدَّ له وضرب الخندق على المدينة.

أبو سفيان يقود قريش لمحاربة الرسول(ص)

كانت قريش قد حققت انتصاراً على المسلمين في معركة أُحُد؛ فلما جاءها وفد اليهود يحضُّها على حرب محمد(ص) استجابت له في الحال. ووُضعت خطة للمعركة أحكمت فصولها بدقة وعناية بالغة بين أبي سفيان بن حرب زعيم قبائل قريش وأحزابها وبين رؤساء الوفد اليهودي من بين النضير المتقدم ذكره تقضي تلك الخطة بالإحاطة بالمسلمين من كل جهة وجعلهم بين نار الأحزاب من الخارج ونار اليهود والمنافقين معهم من الداخل. وعلم رسول الله(ص) بالأمر فاستعدَّ له. وضرب الخندق على الجهة الشمالية من المدينة التي كانت مكشوفة أمام العدو لأنَّ الجهات الأخرى كانت محصَّنةً تحصيناً طبيعيّاً بالجبال والنَّخيل والبيوت[1]. وعمل رسول الله(ص) بيده الشريفة في حفر الخندق تشجيعاً للمسلمين واستنهاضاً لعزائمهم.

بنو قريظة ينقضون عهدهم مع رسول الله(ص)

لم يكتف اليهودي الحاقد حُيَيّ بن أخطب بتجّييش القبائل العربية وحضِّها على قتال رسول الله(ص) وأصحابه وإنما ذهب إلى يهود بني قريظة ودعاهم لحرب محمد(ص) ونقض معاهدتهم معه كما فعل مع

---

(١) راجع تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن الجزء الأول ص١١٧.

قومه من بني النضير من قبل.

وخاطب رئيسهم كعب بن أسد القُرظي قائلاً:

«ويحك يا كعب، جئتك بعزِّ الدَّهر وبِبَحْرٍ طامع. جئتك بقريش على قادتها وسادتها. وبغطفان على قادتها وسادتها، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتَّى نستأصل محمداً ومن معه»[1].

تردَّد كعب بقبول عرض حيي، بعد أن رأى رأي العين ما أصاب بني قينقاع وبني النضير من انكسار وهزيمة. ولكنَّ هذا ظلَّ يحاوره ويداوره ويفتله حتى أقنعه. فنقض كعب بن أسد عهده الذي كان بينه وبين رسول الله(ص).

عندما علم رسول الله(ص) بنقض المعاهدة، أرسل بعض أصحابه إلى بني قريظة ليستطلعوا حقيقة الأمر، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم لدرجة أنَّهم تجاهلوا رسول الله(ص) بالكامل وقالوا لأصحابه: مَنْ رسول الله؟.

لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد.

ولما أُخبر رسول الله(ص) بذلك قال:

«الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه».

هزيمة الأحزاب في غزوة الخندق

أَتَتْ قريش ومن تبعها من أعراب كنانة وتهامة ومرتزقة الأحباش وغيرهم في حوالي عشرة آلاف. ثم أتت غطفان ومن تبعهم من نجد

(١) السيرة النبوية الجزء الثالث ص٢٣٢.

ونزلوا بالقرب من أُحد. وتهيأ لهم الرسول(ص) في ثلاثة آلاف من المسلمين وجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع وحفر الخندق بينهم وبين المشركين[1] وتهيَّبت الأحزاب منظر الخندق فراحوا يطيفون به وكتب أبو سفيان إلى الرسول يعيِّره الاعتصام بالخندق ويهدده بيوم كيوم أُحُدْ ورد عليه الرسول(ص) معلناً إيمانه بنصر الله وتأييده وأن الغلبة ستكون له وللمسلمين كما ذكر البلاذري في أنساب الأشراف.

واشتدَّ البلاء على المسلمين وعظم الخوف وظهر النفاق ثم عبر بعض فرسان المشركين الخندق من ثغرةٍ كانت فيه وعلى رأسهم عمرو بن عبد ودّ العامري ـ الذي كان قد أصيب بجراح بليغة في بدر ولم يشارك في أُحُد ـ وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب وغيرهم. فواجههم الرسول(ص) وأصحابه. وبرز الإمام علي بن أبي طالب لعمرو بن ودّ العامري فصرعه[2] ثم ارتدَّ على رفاقه ففرُّوا من أمامه منهزمين بعدما ألقوا سلاحهم في ساحة المعركة. ففرح رسول الله(ص) كثيراً ثم قال لأصحابه: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم»[3].

وقد ساعدت الطبيعة رسول الله(ص) في القتال ضد الأحزاب من قريش والقبائل العربية فعصفت الرياح بمعسكرهم عصفاً شديداً اضطرتهم إلى العودة من حيث أتوا مهزومين مدحورين. وانقلب تحالف الأحزاب إلى هزيمة لهم بعد أن دام حصارهم للخندق ثلاثين يوماً.

(١) راجع تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني ص٥٠
(٢) السيرة النبوية الجزء الثالث ص٢٣٥.
(٣) المرجع السابق.

هزيمة بني قريظة

كان بنو قُريظة ومن لجأ إليهم من اليهود قد ساعدوا أبا سفيان في غزوة الخندق مساعدة فعَّالة فقدَّموا له المال والرِّجال والسلاح والمؤن.

فلما هُزِمَت الأحزابِ عَظُمَ الأمرُ كثيراً على بَني قريظة وأَحسُّوا بأن نهايتهم قد دنت وانتابهم القلق والخوف على المصير سيِّما بعد نقضهم للمعاهدة وانكشاف تواطئهم وتآمرهم مع المشركين. فتحصَّنوا في معاقلهم وأغلقوا أبوابها واستعدُّوا للقتال.

كان رسول الله(ص) وفور جلاء الأحزاب عن أرض المعركة ومغادرتهم باتجاه مكة قد عاد إلى المدينة ظهراً وهو مصمِّم على ضرب بني قريظة واستئصال شأفتهم لأنهم بؤرة الفساد والتآمر ويحيكون الدَّسائس بصورة مستمرَّة ضد الاسلام والمسلمين وضد النبي الكريم(ص) بصفة خاصَّة. فأَمَر بلالاً أن يؤذِّن في الناس ويقول: «من كان سميعاً مطيعاً فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلاَّ ببني قريظة».

وسار جيش المسلمين إليهم، فلما رأوه مقبلاً خارت قِواهم وأَيقنوا بالهلاك. فحاصَرَهم الرسول(ص) خمساً وعشرين ليلةً حتى جهدهم الحصار وكان معهم حيي بن أَخطب الذي ظلَّ ملازماً لكعب بن أسد تأكيداً منه على الوفاء له. وأثناء الحصار صاح علي بن أبي طالب في المسلمين قائلاً: «يا كتيبة الإيمان» وتقدم هو والزبير بن العوَّام وقال: «والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزة أَوْ لأَفْتَحَنَّ حصنهم»[1].

(١) المرجع السابق الجزء الثالث ص٢٥١.

وقذف الله تعالى في قلوب اليهود الرُّعب فَجَبُنُوا وانهزموا واستسلموا لرسول الله(ص) أَذِلأَءَ صاغرين. فحبسهم في المدينة وأَوْكَل أَمْرَهم لسعد بن معاذ فأنفذ حُكْمَ الله فيهم وبينهم عدوُّ الله حييّ بن أخطب النُّضَري. وهكذا طُهِّرَت المدينة من هذه الشرذمة الفاسدة وفرَّ من استطاع النَّجاة منها إلى خيبر وقدِّر عدد من ضُربت أعناقهم من بني قريظة بـ ٦٠٠ مقاتل وطُرد الباقون.

حسان بن ثابت يقول في بني قريظة

لقد لَقِيتْ قُريظةُ ما سآها	وما وَجَدَتْ لِذُلٍ من نصير[1]
أَصَابَهُمُ بَلاَءٌ كانَ فيه	سِوى ما قد أَصاب بني النَّضيرِ
غداةَ أَتاهُمُ يَهْوِي إِلَيْهِم	رسولُ الله كالقمَرِ المنيرِ
له خيلٌ مُجنَّبةٌ تَعَادَىَ	بفرسانٍ عليها كالصُّقُورِ[2]
تركناهم وما ظفِروا بشيءٍ	دماؤُهُمُ عَليهم كالغديرِ[3]
فَهُمْ صَرْعى تَحُومُ الطَّيْرُ فيهم	كذاك يُدَانُ ذو العَنَدِ الفَجُورِ
فأَنذر مِثْلها نُصْحاً قُريشاً	من الرَّحمن إنْ قبلت نَذِيري

هزيمة اليهود في خيبر

بعد طرد اليهود من المدينة المنوَّرة وتطهيرها منهم أَصبحت خيبر الواقعة على بضعة أميال شمالْ شرقي المدينة مركزاً كبيراً لتجمُّع الهاربين منهم من المدّ الاسلامي المتعاظم واستقطابهم. ـ وكنا قد

---

(١) سآها بمعنى ساءها.

(٢) الخيل المجنَّبة هي التي تُقاد ولا تركب وتعادى بمعنى تجري وتسرع في جريها.

(٣) في بعض النسخ كالعبير وهو الزعفران.

ذكرنا قبلاً أنَّ كثيراً من يهود بني قينقاع والنضير وقريظة قد لجأوا إليها بعد انتصار المسلمين عليهم وعلى أحلافهم من مشركي قُرَيش؛ حتى غدت وكراً للتَّآمُر وَحَبْكِ الدسائس والمكائِد والفتن، وتحريض الناس على الرَّسول(ص) وأَصحابه، واتَّصَلَ يهود خيبر بأبناء دينهم في كل من وادي القرى وفدك طالبين منهم العون والمؤازرة في حربهم المستميتة ضد محمد(ص).

كان الرسول(ص) يرصد تَحرُّكاتِ اليهود ونشاطاتهم ويعلم مبلغ كيدهم وعدائهم له فأعدَّ العدَّة لغزو خيبر وسار إليها بجيشه فنزل بوادي الرجيع فعسكر فيها قاطعاً بذلك الطريق بين خيبر وبلاد غطفان ـ أَنصار اليهود وحلفائِهم ليمنعهم من تقديم أَيَّة مساعدة لهم.

وبعد أَن استراح بعض الوقت بدأ هجومه على خيبر. كان اليهود عندما رأوا طلائع جيش المسلمين تتقدَّم نحوهم قد أعلنوا الاستنفار العام ثم أغلقوا أبواب حصونهم واستعدوا للقتال. وتابع جيش النبي(ص) سيره حتى وصل إلى مشارف خيبر ثم بدأ الهجوم. فأعطى الرَّاية لعددٍ غير قليل من الصحابة ولكنهم عادوا دون فتح بسبب مناعة الحُصُون وجودة تسليحها. ولما أَعيا المسلمين أمرهم قال رسول الله(ص): لمن معه: لأعطينَّ الرَّايةَ غداً رجلاً يحب الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرَّارٍ ليس بفرَّار.

وفي اليوم الثاني أعطى الراية لعليّ بن أبي طالب وقال له: «خذ هذه الرَّاية فامضِ بها حتى يفتح الله عليك»[1].

(١) راجع السيرة الجزء الثالث ص٣٤٩.

وكأنَّ رسول الله قد اختصَّ عليّاً من بين الصحابة جميعهم بشرف جهاد هذه الجماعات الضالة من اليهود وقتالها ليكون تحرير خيبر منها على يديه وليصبح هذا التكليف الشريف من الرسول(ص) إرثاً دينيّاً مقدَّساً وأمانةً عزيزةً غالية يحملها شيعة علي في الجنوب اللبناني يستلهمون منها القوَّة والعزيمة والصَّبر في مقاتلة أحفاد تلك الجماعات الضالة حتى تطهير أرضه من رجسها وفسادها.

تسلَّم علي بن أبي طالب قيادة جيش المسلمين في معركة خيبر بتكليفٍ من الرسول(ص) إذن فأخذ الرَّاية وراح يهرول هرولةً حتَّى ركزها في قلب حصن النَّطَّاط أحد أهم الحصون اليهوديَّة في خيبر. وهبَّ قادة اليهود المدافعون عن الحصن في داخله وعلى رأسهم الإخوة الثلاثة مرحب والحارث وياسر وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع الأعور. وما هي إلا لحظات حتى سقطوا جميعهم قتلى في أرض المعركة. وانساب المسلمون الفاتحون داخل الحصون اليهوديَّة يفتحونها على اسم الله واحداً واحداً ويقتلون من فيها من اليهود الحاقدين المتمرِّدين. واستبسل المسلمون وصمدوا أمام ضراوة المدافعين وخاضوا غمار معركة شرسة قاسية وهم مؤمنون بنصر الله وتوفيقه، حتى تمكنوا من فتح الحصون وتطهيرها جميعها بعد أن تمت تصفية ثلاثةٍ وتسعين مقاتلاً يهوديّاً واستسلم الباقون ورموا أَسلحتهم في أرض المعركة.

بعد ذلك سأل من بقي حيّاً من اليهود رسول الله(ص) أن يرأف بهم ويرحمهم ويحقن دماءَهم فأجابهم لطلبهم وعفا عنهم بعد أن رضخوا لحكمه واعترفوا له وأَقرّوا بعدم تعاطيهم التآمُر والتَّمَرُّدَ وإظهار

العداوة السافرة الحاقدة. ولكنه قال لهم: «على أنَّا إنْ شئْنا أن نُخْرِجَكُم أخرجناكم».

وبقوا في خيبر تحت السيادة الاسلاميَّة يعملون في الحقول والبساتين ويؤدون للمسلمين نصف الحاصلات مما تنتجه الأرض من غلال ويؤتيه النَّخيل[1].

استسلام وادي القرى وفَدَك

عند عودة الرسول(ص) إلى المدينة مال على وادي القرى أحد المعاقل اليهوديَّة فحاصَرَه حتَّى استسلم ثم طهَّره من المقاتلين اليهود ونصَّب عليه حاكماً مسلماً. ولما علم أهل فَدَك اليهود بذلك استسلموا دون قتال راضين بنفس الشروط التي ارتضاها أهل خيبر.

عمر بن الخطاب يجلي اليهود عن خيبر

عندما تولَّى عمر بن الخطاب الخلافة أجلى اليهود عن خيبر بعد أن تمادوا في فسادهم ونفاقهم وتآمرهم على الإسلام والمسلمين وغدروا بأحد أبنائه. وقد أرسل إلى بعض أعيانهم وقال لهم: «إنَّ الله تعالى قد أذن في جلائكم. فقد بلغني أن رسول الله(ص) قال: لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله(ص) من اليهود فليأتني به أُنْفِذْهُ له. ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله(ص) من اليهود فليتجهَّزْ للجلاء. فأَجلى عمر من لم يكن عنده عهد منهم[2].

(١) تاريخ الاسلام الجزء الأول ـ السيرة النبوية الجزء الثالث.

(٢) السيرة الجزء الثالث ص٣٧١.

وهكذا تم إجلاء اليهود نهائياً عن البلاد المقدسة بعد أن عاثوا فيها فساداً وتطهَّرت من رجسهم ونفاقهم تفرَّقوا في بلاد الله الواسعة حاملين في نفوسهم بذور الحقد والكراهية والنقمة العارمة يزرعونها بين الشعوب التي يحلّون ثقالاً عليها.

الأطماع اليهودية

كان اليهود منذ أن جاءوا إلى الجزيرة العربيَّة يعملون جاهدين على إنشاء كانتونات خاصة بهم حتى تمكنوا من إقامتها فوق الأرض العربية التي سيطروا عليها في غفلةٍ من الزَّمن. ثم راحوا يتمدَّدون في كل اتجّاه حتى استطاعوا مع مَنْ تهوَّد وانضمَّ إليهم من العرب السَّيطرة شيئاً فشيئاً على معظم الأراضي الواقعة بين يثرب وتيماء عند الحدود الشماليَّة للحجاز المجاورة للأراضي السوريَّة؛ وبنوا فوقها المستعمرات والثكنات العسكريَّة والقلاع والحصون والآطام وشحنوها بالمؤن والعتاد والرِّجَال والسلاح وأقاموا فيها المزارع والأسواق التِّجاريَّة الخاصَّة بهم.

وبذلك تمكنوا من السيطرة الكاملة على حركة المواصلات الرئيسيَّة في الحجاز وجعلوها في قبضتهم وتحت إشرافهم المباشر، وعلى طريق التِّجارة والقوافل التي كان يسلُكها عرب الجزيرة من نجد مروراً بمكة ويثرب حتى بلاد الشام.

الرسول(ص) يفشل المخططات اليهودية

هذه المحاولات الخبيثة للاستيطان المبكر الذي حاولت الجماعات اليهوديَّة إقامته في قلب البلاد العربيَّة، واجهها الرسول(ص)

والعرب المسلمون من ورائه بكل حزم وشدَّة حتى تمكَّن من طردهم وتطهير الجزيرة من رجسهم.

ولنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة

بذلك يكون الرسول الكريم أوَّل مقاومٍ عربي للحركة اليهودية على الإطلاق لأنه واجهها بكل ما أوتي من قوَّة وهو لا يزال في بدء الدعوة الاسلامية المبكِّرة. غير عابئي بقوة تلك الجماعات ولا بقوَّة أحلافها من قبائل غطفان وقريش والأحزاب ومرتزقة الأَحباش وجماعات المنافقين لأنَّه كان مؤمناً بنصر الله وتَأْييده.

ـ وهو أول فدائي عربي استطاع أن يقتحم الحصون ويدكَّ المواقع ويركز راية الإسلام فوقها لتظل عاليةً شامخة إلى ما شاء الله.

ـ وهو أول مقاتل عربي استطاع أن يهزم اليهود ويقضي عليهم في عدة مواقع بالرَّغم من قلَّة عدد المسلمين المجاهدين آنذاك وحداثة العهد بالمدينة التي جاءها مهاجراً؛ وكثرة أعداد الجماعات اليهودية.

ـ وقد استطاع الرسول الكريم أن يُدَمِّر البُنْيَةَ القتاليَّة لليهود وأَنْ يقهر القوَّة الضَّاربة لهم التي كانوا يهدِّدون القبائل العربيَّة بها ويبتزُّون النِّعَمَ والأَموال ويفرضون الأمر الذي يريدون.

ـ لقد حطَّم الرسول(ص) خرافة التَّفوُّقَ اليهودي وأسطورة تاريخهم المفترض الذي حاولوا ربطه زوراً وبهتاناً بتاريخ الشرق العربي، وأبطل ادِّعاءاتهم المضلِّلة بعد أن طردهم من المدينة وجوارها ومن جميع الأَمكنة التي كانوا يتواجدون فيها؛ لأنَّهم غرباء وقبل أن يتجذَّروا في الأرض العربيَّة ويتمكَّنوا فيها ويستعصي اقتلاعهم منها.

ـ ورسول الله(ص) هو أول من نبَّه العرب إلى خطورة وأطماع هذه الجماعات اليهوديَّة المملوءة حقداً وغيظاً والمدفوعة بتعصُّبها الديني والعرقي البغيض والمنتفخة بكل مظاهر الاستعلاء والكبرياء والعنصريَّة.

تفسير آية كريمة

والله تعالى أمرنا بقتال اليهود وضربهم بشدَّة وغِلظة لأنهم كُفَّار.

والتَّوراة التي بين أَيديهم هي من صُنْعهم بعد أن غَيَّروها وبدَّلوها وملأوها بما يتناسب مع أهدافهم ومطامعهم. والله تعالى يقول فيهم:

﴿من الذين هادوا يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ويقولون سمعنا وعَصَيْنا﴾[1].

ويقول تعالى في سورة التوبة المباركة: **﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكُفَّار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتَّقين﴾**[2].

وهذه السورة المباركة مكِّيَّة وقد نزلت بعد سورة الفتح في الطريق بعد الانصراف من الحديبيَّة. أي قبل غزوة خيبر، وعليه يكون المقصود بالذين آمنوا هم صحابة النبي(ص) من المهاجرين والأنصار المتواجدين في المدينة. (وبالذين يلونكم من الكفار) هم اليهود الذين كانوا يقيمون في ضواحي المدينة وعلى مشارفها ونواحيها مثل خيبر ووادي القرى

(١) جزء من الآية الكريمة ٤٦ من سورة النساء المباركة.
(٢) الآية رقم ١٢٣ من سورة التوبة المباركة.

وفدك وغيرها وإذا كان معنى (يلونكم) هو الأقرب فالأقرب. فيكون (الكُفَّار) الذين أمرنا الله تعالى بقتالهم في هذه الآية المباركة هم اليهود بلا رَيْب.

حديث شريف

وإذا كان الله تعالى قد قال في محكم كتابه العزيز:

﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1].

فقد فرض علينا طاعته بالمطلق لأنه لا ينطق عن الهوى. والرسول(ص) قد حارب اليهود وضربهم بيده الشريفة بشدةٍ وغلظة. فقتالهم إذن واجب وقد قال(ص): «من رأى منكم منكراً فليقوِّمه بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أَضعف الإيمان».

وقد رأى عليه الصلاة والسلام المنكر ظاهراً في اليهود بجماعاتهم المختلفة حين أعلنوا الحرب عليه وأظهروا له العداوة والخصومة منذ سماعهم به حتى قبل هجرته إلى المدينة، فقوَّمهم بيده، بادئاً بنفسه في تطبيق حديثه الشريف.

عصر الرسول(ص) والصراع العربي الاسرائيلي

منذ عصر الرسول(ص) برز الصراع العربي ـ الإسرائيلي على أَشُدِّه، واستمات اليهود من أجل منع العرب من إظهار شخصيَّتهم، وتحقيق وحدتهم تحت ظل الاسلام وقيادة النبيّ(ص) لأنهم رأوا في ذلك تهديداً خطيراً لنفوذهم ومصالحهم فتحالفوا مع المشركين

---

(١) الآية رقم ٧ من سورة الحشر المباركة.

والمنافقين وأذكوا النَّعرات والحزازات القبلية الجاهلية وحزَّبوا الأحزاب ونقضوا العهود وأقاموا معهم حلفاً جهنَّمياً ردّاً على موآخاة النبي(ص) بين المسلمين ضمَّ كل أعداء الإسلام من أهل الشر والعداوة. ووقفوا في وجهه يناصبونه العداء ويقاتلونه بكل ما أوتوه من غيظٍ وحقدٍ كافر.

وأدرك رسول الله(ص) خطورة المحاولات اليهوديّة الحاقدة فقاومها بلا هوادة وتمكَّن من دحرها والقضاء عليها نهائيّاً، وما هي إلا سنوات قليلة حتى انقلب السحر على الساحر فإذا بهذه الجماعات تصاب على يد الرسول الكريم بضربة قصمت ظهرها وشلَّت عمودها الفقري من الأساس؛ وإذا بها مهزومة مغلوبة ممزَّقةً مُشتَّتة قد ضُربت عليها الذلَّة والمسكنة وباءت بغضب من الله. وإذا بالعرب يصبحون في ظلِّ الدين الجديد ولأوَّل مرةٍ في تاريخهم أُمَّةً عربيَّة مسلمةً واحدة ذات سيادة كاملة لها شخصيَّتها وكيانها، ولها جيشها ونظامها.

أسباب مخاوف اليهود

وتعاظم حقد هذه الجماعات على الإسلام وعلى العروبة معاً، لأنها لم تكن لتتصوَّر أن تكون النُبوَّةُ في غير مِلَّتَها، ولا السيِّادة في غير شعبها. ولم تكن لتفكِّر أَبداً أن يصبح النبي الكريم على هذا القدر من العظمة والقوة ويكون سيِّد العرب المطاع في هذا الوقت الوجيز. تنضوي تحت لوائه مختلف القبائل وتسرع لتدخل في دين الله أفواجاً ثم تصبح على اختلاف تناقضاتها وأديانها ونزعاتها وأهوائها ومصالحها وقد طهَّرها الإسلام وصقلها فإذا هي أُمَّة واحدة متضامنة متآخية بعد أن آمنت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً فنزع ما في قلوبها من غلٍّ وربطها بحبل الله

الواحد الأحد وآخى بين أفرادها وإذا الناس كلهم سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي فيهم على أَعجمي إلاَّ بالتَّقوى.

الحقد التاريخي

توارثت تلك الجماعات اليهوديّة جيلاً بعد جيل الكراهية والحقد على الإسلام والعروبة ولا تزال تحقد عليهما حتَّى اليوم وستظل تحقد إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها. وقد ترسخ هذا الحقد عبر العصور حتى أصبح كالمرض المستشري في الجسم العربي لا تظهر أعراضُه متى كان الجسم سليماً قويّاً معافى، أمَّا إذا ضعف أو أصيب بحادثٍ طارىء فسرعان ما يقوى هذا المرض وينشط ويزداد خطره، وعندها تظهر الأطماع اليهوديّة جليةً واضحة.

أعوان الفاتحين والمستعمرين

لقد كان اليهود عبر العصور المتعاقبة، عوناً لكل فاتح ونصيراً لكل غازٍ وظهيراً ودليلاً لكل مستعمر تطأ رجله النجسة أرض البلاد العربية والإسلاميَّة.

ولا ننسى أبداً كيف كانوا وراء حملة نابوليون على مصر وعكّا وكيف انخرطوا في جيشه يحدوهم الأمل بالمجيء إلى فلسطين.

وكيف كانوا وراء الاستعمار الفرنسي للشمال الأفريقي والاستعمار الإيطالي الفاشستي لليبيا والبريطاني لمصر والسودان ثم العراق كما كانوا الرأس المدبِّر لمعاهدة سايكس ـ بيكو ووعد بلفور

المشؤوم، ووراء معظم الفتن والقلاقل والعديد من الثورات التي قامت في البلاد العربية منذ القديم حتى اليوم. ومن الأندلس والمغرب العربي إلى بلاد المشرق العربي إلى سقوط فلسطين.

وكانوا وراء معظم الانقلابات التي تعرضت لها معظم الدول العربية والاسلامية في مختلف ديارها.

لقد لعب اليهود دوراً بارزاً في إسقاط الحكم العربي في الأندلس وكانوا وراء ضياع البلاد بعد ضياع الخلافة فيها حين تغلغلوا في صفوف الوزراء والأمراء في دول الطوائف فيها وعلى الخصوص في غرناطة. يقول الدكتور حسين مؤنس:

استعان الحكام المسلمون باليهود منذ الفتح فاتخذوهم حرَّاساً للمدن التي يتم فتحها، ووثقوا فيهم ثقة مطلقة لأنهم أعانوهم على الفتح وساعدوهم عليه بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد على أيدي دولة القوط البائدة. ولكن عندما انقلب ميزان القوى لصالح نصارى الشمال في القرن الخامس الهجري نراهم ينحازون إليهم ضد المسلمين ويساعدونهم على استعادة البلاد. ولا ندري لذلك سبباً، اللهُمَّ إلا الخيانة التي تجري في عروقهم، وإلاَّ جرياً وراء المصالح التي رأوا أنها تتحقَّق مع المنتصرين الأقوياء من حكام شمال اسبانيا[١].

وبسبب نفوذهم وكثرة نزوتهم وخيانتهم للمسلمين في الأندلس قامت بعض الانتفاضات ضدهم في اشبيلية. وفي غرناطة قامت مذبحة

---

(١) فجر الأندلس ص٥٢٣.

هلك فيها منهم الآلاف وتم قتل زعيمهم اسماعيل بن تغرالة اليهودي وفرَّ ابنه يوسف إلى أفريقية، ومن هناك أرسل شعراً لا يدل إلاَّ على العداء والكراهية المتأصلة في نفوس اليهود ضد المسلمين والمسيحيين على السواء[1]. كما كانوا وراء الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني.

(١) نفح الطيب للمقري الجزء الثاني ص٥٠٨.

الفصل العاشر

١ ـ التلمود

2 ـ بروتوكولات حكماء صهيون

(١)

التلمود

تعريفه

هو لغةً يعني التعليم؛ وهو في التعريف اليهودي له؛ الشريعة الشفويَة التي تركها موسى، إلى جانب التوراة. ويتألَّف من قسمين.

ـ **المَشْنَا**، ومعناها النَّص. وقد أُدخلت عليها إضافات وتعديلات كثيرة وفُسِّرت تفسيرات متناقضة. وهي في جوهرها تفسير للتوراة.

ـ **الجمَّارا**: ومعناها الشَّرح. وهي في جوهرها تفسير للمشنا.

فالتلمود إذن هو كلمة تعني النصَّ والشرح معاً.

نشأته

كان الهدف من وضع التلمود كما قلنا تسجيل الشريعة، غير أن واضعيه من كِبَار الحاخامات اليهود ـ وفي مختلف بلدانهم ـ لم يلتزموا بهذا المبدأ، فوضعوا فيه كل ما رأوه مناسباً لأغراضهم وأَطماعهم، وما يسير وفق ميولهم السياسية والقومية؛ وهكذا راحوا يكتبون على هواهم

فأضافوا إليه شروحاتٍ كثيرةً ومتناقضة في كثير من الأوقات ولاسيما في العصور الوسطى حيث أقدم هؤلاء في كل من فرنسا وألمانيا وبلجيكا على كتابة شروح للنصوص التلمودية ظهر فيها التناقض والاضطراب بشكل واضح.

من هنا، لم يكن للتملود نشأة مُحدَّدة أو تاريخٌ مُعيَّن، ولكن الثابت هو أنَّه كُتِبَ في بابل وفي فلسطين معاً، في أيام السَّبي، عندما كانوا يرزحون تحت وطأة القهر والإذلال، والشعور المتزايد بالاضطهاد والأوضاع الاجتماعيَّة البائسة التي كانوا يعيشونها.

ويومها بدأ الأحبار والحاخامات ورجال الدين الكبار بتدوين بعض الأفكار منه، إلا أن بعض المؤرخين يرون أن خطوط التلمود العريضة بُدِىءَ بوضعها بشكل جدِّي في عصر المؤرخ اليهودي المتعصِّب (يوسيفوس) الذي توفيَّ في حدود سنة ٩٥م. ولكن العمل ظلَّ مستمرّاً فيه حتى استُكمِل قبيل ظهور الإسلام بوقت يسير.

ظهوره

ظهر التلمود بصورته شبه النهائيَّة ولأول مرَّة في مدينة البندقيَّة في أوائل القرن السادس عشر الميلادي وفي سنة ١٥٢٠ على وجه التحديد. وما إن اطَّلع الناس من غير اليهود على ما جاء فيه حتى فاجأتهم تلك الروح الشرِّيرة، وتلك المشاعر العدوانية التي انطوت عليها نفوس الجماعات اليهوديَّة ضدَّهم وضدَّ البشريَّة جمعاء. وهالهم ما اطَّلعوا عليه من مطامع لا حدود لها ومن أهدافٍ تدميريَّة يُبيِّتُها اليهود لكل المجتمعات الإنسانية على السواء.

ورأوا بوضوح طبيعة التمييز العنصري، والأسلوب الدموي العنيف الذي يعتمدونه للوصول إلى تحقيق أهدافهم وشهواتهم إلتي تؤدي في النهاية إلى السيطرة التامة على العالم وإخضاعه لهم. فراحوا يكيلون لهم الشتائم في الطرقات ويضايقونهم ويحتقرونهم في مختلف المجالات.

وقد تعرَّض يهود التلمود لهجمات وحملات عنيفة ومتلاحقة في أوروبا كلها. ومنذ أن اطلع الناس هناك على نصوصه وتعاليمه وعرفوا معتقدات اليهود المعادية للمسيحيَّة بالدرجة الأولى ولجميع شعوب العالم بصورة عامَّة. وقد حفلت الطبعة الأولى من المجموعة الكاملة للشرائع التلموديَّة وكتاب موسى بن ميمون مشنا توراة بأسوأ النعوت لكل الأمم وبالهجمات الصريحة ضد المسيحية والسيد المسيح(ع)[1] وأُخضع للرقابة المسيحيَّة الصارمة في بلادٍ عديدة ودام هذا في روسيا حتى عام ١٩١٧ وقد حُذفت منه الفقرات العدوانية أو عُدِّلت[2] في كثيرٍ من المرات.

أغراضه

لقد أصبح التلمود عند الجماعات اليهودية أكثر قداسة وأقوى حُجَّةً من الكتاب المقَدَّس نفسه.

فالله الذي تؤمن به تلك الجماعات هو يهوه وكما يصفه التلمود فهو إلّه يتصف صراحةً بصفات البشر، فهو يحب ويبغض ويغضب

---

(١) اسرائيل شاحاك ـ التاريخ اليهودي ص٣٧.

(٢) المرجع السابق ص٣٦.

ويضحك ويبكي وهو يخطىء ويُصيب ويحس بوخز الضمير ويلبس التمائم. ويجلس على العرش تحيط به طائفة من الملائكة المختلفي الدرجات يقومون على خدمته. ويدرس التوراة ثلاث مرات في اليوم. ولما كان يصيبَ ويخطىء فهو يستشير الحاخامات في كل مسألة. وينتقل التلمود من علاقة اليهود بيهوه (الله) إلى علاقتهم مع الشعوب الأخرى فيشدِّدون قبل كل شيء على عدم اندماج اليهود بغيرهم من الشعوب والأُمم لأنهم شعب الله المختار، ولا يصح أبداً أن يتساووا بغيرهم. وهم يتصفون بالتفوُّق والعنصر المتميِّز. وكل ما حولهم من الشعوب والأرض فهي ملك لهم يرثها أبناؤهم من بعدهم ميراثَ مُلْك إلى آخر الدهر.

وإذا كان التلمود لا يبيح لليهودي أن يتعامل مع أخيه اليهودي بالرِّبا؛ فإنه يسمح له أن يمتص غيره من الشعوب الأخرى وأن يسرقه ويغدر به.

محتوياته

وهذا بعض ما نصَّ عليه التلمود:

* لا يستجيب الله لصلاة الإنسان إلا إذا قام بها في الكنيس.
* إن من يُعطي الصدقات سرّاً هو أعظم من موسى.
* إن من يمشي أربع أذرع في فلسطين يعيش إلى أبد الآبدين.
* إن حديث سكان فلسطين هو بحد ذاته توراة.
* من يعش في فلسطين يطهر من الذنوب.
* لنهر الأردن ضفتان الضفة الأولى لنا والضفة الثانية لنا.

* يمنع على أي يهودي بيع الأرض في فلسطين لغير اليهود.

* لا يجوز لليهودي أن يثق بالعربي في أي ظرف. حتى ولو كان هذا العربي متحضراً.

* العربي الجيِّد هو العربي الميِّت.

* على اليهودي في أيام الحرب أن يقتل المدنيين رجالاً ونساءً حتى ولو كانوا طيِّبين.

* إذا وقع غير اليهودي في بئر فلا يجب على اليهودي أن يساعده على الخروج منها.

* اليهودي أفضل عند الله من الملائكة.

* كل من يضرب يهودياً أو يتسبَّب له بأذى يستحق الموت.

* كل غير اليهود هم مخلوقات شيطانية ولا يوجد فيها شيء طيب على الاطلاق حتى الجنين غير اليهودي يختلف نوعاً عن الجنين اليهودي. ومجرد وجود غير اليهود ليس أمراً هاماً لأن جميع المخلوقات الأخرى وجدت من أجل اليهود.

* لكي تصل الصلاة إلى الرب مباشرة يقوم اليهود بنوع من خداع الملائكة المكلفين بحراسة السماء. فهؤلاء لا يعرفون غير العبرانية. ولذلك تكون صلاة الصبح عندهم بالآراميَّة التي لا يعرفها الملائكة. وبهذا تفتح أبواب السماء وتدخل الصلاة كاملة.

* سرقة غير اليهود مصرَّح بها لليهود. وهذه السرقة ليست ممنوعة إطلاقاً.

* يعتبر قتل اليهودي جريمة لا تغتفر وتكون عقوبتها الإعدام.

* اليهودي الذي يقتل غير اليهودي لا يجوز للانسان أن يعاقب عليها والمحكمة لا تنظر فيها مطلقاً وهي لا تعتبر خطيئة على الإطلاق.

* إذا كان القاتل غير يهودي ويعيش في دولة يهودية فيجب أن يُعدَم فوراً. سواءٌ كان الضحيَّة يهودياً أو غير يهودي. أما إذا كان الضحيَّة غير يهودي وتحوَّل القاتل إلى اليهوديَّة فلا يعاقب[١].

* إذا شوهد إنسانٍ يسقط في البحر وجب عدم إنقاذه لأن سفر اللاويِّين يقول «لا تقف ضد دم رفيقك» والذي هو غير يهودي ليس رفيقك[٢].

* على الطبيب بصورة خاصة أن لا يعالج مريضاً غير يهودي. ومحظور عليه أن يشفي غير اليهود إلا إذا خشي منه أو من عداوته.

* لا يجوز انتهاك حرمة السبت لإنقاذ حياة مريض غير يهودي حتى ولو كان في حالة الخطر كما لا يجوز توليد امرأة غير يهودية يوم السبت.

* يجوز للطبيب أن يجرب الدواء على الكافر إذا كان هذا يخدم غرضه وكل من هو غير يهودي فهو كافر.

* يعتبر الزنى بين يهودي ويهودية جريمة كبرى بل إنها تعتبر إحدى الكبائر. أما العلاقة مع المرأة غير اليهودية فيطبَّق عليها قانون العلاقة

---

(١) الموسوعة التلمودية ص١٢١.

(٢) سفر اللاويين ١٩/١٦.

الجنسية مع أي حيوان آخر لأن جميع من هم غير يهود إباحِيُّون ولحمهم كلحم الحمير[1].

* إعطاء صدقة لمتسوِّل يهودي واجب يفرضه الدين أما المتسول غير اليهودي فغير مسموح.

* أخذ الربا من غير اليهودي إلزامي ويُعتبر تقاضي أقصى فائدة ممكنة منه واجباً.

* يسمح التلمود لمن يجد شيئاً فقده غير يهودي بأن يحتفظ به ويُمنع عليه أن يعيده لصاحبه.

* تشمل أرض إسرائيل بالإضافة إلى فلسطين نفسها كل سيناء والأردن وسوريا ولبنان وأجزاء كبيرة من تركيا لأنها دخلت في نطاق مملكة داوود[2].

* عندما يكون اليهود أقوى من غير اليهود عليهم أن لا يقبلوا وثنيّاً بينهم حتى ولو للاقامة المؤقتة إلا إذا تحوَّل تحوُّلاً كاملاً إلى اليهودية[3].

* عندما يرى اليهودي جمعاً يهودياً كبيراً وجب عليه أن يحمد الله. امَّا إذا رأى جمعاً من غير اليهود فعليه أن يلفظ لعنة.

* على اليهودي الذي يمر بالقرب من مبنى يسكنه غير اليهود أن يدعو إلى ألله أن يُدمِّرَه. أما إذا كان المبنى مدَمَّراً فعليه أن يشكر الله لانتقامه.

---

(١) سفر حزقيال اصحاح ٢٠/٢٣.
(٢) اسرائيل شاحاك المرجع السابق ص١٣٩.
(٣) عبادة الأوثان لابن ميمون.

* يحظر على اليهودي مدح غير اليهود أو ذكر أَفعالهم بخير. وعليه أن لا يشارك في أي فرح شعبي أصحابه غير يهود.

* إذا لمس مسيحي زجاجة خمر وجب أن تُراق فوراً. أما إذا لمسها مسلم فعند ذلك تحرَّم على اليهودي ولكن بإمكانه بيعها أو إهداؤها.

* يسمح بطهي طعام لزائر غير يهودي إذا كان ذا سلطة. شرط أنْ لا يشجَّع على القدوم والأكل.

* لا يجوز لليهود من الناحية الشرعية أن يأكلوا طعاماً مسَّته يدٌ غير يهودية.

(2)

بروتوكولات حكماء صهيون

الأفعى التي تسعى لابتلاع العالم

لعلَّ في بعض ما أَوردته ممّا جاء في التلمود من أفكار شيطانيةٍ رهيبة يدلُّ بما لا يقبل الشك على أنَّ الجماعات اليهوديَّة العرقيَّة المتعصِّبة، قد توارثت حبها للشرِّ والأذى، وتعطُّشَها البالغ للدِّماء وإسرافها في سفكها جيلاً بعد جيل، وأنَّ الإرهاب الذي يضجُّ منه العالم اليوم، قد بدأ أَوَّل ما بدأ بين تلك الجماعات منذ خروجها من مصر بقيادة النبي موسى ودخولها الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون واغتصابها الأرض من أصحابها بعد ارتكابها المذابح والمجازر الرهيبة ـ كما أَسلفنا ـ وأن العقيدة اليهوديَّة وربيبتها الصهيونية العنصريَّة، هي في حقيقتها مصدر الإجرام والمفاسد ومنبع الشرور والآثام كلها بما احتوت عليه كتبها الثلاثة المقدسة (التوراة والتلمود والبروتوكولات)من دعوةٍ صريحةٍ لها بل والحضِّ عليها حَضّاً صارماً مؤكّداً.

وإذا كنت عزيزي القارىء قد اطلعت من خلال السياق على بعض ما جاء في التوراة والتلمود فإني أضع الآن بين يديك مقتطفاتٍ من

بروتوكولات حكماء صهيون التي هي الدستور المقدَّس الذي لا يُمَسُّ لتلك الجماعات وهي تبلغ في مجموعها أربعةً وعشرين بروتوكولاً حتى الآن، والتي تفوح منها رائحة الشر والفساد والرَّذيلة ورائحة النَّوايا الخبيثة والأطماع العدوانية التي لا تقف عند حد ولا يُشْبِعُها إلاَّ سيطرتها الكاملة على العالم بأسره وإخضاعه لها وإلغاء جميع الأنظمة والديانات السماويّة الأُخرى وإحلال اليهوديّة محلَّها.

ظلت هذه البروتوكولات أو المقرَّرات سرِّيَّةً خفيَّة لا يعرفها ولا يطَّلع عليها أحد من غير اليهود حتى كانت سنة ١٩٠٢ حين تمكنت إحدى السيدات وكانت عضواً تابعاً للمحافل الماسونية في روسيا من الاطلاع عليها. ولما عرفت حقيقتها هالها الأمر كثيراً لخطورة ما جاء فيها. فأعملت الحيلة حتى استطاعت الحصول عليها بطريقة سرية للغاية ودفعت بها إلى صديق لها روسي يُدعى سرجي نيلوس فقام هذا بنشرها في تلك السنة فأحدثت صدىً كبيراً في كافة المحافل والأوساط العالمية. وقد علق عليها السيد نيلوس وشبَّهها بالأفعى التي تودُّ الالتفاف على أوروبا وتخنقها وتجرُّ العالم بعد ذلك الى التفكُّك والانحلال.

واعتبر أن كل الكوارث التي تصيب الأُممَ والشعوب إنما هي بتدبير يهودي دون شكٍ، واعتبر أيضاً أن الماسونية وما يدور فيها من أفكار وآراء إنما هي وكر المؤامرات اليهودية العالمية. ثم تلهَّف بمرارةٍ وحسرة على ما سيصيب بلاده منها. وراح يومها يحذِّر العالم من أخطار الصهيونية وأحلامها وأهدافها التدميريّة ويدعو إلى الالتفاف حول المسيحيَّة والإيمان المسيحي الذي هو بطبيعته مخالف للمعتقدات

اليهودية المنحرفة الضالة.

وقد أصبحت هذه البروتوكولات أو المقرَّرات هي المعتمد عليه والمعوَّل في سياسة اليهود قاطبة.

وهي إلى جانب التوراة والتلمود تشكل ثالوثاً رهيباً يهدف إلى السيطرة على العالم كله بعد تحلُّله وتفسيخه وتدمير قيمه؛ مولين العمل على الدس والافتراء وتزوير وتشويه الديانتين المسيحية والإسلامية أهمية خاصة وإحلال اليهودية محلهما التي ستصبح كما يخططون دين العالم كله.

وقد اطلعت على الترجمة الكاملة لهذه البروتوكولات بقلم السيد محمد خليفة التونسي وتلك التي قدمَّها السيد عجاج نويهض في طبعتها الرابعة. وهذا بعض ما جاء فيها:

مما جاء في البروتوكول الأول

إذا تسلم شعب. أي شعب من الشعوب الحكم الذاتي فإنه لا يلبث أن تعمه الفوضى وسرعان ما تختل أموره وعندها يشتد الصراع ويحتدم النزاع بين الجماعات الحاكمة والجماهير فتقع المعارك ويكثر الصدام ووسط هذا الاضطراب تحترق الحكومات وتصبح عاجزة عن النهوض لتقيل نفسها من عثرتها فإذا هي في قبضة يدنا. وحينئذٍ تأتي سلطة رأس المال وتكون جاهزة فتمد هذه السلطة بطرف حبلٍ خفي إلى تلك الحكومة لتعلق به طوعاً أم كرهاً نظراً لحاجتها الماسة للمال وهي إن لم تفعل تحطمت.

ـ . . . نهج السياسة غير نهج الأخلاق. ولا شيء مشتركاً بينهما

والحاكم الذي يخضع لمنهج الأخلاق لا يكون سائساً حاذقاً.

أما الحاكم اللبيب الذي يسعى لتوطيد حكمه فيجب أن يتحلى بصفتين: الدهاء النافذ والمكر الخادع وأما ما يعتبره الناس من الشمائل القومية مثل الأمانة والنزاهة والشرف والإخلاص والوفاء. فهذا كله في باب السياسة يعد من النقائص لا الفضائل.

- النتائج تبّرر الأسباب والوسائل. فعلينا أن نراعي في وضع منهجنا ما هو مفيد وضروري لنا أكثر مما نراعي ما هو أصلح وأخلاقي.

- لكي نوفَّق إلى بناء الأمور على ما نريد لا بدَّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يكون عليه جمهور الدهماء من طباع خِسَّةٍ ونذالة وتراخٍ، وقلَّة استقرار، وفراره من حالةٍ إلى حالة وفقده القدرة على اكتناه أمور حياته وافتقاره إلى نظرة الجد وصحة العزم.

ويجب أن يكون واضحاً أن قوة الدهماء عمياء، تخدَّرت منها حاسَّة الشعور ولا تجري في الفهم والاستيعاب على نطاقٍ معقول وهي أبداً رهن أي مستفزّ يستفزُّها من أي ناحية. وأعمى لا يقود أعمى إلا إلى الهاوية.

- بالعنف وحده يتم لنا التغلب في الأمور السياسية ولاسيما إذا كانت أدوات العنف مخيفة. والعنف يجب أن يتَّخذ قاعدة وكذلك المكر والخداع. وما قلناه ينبغي أن يكون شعاراً. والشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير ولذلك لا ينبغي لنا أن نتردَّد في استعمال الرشوة والخديعة والخيانة متى لاح لنا أنَّ بهذا تُحقَّق الغاية.

أن تبدل أهوال الفتن والحروب بما هو أخف وأهون، وأخفى عن العيون وهو إصدار أحكام بالموت، ضرورية من وراء الستار، فيبقى الرعب قائماً وقد تبدلت صورته فيؤدي ذلك إلى الخضوع الأعمى المبتغى.

ـ إن الشراسة متى كانت في محلها غدت عامل القوة الأكبر في الدولة. ونعود فنقرِّر أنه هو العنف وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشيء المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه.

ـ إن ما لنا من ثروة ومال في أنحاء العالم سوف يطغى على القوانين العالمية وسنحكم الدول كما تحكم الحكومات رعاياها.

ومما جاء في البروتوكول الثاني

ـ إن غرضنا الذي نسعى إليه يحتم أن تنتهي الحروب بلا تغيير حدود ولا توسع إقليمي. فإذا جرى الأمر على هذا تحولت الحرب إلى صعيد اقتصادي، وهنا لا مفرَّ أن تدرك الأمم من خلال ما نقدم من مساعدات ما لنا من قوّة التغليب تغليب فريق على آخر ومن التفوُّق ونفوذ اليد العليا الخفيَّة.

وهذا الوضع يجعل الفريقين تحت رحمة عملائِنا الدوليين وحينئذٍ تقوى حقوقنا الدولية العامة على الحقوق القومية الخاصة.

ـ لا يخفى أن في أيدي دول اليوم آلة عظيمة تستخدم في خلق الحركات الفكرية والتيارات الذهنية ألا وهي الصحف. هذا قبل حلول عصر الأنترنيت الحالي وهو سلاح قد يتحول حتماً الى سلاح لا يعمل في مصلحة اليهود لأنهم لا يستطيعون السيطرة عليه والمتعيَّن عمله على الصحف التي في قبضتنا أن تدأب تصيح مطالبة بالحاجات التي يفترض

أنها ضرورية وحيوية للشعب وأن تثير النقمة وتخلق أسبابها. ودول الشعوب غير اليهودية لم تعرف كيف تستغلّ هذه الآلة فاستولينا عليها نحن. وبواسطة الصحف نلنا القوّة التي تحرِّك وتؤثر وبقينا وراء الستار. فمرحى للصحف وكفنا مليء بالذهب.

ومما جاء في البروتوكول الثالث

ـ إن مصلحتنا تقضي بانحلال الشعوب غير اليهودية جميعها.

ـ سنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية بكافة الطرق الملتوية وبواسطة الذهب الذي بين أيدينا فنقذف برعاع العمال إلى الشوارع وتنطلق الأيدي في نهب الأموال ويبلغ الشغب أمده الأقصى.

ـ علينا أن نحرِّك جميع قوى المعارضة في مختلف جبهاتها ليقوم هذا في وجه ذاك وننفخ في كلٍ منهم الروح التي تهزه. وعلينا أن نجاري كل فريق وما يهوى. ونسلح جميع الأحزاب ونجعل الوصول إلى السلطة الغرض المقدس فوق كل شيء. وعندئذ تكثر النزاعات ويشتد التصادم والاقتتال ولا يمضي بعد ذلك إلا القليل حتى يأخذ العالم يتخبط في الفوضى والإفلاس.

ومما جاء في البروتوكول الرابع

ـ إن الماسونية الأممية تخدمنا خدمة عمياء لأنها تقوم في العالم أجمع بدور القناع الذي يحجب أهدافنا الحقيقية ويستر أغراضنا وخططنا.

ـ من المحتَّم علينا أن ننسف الدين كله لننمزق من أذهان الناس

المبدأ القائل بأن هناك إلّهاً ربّاً وروحاً ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات الماديّة.

ومما جاء في البروتوكول الخامس

ـ كل دواليب الأجهزة للحكومات تحتاج إلى محرِّك وهذا المحرِّك بأيدينا وهو الذهب.

ـ لكي يتسنّى لنا الاستيلاء على الرأي العام يجب علينا أن نرميه بما يحيِّره ويخرجه عن طوره. وعندها تتكاثر الآراء ويشتد التشاحن.

ومما جاء في البروتوكول السادس

ـ علينا أن نهيمن بصورة رئيسية على التجارة والصناعة، وبصورة خاصة على أسواق المضاربات لأن المضاربات تقف في وجه الصناعة فتشلُّها وعدم وجود صناعات بلا مضاربات من شأنه أن يجعل رؤوس الأموال تنمو وتزدهر فيفضي ذلك بالزراعة إلى الانتعاش عن طريق تحرر الأرض والأملاك من ربقة الديون للمصارف العقارية. وما نحتاج إليه هو أن تكون الصناعة سبب تجفيف الأرض من العمل ورأس المال.

فإذا جرى الأمر على ما نخطط وانتهى إلى غايته، إنساقت إلى أيدينا أموال العالم فخزنّاها نحن وحدنا ثم نحول الشعوب غير اليهودية جميعها إلى وضع الصعاليك الكادحين البروليتاريا.

ومما جاء في البروتوكول السابع

ـ ومن خططنا أيضاً الردّ على أية دولة تجرؤ على اعتراضنا أو الوقوف في طريقنا بتحريض الدولة المجاورة لها ودفعها إلى إعلان الحرب عليها.

ـ فـي أوروبـا وفـي غيـرهـا علينـا أن نخلـق الهـزَّات العنيفـة والانشقـاقـات وإثـارة الضغـائـن والأحقـاد عـن طـريـق شبكـة الصـلات المحبوكة. فنغنم مغنمين:

أولاً: إبقاء البلدان مكبَّلة مقيَّدة لا تقوى على شيء تأتيه كما تريد؛ إذ كل دولة تعلم حق العلم أننا نحن الذين بيدهم تصريف الأمور قبضاً وبسطاً، وبيدنا أسباب تأجيج نار الحرب أو إخمادها وتعلم هذه الدول بحكم العادة أننا لنا القوة المبسوطة اليد في إيقاع الإكراه الذي نريد وأنف الجميع راغم.

ثانياً: إننا سنمد بسنانير المكايد الخفيَّة إلى المجالس الوزارية في كل بلد، فتعلق بها الخيوط متضاربة متعقدة، وما تلك السنانير إلا المعاهدات الاقتصادية وقيود القروض المالية. وفي أثناء المفاوضات يجب أن نكون جد حاذقين وأهل دهاء ومكر وخداع وحيلة.

ـ إن جميع الحكومات في أوروبا يجب أن تكون خاضعة لنا، وسوف تظهر سلطتنا لكل حكومة فيها عن طريق الجرائم والعنف أي عن طريق حكم الإرهاب.

ومما جاء في البروتوكول الثامن

ـ السلاح الذي يحتمل أن يستعمله أعداؤنا في وجهنا يجب أن نستعمله نحن. وعلينا أن نجهد في تلفيق الفتاوى القانونية وتسويغ أحكام القضايا التي تبدو خارقة للغاية ونطرحها أمام الناس نماذج من المثل الأخلاقية.

ـ سنحيط دولتنا برهط أثر رهط من رجال المصارف والصناعيين

والمتمولين ونمد أجهزة الحكومة بعالم فيَّاض من رجال الاقتصاد الذين يعملون على خدمة مصالحنا.

ومما جاء في البروتوكول التاسع

ـ نتولى بأيدينا حينما يحين الوقت تنفيذ الأقضية والأحكام. فنذبح من نذبح ونعفو عمن نعفو وسنحكم بالقوة والأسلحة التي في أيدينا فهي مطامح لا حدود لها وجشع آكل كاوٍ وحب انتقام لا يعرف الرحمة وضغائن وأحقاد.

منا انطلقت تيارات الرعب وفي خدمتنا أشخاص شتى ينتمون إلى جميع المذاهب الفكرية، ومختلف التعاليم منهم المطالبون بالعروش وزعماء العامة والاشتراكيون والشيوعيون وحملة الأقلام الطوباوية من كل حزب وقد قرنَّا هؤلاء جميعاً إلى نير العمل في سبيلنا، وجعلنا كلاً منهم وحبله على الغارب يثقب ما بقي من جدران السلطات ويجهد ليدكَّ قوائم الأنظمة.

ومما جاء في البروتوكول العاشر

ـ إنه من الضروري لنا قبل كل شيء أنْ نسلِّح نفوسنا وندَّخر في قلوبنا تلك الروح البطاشة التي لا تعرف الخوف ولا تهاب العواقب وتكتسح في طريقها كل عقبة ـ روح الفاتك الغشوم ـ الروح التي تعتلج في صدور العاملين الفاعلين من رجالنا.

ـ إننا بإشرابنا الجمهور كله نزعة الاعتداد بالنفس وتلقيحه بهذا اللقاح نكون قد فكَّكنا الأسرة وأذبنا ما لها من قيم ثقافية.

ـ بهذه الطريقة نكون قد خلقنا قوة طائشة عمياء عنيفة وأمسى أمرها بيدنا.

ـ لا بُدَّ لنا من أجل تحقيق أهدافنا والوصول إليها بسرعة من رمي البلدان المختلفة بما يشغل بالها ويقيمها ويقعدها. فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها ويظل هذا الانهيار في طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية وتهلكها الانقسامات وتفشو بينها الكراهات والمكايد والحسد والاستغاثات طلباً للنجاة كما تفشو المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً فتستسلم جميع الشعوب غير اليهودية وترى أن لا مخرج لها ولا سلامة إلا بأن تلوذ بسلطتنا الكاملة المجهَّزة بالمال وكل شيء آخر.

ومما جاء في البروتوكول الحادي عشر

ـ إن جميع الشعوب غير اليهودية قطيع من الغنم ونحن ذئابهم وتعلمون ماذا يحل بالغنم إذا جاءتها الذئاب إنها تغمض عينيها.

ـ ليس في وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة فحسب هذا هو السبب الحقيقي لتنظيمنا الماسوني الذي لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود في معناه، ولا حتى الشك في أهدافه. وإنا نسوقهم إلى محافلنا التي لا عداد لها ولا حصر. تلك المحافل التي تبدو ماسونية فحسب ذرّاً للرماد في عيون رفاقهم. وهذا هو الأساس الذي قامت عليه مؤسستنا الماسونية السرية التي لا تعرف حيوانات (الغوييم)أو الشعوب غير اليهودية من أمرها شيئاً يذكر، ولا من أغراضها الخفية إلا ما يؤخذ بالظن والتقدير.

ومما جاء في البروتوكول الثاني عشر

ـ سنشتري أكبر عدد ممكن من الصحف وبهذا لن تصل إذاعة أي نبأ إلى الجمهور عن طريق الصحف قبل أن تكون مادة الخبر قد مرَّت

علينا. ولن يطلق نبأ واحد إلى العالم إلا ما نمليه نحن وسنتولى إصدار مجلات من قبلنا لتنشيط الحركة الذهنية في اتجاهنا وستكون اثمانها رخيصة ومادتها يشغف القارىء بمطالعتها.

وستحمل هذه الصحف والمجلات شتى الوجوه والسحنات والنزعات من ارستقراطية إلى جمهورية إلى ثورية وحتى فوضوية إلى آخر ما تحمله قائمة الأسماء. وستكون هذه الصحف كصنم (فشنو) في الهند لها مئة ذراع وذراع وكل عين من عيونها مفتوحة على ناحية من نواحي الرأي العام.

ومما جاء في البروتوكول الثالث عشر

ـ لكي تبقى الجماهير في ضلال لا تدري ما وراءها وما أمامها ولا ما يراد بها فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بأنشاء وسائل المباهج والمسليات والألعاب الفكهة وضروب أشكال الرياضة واللهو وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها.

ـ التقدم كفكرة شيء فاسد. من شأنه أن يجعل الصحيح مبهماً غامضاً محجوب الرؤية. ورؤية الصحيح بجلاء ما خلقت إلا لنا نحن شعب الله المختار حراس هذا كله.

ومما جاء في البروتوكول الرابع عشر

ـ عندما ندخل أبواب مملكتنا لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا المرتبط به مصيرنا في كوننا الشعب المختار. فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها.

ومما جاء في البروتوكول الخامس عشر

ـ بعد أن ننجز إقامة دولتنا بالانقلابات والثوارات سنعمد إلى مكافحة أي شيء من حياكة المؤامرات ضدنا. وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح ليقاوموا الانضواء إلى مملكتنا

ـ وكل جمعية سرية ضدنا يعاقب القائمون بها بالموت.

ـ كل محاولة تقوم ضدنا سنجرِّد رجالها من السلاح ونطرحهم في المنافي في القارات البعيدة.

ـ سنخلق الكثير من المخافل الماسونية في جميع بلدان العالم. وفي هذه المحافل نجد طلبتنا من مكامن التجسس الرئيسية وأسباب نشر نفوذها. وسنكون المحركين بأيدينا لجميع الثورات في العالم.

ـ الموت حق على كل حي فيكون خيراً وأفضل أن نقرِّب الآجال على الذين يعترضون سبيلنا من أن نقرب آجالنا نحن الواضعين لهذه الخطة.

ـ إن شعوب العالم من جهة وقوفها على أسرارنا كانت عبر التاريخ كله بمثابة القاصر الذي لم يبلغ الرشد. وكذلك كانت حكوماتها.

ـ لن نتردَّد في التضحية بالأفراد الذين يخالفون نظامنا القائم.

ـ متى ما وضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي تقدمه إليه أوروبا من علىٰ منبره والتي في ساعة إلقائها يتردد صداها في العالم كله.

ومما جاء في البروتوكول السادس عشر

ـ إن تدريس الآداب والفنون والتاريخ القديم يدل على أن ضرره أكثر من نفعه سنمحو من أذهان الناس جميع ما وعته من وقائع القرون الخالية؛ مما لا نرى فيه الخير لنا.

ـ سنلاشي القديم إلى آخر أثر من آثاره ونحضر زمام التعليم بأيدينا فلا يبقى خيط من خيوط الفكر السمتقل إلا وطرفه بيدنا.

ومما جاء في البروتوكول السابع عشر

ـ بذلنا كثيراً فيما مضى لإسقاط هيبة رجال الدين عند الشعوب غير اليهودية (الغوييم) وقصدنا بذلك أن نفسد عليهم رسالتهم في الأرض التي نعتبرها عقبة كؤوداً في طريقنا.

ـ متى ما حان الوقت لهدم البلاط البابوي ستظهر أصبع يد خفية تشير إلى الأمام (بهيّا نحو ذلك البلاط) فإذا ما انقضت الأمم عليه سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه رغبة في حجب الدماء وبهذه اللعبة سنوغل أيدينا في أحشائه ولن نخرجها بعد حتى تتبدَّد قواه ولا حراك به...

ومما جاء في البروتوكول الثامن عشر

ـ إن هيبة السلطة تتناقص وتهزل إذا كثر اكتشاف المؤامرات عليها. وتعلمون أننا قد هشَّمنا هيبة الملوك (ملوك الغوييم) بما أوقعناه من محاولات إغتيالهم مرات متعدِّدة على يد عملائنا وهم كالأغنام في سهولة الانقياد يتحركون بكل طواعية واستجابة.

ومما جاء في البروتوكول التاسع عشر

ـ أما تعاطي الشغب فما هو إلا كنباح الكلب الصغير في وجه الفيل فالحكومة الوطيدة النظام لا يكون هذا النباح عليها ـ مع سهر الشرطة ـ إلا دليلاً على أن النابح أعجز من أن يعلم نصيبه من المكنة والقوة. وأنتم تدركون كيف تكف الكلاب عن نباحها لتنقلب إلى التبصيص بأذيالها حول الفيل ساعة تقع عليها عينه.

ومما جاء في البروتوكول العشرين

ـ ما أوضح ما نرى من تخلف عقل (الغوييم) الشعوب غير اليهودية وغباوته الكثيفة وتخبطه. فإنهم يقترضون منا بالفائدة دون أن يفكروا في أن كل هذا المال مع فائدته كان يجب أن يأخذوه من جيوب دولهم ليسددوا لنا الدين. لقد اخترعنا لهم هذه الحيلة بشكل تقديم القروض مزيَّنة منمَّقة فصدقوها واعتقدوا أن فيها الخير لهم.

ـ لقد حشونا كل بلاط بالمحبوبين لديهم من عملائنا وعميلاتنا فوضعناهم في مناصب كلها مفاتيح. فعملوا وأحسنوا القيام بما عملوا.

ومما جاء في البروتوكول الواحد والعشرين

ـ لقد اغتنمنا فرصة ما أصيب به الحكام من آفة الخمول فقدمنا لهم القروض ثم استعدنا أموالنا ضعفين أو ثلاثة اضعاف بل أكثر من هذا فكنا نقرض الحكومات من المال ما يفوق حاجتها.

ومما جاء في البروتوكول الثاني والعشرين

ـ ستكون سلطتنا تاج النظام والشعار الوهَّاج لها تنبعث منه عوامل

السجود الروحي له، وخشية الإجلال بين يديه من الخلق أجمعين.

إن القدرة الحقيقية لا تسالم حقاً من الحقوق حتى ولو كان حق الله. ولا يستطيع أحد أن يدنو منها بسوء ولو بمقدار الشعرة.

ومما جاء في البروتوكول الثالث والعشرين

ـ سنقول لأمم العالم بعد تثبيت ملكنا وظهور مملكتنا: **اشكروا الله واسجدوا للذي في جبينه خاتم مصير الإنسان. الإنسان الذي قاد الله نجمته إليه.**

ـ واجب السيِّد الأعلى الذي يحل محل جميع الحكام الحاليين أن يمحو جميع المجتمعات ولو صبغها بالدم حتى يبعثها بعثاً جديداً.

ومما جاء في البروتوكول الرابع والعشرين

ـ في شخص الملك الشرعي الجالس على العرش والذي هو بارادته الصلبة الصامدة سيد نفسه وسيد الإنسانية كلها، تُسْتَشَفُّ صورة القدر وخفاياه. ولن يكون بوسع أحد أن يعلم شيئاً من رأي الملك ولهذا يكون من المستحيل أن يقف أحد، حجر عثرة في طريقه وهي طريق غامضة مجهولة[1].

(١) راجع كتاب بروتوكولات حكماء صهيون لعجاج نويهض وكذلك كتاب صابر طعيمه مرجعنا السابق.

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكتاب المقدس: العهد القديم دار المشرق بيروت.

٢ ـ الكتاب المقدس: العهد الجديد دار المشرق بيروت.

٣ ـ الإنجيل وأعمال الرسل: كلية اللاهوت الحبريّة ـ الكسليك ١٩٨٧.

٤ ـ موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة: دار الأفكار بيروت طبعة أولى ١٩٩١.

٥ ـ محاضرات في التاريخ القديم: (عامر سليمان ـ مالك الفتيان) المكتبة الوطنية ـ بغداد ١٩٧٨.

٦ ـ جمهرة أنساب العرب ـ إبن حزم الأندلسي ـ دار الكتب العلمية بيروت.

٧ ـ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزت دروزة.

٨ ـ تاريخ الجنس العربي: محمد عزت دروزة.

٩ ـ دراسات تاريخية من القرآن الكريم: د. محمد بيومي مهران.

دار النهضة العربية ط٢ ١٩٨٨ .

١٠ ـ تاريخ لبنان وسورية وفلسطين: د. فيليب حتى. دار الثقافة بيروت.

١١ ـ تاريخ مصر إلى الفتح العثماني: عمر الاسكندري وأ. ج سفدج مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٩٠ .

١٢ ـ حضارة مصر القديمة: محمد الخطيب: اتحاد الكتاب العربي ١٩٩٣ .

١٣ ـ الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس: نجيب زبيب يراجع المؤلف بشأنه.

١٤ ـ التاريخ اليهودي العام: صابر طعيمة دار الجيل بيروت ط٣ ١٩٩١ .

١٥ ـ الميزان في تفسير القرآن.

١٦ ـ تاريخ الطبري أو كتاب أخبار الرسل والملوك محمد بن جرير الطبري.

١٧ ـ الكامل في التاريخ لإبن الأثير.

١٨ ـ العبر لإبن خلدون.

١٩ ـ تاريخ لبنان. د. فيليب حتى. دار الثقافة بيروت.

٢٠ ـ التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي توماس. ل. طومسون ترجمة صالح على سواح دار بيسان بيروت ١٩٩٥ .

٢١ ـ قصة الحضارة. وِل ديورانت. دار الجيل بيروت.

٢٢ ـ تاريخ العالم، أوروسيوس تحقيق د.عبد الرحمن بدوي

المؤسسة العربية للدراسات ١٩٨٢ .

٢٣ ـ رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام. لواء أحمد عبد الوهاب ـ مكتبة التراث الاسلامي ـ القاهرة ١٩٩٢ .

٢٤ ـ العصور القديمة جيمس هنري بريستد ترجمة داوود قربان دار عز الدين ـ بيروت .

٢٥ ـ تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني. دكتور أسد رستم منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٦٩ .

٢٦ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي. المجمع العلمي ـ بغداد .

٢٧ ـ قصص الأنبياء: عبد الوهاب النجار دار الجيل بيروت .

٢٨ ـ إيلاف قريش: د. فيكتور سحاب ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت .

٢٩ ـ السيرة النبوية لابن هشام: دار القلم ـ بيروت .

٣٠ ـ مروج الذهب للمسعودي تحقيق محمد عبد الحميد دار المعرفة بيروت .

٣١ ـ النفاق والمنافقون: إبراهيم علي سالم مكتبة الشعب القاهرة ١٩٧٠ .

٣٢ ـ التاريخ الموحَّد للأمة العربية: د. علي حسين الخربوطلي / الهيئة المصرية للنشر ١٩٧٠ القاهرة .

٣٣ ـ تاريخ الإسلام حسن ابراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية .

٣٤ ـ تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني .

٣٥ ـ نفح الطيب للمقري .

٣٦ ـ تاريخ اليهود/ إسرائيل شاحاك/ ترجمة صالح علي سوداح ـ دار بيسان بيروت .

٣٧ ـ بروتوكولات حكماء صهيون ـ عجاج نويهض دار الاستقلال ط٤ بيروت ١٩٩٦ .

الفهرس

الفصل الثاني
الاستيطان الاسرائيلي القديم
يوشع والغزو المدمِّر

الفصل الثالث
اليهود في عصر القضاة

الفصل الرابع
طالوت ـ داود ـ سليمان

الفصل الخامس
عصر التمزُّق والانفصال
يهوذا والسامرة

الفصل السادس
العصر الفارسي

الفصل السابع
العصر اليوناني

الفصل الثامن
العصر الروماني

الفصل التاسع
من الشتات حتى ظهور الإسلام

الفصل العاشر

التلمود ـ بروتوكولات حكماء صهيون

بروتوكولات حكماء صهيون



❖ يعتبر كتاب (التاريخ الحقيقي لليهود منذ نشأتهم الأولى وحتى الآن) من أهم الكتب العربية التي تناولت تاريخ اليهود اعتماداً على الوثائق الحقيقية ودون أي تحيز مفتعل، فهو يعتمد كلية على ما ورد في التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون في دراسة أحداث هذا التايخ المشؤوم شاملا الموضوعات التالية:

- فهو يبين الأصول التي ينتمي اليها من أطلق عليهم اسم «العبرانيين»... وكيف بدأ تاريخ بني اسرائيل.. ومن هم الأسباط والجماعات التي شكلت الشعب اليهودي.

- وكيف نشأت الأطماع اليهودية في أرض فلسطين.

- وكيف كفر اليهود برسالة سيدنا موسى عليه السلام: وكيف زيفوا التوراة ونسجوا مجموعة من الاساطير والخرافات وجعلوها ديناً يدينون به.

- وكيف استعر الصراع بينهم وبين الفلسطينيين منذ التاريخ القديم.

- وكيف عذبوا وقتلوا أنبياءهم واتهموهم باتهامات دنيئة مغرضة.

- وكيف وقع اليهود في الأسر الآشوري والبابلي.

- وكيف أنشأوا مملكتيهم اللتين حاربت إحداهما الأخرى حروباً ضارية.

- وكيف انشق الاسرائيليون على كل من داوود وسليمان.

- وكيف قام أحد كهنتهم ـ وهو عزرا الكاتب ـ بتأليف توراة مزيفة غير تلك التي أنزلها الله على موسى عليه السلام.

❖ وتتابع فصول الكتاب في ذكر مراحل تاريخ اليهود خلال العصر الفارسي والعصر اليوناني والعصر الرماني والعصر الإسلامي مع ذكر المؤامرات الدنيئة والخيانات التي ارتكبوها خلال تلك العصور.

❖ ويختتم الكتاب فصوله بدراسة موجزة عن «التلمود» والنصوص العنصرية البشعة التي يتضمنها هذا الكتاب.. مع الاشارة الى دراسة موجزة عن البروتوكولات الاربعة والعشرين التي كتبها حكماء صهيون لتكون دستورا لكل الوسائل الاجرامية التي يماسها الصهيونيون المحدثون في سبيل السيطرة بل وابتلاع العالم بكل من يعيشون فيه من غير اليهود.

الدكتور مختار السويفي ـ القاهرة


ISBN 978-9953-490-86-1



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٢١٦٩٣٩ - فاكس : ٠١/٤٥١١٩٩

ص.ب : ٢٥/٢٨٦ - غبيري - بيروت - لبنان

URL :htty://ww.daralhadi.com

E-MAIL : daralhadi@daralhadi.com